رجال حول الملك عبدالعزيز



عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم

أمير عسير والطائف والمدينة المنورة
وعضو مجلس الوكلاء في مرحلة تأسيس المملكة

تأليف

الدكتور عبدالله بن سعيد بن أحمد أبوراس

الطبعة الرابعة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رجال حول الملك عبد العزيز

عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم

أمير عسير والطائف والمدينة المنورة
وعضو مجلس الوكلاء في مرحلة تأسيس المملكة

تأليف

الدكتور عبد الله بن سعد بن أحمد البوزان

الطبعة الرابعة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

أبو راس، عبدالله بن سعيد
عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم.
٤٤٨ص؛ ١٧×٢٤ سم (رجال حول الملك عبد العزيز؛ ١)
ردمك: ١ - ١٩ - ٠ - ٣١ - ٩٩٦٠
١- آل إبراهيم، عبد العزيز بن إبراهيم ٢- السعودية - تاريخ - الملك عبد العزيز أ- العنوان ب- السلسلة
ديوي ٩٢٣،٢٥٣١ ١٦/٠٩٧٠

رقم الإيداع: ١٦/٠٩٧٠
ردمك: ١-١٩-٠-٣١-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم



القائد الملهم مُوحِّد المملكة العربية السعودية

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

يرحمه الله



خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

يرحمه الله



الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم
أمير عنيزة والطائف والمدينة المنورة
وعضو مجلس الوكلاء في مرحلة تأسيس المملكة

مقدمة الطبعة الثانية

أظهر صدور الطبعة الأولى من كتابي «رجال حول الملك عبد العزيز»، والذي خصصته للحديث عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، مدى اهتمام الباحثين والقراء، على اختلاف مستوياتهم الثقافية، بتاريخ المملكة، وتاريخ الملك الموحد عبد العزيز آل سعود – طيب الله ثراه – وتعطشهم إلى معرفة المزيد من الحقائق والتفاصيل عن الرجال الذين عملوا مع المؤسس الباني خلال مراحل كفاحه لإقامة مشروعه الوحدوي الكبير، وعن الإنجاز الكبير الذي حققه فوق رمال الصحراء، وإقامته لكيان المملكة الشامخ، في تجربة وحدوية فريدة، وغير مسبوقة مازالت تثير إعجاب العالم كله.

وكان أكثر ما لفت انتباههم في الكتاب، أنه لم يقدم شخصية صاحبه، وهو الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، كشخصية مستقلة لها بطولاتها ومواقفها ودورها في خدمة الدولة، وبمعزل عن بقية الأدوار والشخصيات التي كانت تموج بها ساحة العمل الوطني آنذاك، ولكن قدمها ضمن نسيج ملحمة التوحيد الكبرى التي قام بها القائد الملهم عبد العزيز آل سعود، ومن خلال مسيرة التاريخ العام للوطن، حيث تظهر جميع الأدوار كاملة وعلى حقيقتها، بدون أي رتوش؛ فالكتاب في رأيهم، ليس سيرة ذاتية لواحد من الذين اختارهم الملك عبد العزيز آل سعود، للعمل معه وحازوا على ثقته واختصهم برعايته، كما أنه ليس رصداً لمواقف وأدوار واحد من الأفراد الذين تولوا المسؤولية في أكثر من موقع، ولكنه قطعة حية متكاملة

من تاريخنا الوطني الذي يزهو برجاله الأفذاذ، وسجل وثائقي تاريخي لفترة مضيئة وحاسمة من تاريخ المملكة، حافلة بالبطولات والأمجاد.

وقد أثلج صدري هذا الفيض الزاخر من المشاعر الحميمة،الذي حملته لي رسائل كريمة عديدة تلقيتها من عدد كبير من أصحاب السمو الملكي الأمراء والمسؤولين في مواقع الدولة المختلفة، والذين تفضلوا بالكتابة إليَّ معبرين عن انطباعاتهم عن الكتاب وثنائهم على الملك عبد العزيز والجهد الذي قام به، وعلى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، وما قام به من أعمال في خدمة الوطن.. إضافة إلى تلك الرسائل التي بعث بها إليّ إخوة وأصدقاء أعزاء، أبوا إلا أن يسطروا مشاعرهم وتعليقاتهم في رسائل كان لها صدى كبير في نفسي، وقد أشادت كل هذه الرسائل بحسن اختياري للأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، كباكورة لسلسلة تاريخية هدفها إلقاء الضوء على نماذج من الرجال الذين كان لهم شرف العمل مع الملك الموحد، في المراحل الأولى لتأسيس المملكة، ولشخصية تحظى بتقدير واحترام الجميع في كافة المناطق التي عمل فيها ولدى كل من عرفه أو سمع عنه ولمن عاصروه أو عاصروا من عاصروه.

وقد تزامن ورود هذه الرسائل مع نفاذ الطبعة الأولى من الكتاب، وفي فترة زمنية قصيرة... نظراً لموضوع الكتاب ونوعية القارئ الذي يبحث عنه ويهتم به، وقد أسعدني ما سجلته مبيعات الكتاب من تصدر لمبيعات الكتب في المكتبات المحلية ولأسابيع عديدة.. حتى نفاذ الكمية المطبوعة بكاملها.. الأمر الذي حدا بي إلى إصدار الطبعة الثانية من هذا الكتاب،

وقد راعيت عند إعداد هذه الطبعة تصحيح بعض الأخطاء المطبعية التي وقعت في الطبعة الأولى – على قلتها – والتي لم يمكن تداركها آنذاك، إضافة إلى تصحيح بعض الأسماء التي وردت ضمن سياق الكتاب، وهي أخطاء لم تكن لتغيب عن فطنة القارئ الكريم.

كما تم تنقيح هذه الطبعة، حيث تم تعديل بعض الفقرات التي التبس على بعض القراء فهم مغزاها، ومعنى ورودها ضمن تسلسل فصول الكتاب.

بقي أن أقدم شكري خالصاً لكل القراء الأعزاء، الذين قرأوا هذا العمل قراءة المدقق المتمهل، فعاشوا معاناة الإحساس بما في تاريخنا الوطني من معان وقيم نبيلة جديرة بأن يكشف عنها النقاب، وأن تنبري لها الأقلام، كي تضعها أمام الأجيال الجديدة؛ مصابيح هادية تكشف لهم الطريق، وعلامات إرشادية تقودهم إلى المستقبل الميمون، راجياً أن يتمكن الذين لم يقرأوا هذا الكتاب في طبعته الأولى، أن يطالعوه في طبعته الثانية التي آمل أن أكون قد تلافيت فيها ما شهدته الطبعة الأولى من ملاحظات.. مهما كانت قليلة.

والله من وراء القصد،،،

د. عبد الله بن سعيد أبو راس

مقدمة الطبعة الثالثة

تصدر الطبعة الثالثة من هذا الكتاب، بعد نفاد طبعتيه الأولى والثانية، لتؤكد أن تاريخ تأسيس المملكة العربية السعودية لا يزال يستحوذ على اهتمامات القراء، خاصة من الشباب السعودي الجديد التي لم يعش أحداث تلك المرحلة الحاسمة في مسيرة بلاده، وكيف تحققت المعجزة وولدت دولة كبرى شقت طريقها نحو التقدم والمجد، وتبوأت مكانتها اللائقة بها بين الأمم.

وإذا كان هذا الكتاب قد كشف مدى رغبة المواطن السعودي في الإلمام بالتاريخ الحقيقي لبلاده، وتعطشه إلى التعرف على ملحمة توحيد الشتات التي قادها الملك المؤسس، بتفاصيلها الدقيقة، فقد لفت الأنظار، وبقوة، إلى جانب مهم من مصادر تاريخ المملكة العربية السعودية، وهو الشخصيات التي حاربت مع الملك عبد العزيز وخاضت معه معاركه، سواء الحربية أو الاجتماعية أو التعليمية أو الثقافية والفكرية، ثم اختارها الملك المؤسس بعد ذلك لإدارة المناطق التي انضمت إلى الكيان الوحدوي الجديد، فمن خلال إلقاء الضوء على سير هذه الشخصيات ، والأحداث المهمة التي شاركوا فيها، والأدوار الوطنية التي لعبوها تتكامل حلقات أهم حقبة في تاريخ البلاد، خاصة إذا سلمنا بأن التاريخ ما هو إلا قصص حياة الرجال العظام.

يحدث ذلك على الرغم من ضخامة عدد الكتب والدراسات التي

تناولت سيرة الملك عبد العزيز وقصة توحيده المملكة العربية السعودية، إلا أن هذه التجربة الوحدوية غير المسبوقة في تاريخنا الحديث لا زالت تلهم الكتاب والباحثين الذين يجدون في أحداثها ووقائعها مادة خصبة للبحث والتأليف والدراسة، خاصة الأدوار والمهام الوطنية التي أسندها الملك المؤسس إلى نخبة مختارة من رجاله؛ من الذين توسم فيهم قوة الإرادة وصدق العزيمة والرغبة في خدمة مشروع التوحيد وحفظ الأمن في شتى أرجاء البلاد، وكان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، موضوع هذا الكتاب، واحدا من هؤلاء الرجال.

وقد تميزت الطبعة الثالثة بإجراء بعض التعديلات في عدد من المواضع بالنسبة لبعض الأحداث التي كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم طرفاً فيها، في ظل توافر معلومات جديدة حول هذه الأحداث، بما يمنح هذه الأحداث مصداقية أكثر، ويثري المادة العلمية للكتاب.

وحتى يكون الكتاب مواكباً لواقع أسرة آل إبراهيم وقت صدور طبعته الثالثة، فقد قمنا بتحديث الأسماء الخاصة بفروع أسرة آل إبراهيم وإضافة أسماء جديدة لم تكن مدرجة من قبل، وتشمل الأبناء الذين ولدوا في السنوات التي تلت صدور الطبعتين الأولى والثانية من الكتاب، واقتضى ذلك إعادة تصميم الأشجار الخاصة بكل فرع لتعبر عن التغير الذي حدث في محتويات هذه الفروع.

آملاً أن يجدد صدور هذه الطبعة الحماس لدى الباحثين والدارسين ليواصلوا اهتمامهم بتاريخ المملكة العربية السعودية وتجربتها في التقدم

والبناء، من خلال التصدي لسير حياة الرجال الذين خاضوا معارك التوحيد مع المؤسس الباني، وشاركوا في إدارة مناطق الدولة الجديدة وفق توجيهات الملك عبد العزيز ، طيب الله ثراه، فكان لكل منهم دوره الذي لا ينسى، وهي مهمة وطنية جديرة بالاهتمام.

والله من وراء القصد،

د. عبد الله بن سعيد أبو راس

مقدمة الطبعة الرابعة

تصدر الطبعة الرابعة من هذا الكتاب، بعد نفاذ طبعاته الأولى، والثانية والثالثة؛ لتؤكد مدى اهتمام الباحثين بدراسة تاريخ تأسيس المملكة العربية السعودية ومعرفة الرجال الذين أسهموا في تلك المسيرة حتى أصبحت على الوجه الذي نراه اليوم تقدماً وازدهاراً ومكانة بين أمم العالم المتقدم.

وفي هذه الطبعة تم تصحيح بعض الأخطاء التي وردت في الطبعات الثلاث السابقة، وإضافة بعض المعلومات التي توافرت للباحث خلال هذه الفترة بما يخدم أهداف الكتاب، إضافة إلى تحديث الأسماء الخاصة بفروع أسرة آل إبراهيم، وإضافة أسماء جديدة لم تكن مدرجة من قبل، وتشمل الأبناء الذين ولدوا في السنوات التي تلت صدور الطبعات الثلاث السابقة من الكتاب، واقتضى ذلك إعادة تصميم الأشجار الخاصة بكل فرع لتعبر عن التغير الذي حدث في محتويات هذه الفروع.

وأود أن أعبر عن خالص التقدير والامتنان للشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم الذي تبنى إصدار هذه الطبعة من هذا الكتاب وزودني بمجموعة من الوثائق النادرة تم إضافتها للكتاب

في المواقع ذات العلاقة بها مما أضاف على هذه الطبعة معلومات في غاية الأهمية عن مرحلة التوحيد والتأسيس فله خالص الشكر، وكذلك الكتب الثلاثة الأخرى التي قام بتأليفها الزملاء (أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، نجدة فتحي صفوة، أ. د. إبراهيم بن محمد الزيد) عن أسرة آل إبراهيم. راجياً أن تحقق هذه الكتب أهدافها.

والله من وراء القصد،،،

د. عبد الله بن سعيد أبو راس

قصة هذا الكتاب

لتأليف هذا الكتاب قصة جديرة بأن تروى...

فإثر عودتي من الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٣٩٩هـ، بعد خمس سنوات قضيتها بها لأكمل دراستي العليا، أتيح لي أن ألتقي بمعالي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم، أمير منطقة الباحة – يرحمه الله – وكان اللقاء خلال برنامج "ندوة الرياض" الذي كانت تقدمه الإذاعة السعودية أيامها، وكان موضوع الندوة، الذي استغرق حلقتين كاملتين، عن منطقة الباحة، وكان نجم اللقاء معالي أمير الباحة، بمشاركة الدكتور محمد بن مسفر الزهراني، من جامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقاً) وكاتب هذه السطور.

وكان حضوري هذه الندوة بداية سلسلة من اللقاءات التي تواصلت مع معالي الأمير، من خلال زياراتي المتكررة لمسقط رأسي الباحة، وحضوري بعض مجالسه. لقد جعلتني هذه اللقاءات أتعرف إلى معاليه عن قرب، وأقف على الكثير من صفاته، وجوانب تميز شخصيته، وأسباب نجاحه في كل المواقع التي شغلها. لقد أسرني – يرحمه الله – بأخلاقه العالية، وتواضعه الجم، وحرصه الشديد على مساعدة الآخرين، إلى جانب غيرته الوطنية المتميزة، وقد تركت هذه الصفات انطباعاً قوياً في نفسي، تمنيت لو ترجمته إلى مادة مكتوبة، يطّلع عليها غيري، وتستلهم منها الأجيال الجديدة المثل والقدوة، وتكون هذه الكتابة – من جانبي – إسهاماً في إلقاء

الضوء على نماذج بشرية حية، تعمل في صمت، دون أن يشغلها شاغل عن إرضاء الله ثم الضمير، وخدمة الدين والمليك والوطن.

ودارت عجلة الحياة، ومعرفتي بجوانب شخصية الأمير إبراهيم آل إبراهيم تزداد عمقاً واتساعاً، وفي كل مناسبة أكتشف جانباً جديداً من جوانب شخصيته الفذة، إلى أن بدأت في جمع المادة التاريخية والعلمية لكتاب "الملك عبد العزيز والتعليم"، الذي قمت بتأليفه مع زميلي الأستاذ بدر الدين الديب، فقد كان من الأسماء التي لفتت نظري بقوة، وترددت في أكثر من موقع، وبقيت عالقة في ذاكرتي اسم عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، والد معالي أمير الباحة، الذي كان واحداً من رجال الملك عبد العزيز الأوفياء، الذين عملوا معه في السنوات الصعبة الأولى إبّان جهاده الطويل لتوحيد المملكة، سواء خلال عمله أميراً على أبها والطائف والمدينة المنورة، أو من خلال عمله بعد ذلك في مجلس الوكلاء الذي كان بديلاً لمجلس الوزراء الحالي، وكان - يرحمه الله - دائماً موضع ثقة الملك المؤسس وتقديره.

وخرجت من رحلة بحثي وتنقيبي في الكتب والمراجع العديدة التي تناولت تاريخ المملكة، بكمية وافرة من المعلومات عن هذه الشخصية المتميزة، وعندما ربطت بينها وبين ما سبق أن توفر لي من معلومات قيمة ومعرفة حية بشخصية الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم أمير منطقة الباحة، اتضحت الصورة أكثر بالنسبة لي عن أسرة آل إبراهيم، وازداد اقتناعي بأهمية إلقاء الضوء على شخصية عبد العزيز بن إبراهيم ودوره

الوطني، كواحد من رجال الملك عبد العزيز البارزين، لأنه من حق الأجيال الصاعدة أن تعرف تاريخ وطنها وسير أبطالها معرفة حقة، ليكتشفوا عظمة الأدوار التي قام بها هؤلاء الرجال، وجوانب التميز والتفرد في شخصياتهم، وهي الجوانب التي أهلتهم ليكونوا جنود الملك عبد العزيز المخلصين الأوفياء، الذين اعتمد عليهم في سعيه لجمع شمل كيان المملكة، وفي تنفيذ خططه وسياساته الإصلاحية.

لكن كيف يتم ذلك؟ لم أكن قد وصلت إلى قرار بعد!

وفي أحد لقاءاتي مع سعادة الشيخ خالد بن إبراهيم آل إبراهيم، حفيد الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، دار حوار عن الأمير الجد، فطلبت منه السماح لي بتدوين المعلومات التي جمعتها عنه وإخراجها على شكل كتاب، ومساعدتي بما قد يكون لديه من وثائق أو معلومات تسهم في إثراء مادة الكتاب، وقد استجاب مشكوراً لطلبي، وزوّدني بما لديه من وثائق وأوراق شخصية تخص الأمير عبد العزيز بن إبراهيم – يرحمه الله – كما زودني بأسماء أشخاص عاصروا الأمير أو عملوا معه، للحصول منهم على ما قد يتوفر لديهم من معلومات ليست موجودة فيما جمع من وثائق. وقد كان هؤلاء الأشخاص الذين التقيتهم، نبعاً غنياً من المعلومات النادرة المتميزة التي حصلت عليها عن تلك الفترة، ودونتها في الكتاب، مُرْجعاً إسنادها إلى من تفضل بتزويدي بها.

ولا يسعني، وقد فرغت بحمد الله وتوفيقه من إعداد هذا الكتاب، إلا أن أتوجه بخالص الشكر والعرفان لكل من أسهم معي في هذا العمل،

سواء من الذين زودوني بالمعلومات، أو من الذين سبق لهم الكتابة عن هذا الموضوع، وأخص بالشكر كلاً من علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر، والشيخ محمد الحافظ الذي كان قاضياً في المدينة المنورة، وعاصر الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم خلال فترة إمارته على المدينة المنورة، ومعالي الدكتور غازي القصيبي سفير خادم الحرمين الشريفين في بريطانيا، والشيخ عبد الله المحمد آل إبراهيم، والشيخ عبد الله بن جبر آل إبراهيم، والأخوين الدكتور علي عبد الخالق القرني وعبد الكريم رجب، وغيرهم ممن أسهم بطريق مباشر أو غير مباشر في أن يخرج هذا العمل إلى النور.

وإذا كان هناك من يدين له هذا الكتاب، بخروجه إلى حيز الوجود، فهو سعادة الشيخ خالد بن إبراهيم آل إبراهيم، الذي كان لدعمه وعونه ومؤازرته، خلال مراحل إعداد هذا الكتاب، أكبر الأثر في إظهاره بهذه الصورة، فله مني وافر الشكر والتقدير، راجياً أن يكون هذا الكتاب رافداً مهماً يثري المكتبة السعودية، ويقدم الفائدة لطلاب العلم أينما وجدوا.

والله من وراء القصد

عبد الله بن سعيد أبو راس

توطئة

كوكبة التوحيد:

من سنن الله في خلقه ألا تنفرد الشموس والأقمار في مداراتها بنفسها، بل تنتظم في أفلاكها ومداراتها كوكبة من النجوم والأجرام، وتصنع هذه الكوكبة من الشموس والأقمار والنجوم والأجرام نظاماً ومجموعة رائعة الصنع، بديعة التكوين والإحكام.

وكما لا تنفرد الشموس والأقمار بنفسها، فإن عظماء التاريخ البشري وصناعه، مثلهم مثل الشموس والأقمار، يجذبون حولهم مجموعات من الأفراد، يشكلون في مجملهم نظاماً يحقق ما ندبه الخالق، وما قضى به أن يكون.

فإذا أراد العالم أو المؤرخ أن يدرس نظاماً كونيًا، أو أن يبحث في مرحلة تاريخية من مراحل التاريخ الإنساني، فعليه أن ينظر إلى مجموع الكواكب أو الأفراد الذين اجتمعوا حول الكوكب الكبير، لصنع هذا النظام وتحقيق مراحله التاريخية.

ولقد تميز التاريخ الحديث لأمتنا العربية والإسلامية على أرض الجزيرة العربية المباركة، بظهور هذه الكوكبة من الأفراد الذين اجتمعوا حول بطل التوحيد الإمام عبد العزيز آل سعود – يرحمه الله – الذي كان ظهوره وأعماله مرحلة مشرقة من مراحل التاريخ، مازالت رغم كل ما دار حولها من دراسات وبحوث، في حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة، للإلمام

بأسرار إنجازها العظيم، ومعرفة أدوار الكواكب البشرية التي انتظمت في فلكه، وسلكت معه سبيل التوحيد الذي غير تاريخ الجزيرة، وصنع مملكتنا العربية السعودية بكل ما لها من خصائص عربية إسلامية، وكل ما وهب الله لها من إمكانات للتطور والتقدم والنماء.

ولاشك في أن دراسة كوكبة التوحيد التي أحاطت بالعاهل الكبير عبد العزيز آل سعود، سوف تستغرق سنوات طويلة وجهوداً متواصلة من البحاث والمؤرخين. فلكل فرد من أفرادها مكانته ودوره، ولكل فرد منهم أسرار حياته ودقائقها، وأسباب التحاقه وانتظامه في هذه الكوكبة، ولكل منهم مسار عمله، وإسهامه داخل إطار الإنجاز التاريخي الكبير الذي حققه البطل، ولابد لنا من أن نقرر، بادئ ذي بدء، أن معرفتنا بأفراد الكوكبة تزيدنا معرفة بالبطل، وترفع من تقديرنا لدوره وأسرار عظمته وما حققه من إنجاز، وأن ما سنعرفه عن أفراد تلك الكوكبة سيظل دائماً يستمد قيمته من نور البطل وإنجازه.

ولسوف يتساءل الكثيرون عن سر ما حدث من لقاء بين الملك عبد العزيز آل سعود ورجاله، هل كان ذلك نتيجة لفكر الملك واختياره؟ أم هو انجذاب من جانب الرجال إلى عظمة الرجل، ورغبتهم الأكيدة في خدمته وخدمة وطنهم، عن طريق مشاركتهم في كفاحه العظيم؟ أم إن هذا اللقاء كان في الحقيقة لقاءً مباركاً جمع بين الأمرين: اختيار الملك وقدرته في الحكم على الرجال، وحماس الرجال وإعجابهم بعظمة البطل، وتفانيهم وحرصهم على خدمته وخدمة القضية التي نذر نفسه لها، ولن يستكمل

المؤرخ دراسته للتاريخ حتى يسلك ببحثه الطريقين، وحتى يبرز الاختيار العبقري الذي حققه البطل الكبير، والظروف والعوامل التي هيأت الرجل الذي اختاره لتحقيق ما ندبه له، وما كلفه إياه من أعمال ومهام.

وهذا الكتاب هو محاولة لتحقيق هذا المنهج في متابعة هذا اللقاء، بين البطل الموحد وواحد من أبرز رجاله الذين انضموا إلى كوكبة التوحيد، وكان من أبرز كواكب المجموعة التي انتظمت في مدار الملك عبد العزيز، وصاحبته في رحلة كفاحه، أثيرة لديه وقريبة من قلبه وفكره.

وإذا كان من العسير تسجيل كل حقائق وأسرار اللقاء بين البطل وواحد من أمرائه الكبار، فإن محاولة هذا الكتاب تتلخص في فتح هذا الطريق لمثل هذه الدراسات، وتشجيع الباحثين والدارسين من أبناء الوطن على متابعة الوثائق والسجلات، ومراجعة كتب التاريخ ومصادره، لإلقاء مزيد من الضوء على عبقرية البطل في اختياره لرجاله، وعلى قدرات الرجال الذين كلفهم العمل معه، لتحقيق رسالته التوحيدية العظيمة.

ولئن كنا أحسسنا مع بدء تأليف هذا الكتاب أننا في حاجة إلى مزيد من الوثائق والمعلومات، إلا أنه قد تجمع لنا، بتوفيق من الله، عدد من الوثائق والمصادر النادرة، التي تعد خلفية كافية لتتبع ظهور الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، وارتباط أسرته، قبل ظهوره، وقبل الملك عبد العزيز - يرحمه الله - وبعد ظهوره بالبيت السعودي، كما تفضل عدد كريم من أفراد عائلة الأمير بمدّنا بمعلومات ووثائق نادرة عن حياة الأمير وأعماله، وأضاف عدد آخر من الكتاب والمؤرخين، الذين عملوا معه وعرفوه عن كثب، قدراً آخر

من المعلومات والحقائق والروايات التي تكمل الصورة، وتجتاب جوانب الحياة والعمل لهذا الرجل الفذ الذي احتل مكانة خاصة لدى مؤسس المملكة الملك عبد العزيز – يرحمه الله – وكان له دور بارز في مرحلة التوحيد.

والمتتبع لمسيرة التجربة السعودية وتاريخها القديم والحديث، يجد أنه على كثرة الكتب التي تناولت حياة الملك الموحد عبد العزيز آل سعود، والمعجزة التي حققها فوق رمال الجزيرة العربية (والتي بلغت أكثر من ٤٠٠ كتاب)، إلا أن هذه الكتب لم تكشف إلا عن جانب، ما زال غير كافٍ، من جوانب البطولة والنبوغ والشجاعة والحكمة التي تفرد بها الملك عبد العزيز، ولم تقدم إلا جزءاً يسيراً من تفاصيل ما اتخذه من قرارات، وما خطَّه من سياسات نفذها مع رجاله المخلصين، وأقام بها البناء العظيم الذي شيده لنا وللتاريخ.

وقد عبر عن هذا المعنى أحد باحثينا عندما قال:

"إن معظم الدراسات التي صدرت حول التاريخ السعودي قد خلت من هذا التجسيد الصادق والوافي للوقائع والأحداث والتطورات، فاختفى كثير من الحقائق في زحمة موضوعات جانبية، الأمر الذي عرَّض تاريخ المملكة للتشويه والضياع، بينما الواقع التاريخي حقيقة ظاهرة بالأفعال المتميزة وسير الرجال العظماء[1]".

(١) عبدالله بن محمد الشهيل: فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة، ٢٧٨.

وإذا سلمنا بأن التاريخ هو من صنع الرجال الأفذاذ، وأن قصص حياة الأبطال والعظماء الخالدين، بقدر ما هي سيرة ذاتية لشخصية معينة، فإنها في الوقت نفسه تشكل حلقة في منظومة التاريخ العام للوطن، وإغفال هذه السير الذاتية، بدعوى خصوصيتها، هو إهدار لمجموعة كبيرة من القيم والمثل، والتفاصيل النابضة بالحياة، ولوقائع على درجة عالية من الصدق والخصوصية والتأثير في مسار التاريخ.

وهكذا فإننا في رحلة البحث عن الحقيقة، لا يمكننا الإلمام بكل تفاصيل الصورة، إلا من خلال توجيه أو تسليط الضوء على الرجال الذين عاصروا الأحداث الوطنية، وشاركوا في صنعها، وكانوا شهوداً عليها وقت حدوثها بما يكشف عن بطولاتهم وأدوارهم.

ومن تكامل هذه الروايات والسير الذاتية تتشكل وتتضح الصورة الحية لتاريخ مرحلة، هي من أكبر وأعظم مراحل التوحيد والبناء في تاريخ العرب الحديث.

من أجل كل هذه المعاني، وحتى يكون تاريخنا متكاملاً من خلال تكامل الحديث عن صناع هذا التاريخ، يصدر هذا الكتاب عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، بوصفه إحدى الشخصيات الفذة التي نالت شرف العمل مع القائد العبقري الملهم الملك عبد العزيز آل سعود. وكان موضع ثقته وتقديره طوال حياته، وكان له من المواقف والأعمال الوطنية ما هو جدير بأن تطَّلع عليه الأجيال الصاعدة، لتجد القدوة والمثل والنموذج في سير أبطال الوطن العزيز.

وقد حرصنا أن نفتتح الكتاب بعرض عن أسرة آل إبراهيم وموطنها ونسبها، وأن نعرّف القارئ ببني لام، وآل فضل، وموطن الفضول، قبل الحديث عن أسرة آل إبراهيم ونسبها، وأفرادها وفروعها. وقد أعقبنا هذا الفصل بفصل ثانٍ عن بداية علاقة آل إبراهيم بالأسرة السعودية الحاكمة في مراحل تاريخية متقدمة قبل ظهور الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله.

تبدأ سيرة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم بالدور الفريد الذي قام به بوصفه رسول السلام، الذي حقق، بحكمته وقدرته على التفاوض والإقناع، انضمام حائل إلى مسيرة توحيد المملكة، فاختتمت بذلك حقبة من الصراع الطويل، وكان هذا بداية مباركة لمسيرة التوحيد الكبرى، وقد خصصنا لعرض دوره في هذه المرحلة جزءاً كبيراً من الفصل الثاني. أما الفصل الثالث فقد خصص للتعريف بشخصية الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، مولده، ونشأته، صفاته، وتعليمه وثقافته، وذلك لرسم خلفية لدى القارئ قبل تقديم أدوار صاحب الكتاب والمهام الوطنية التي قام بها.

وتتلاحق فصول الكتاب ومفرداته، لتتابع أعمال الأمير في خدمة الملك الموحد، والتي بدأت بمهمته الصعبة في عسير، وتصرفه الحكيم في معالجة تمرد آل عائض إبّان إمارته عليها، وتحقيق الأمن والسلام في هذه البقعة من الوطن، وهو الدور الذي أهّله بعد ذلك ليكون أول أمير سعودي على الطائف في العصر الحديث، فأميراً على المدينة المنورة لمدة عشر سنوات متواصلة، وأخيراً تعيينه عضواً في مجلس الوكلاء، الذي كان بديلاً عن مجلس الوزراء الحالي، ليبلغ بذلك قمة الحكم وأعلى مراتب العمل الإداري في الوطن العزيز.

وقد أفردنا فصلاً خاصاً، هو الفصل السابع، لتسليط الضوء على شخصية الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، وما تميز به - يرحمه الله - من خصال وسجايا وسمات خاصة، وذلك من خلال أقوال عدد كبير من المؤرخين، والكتاب الذين عاصروه، كما أوردنا بعض القصص للدلالة على قوة إرادته، وحزمه، وقدراته المتميزة في معالجة القضايا والأمور المختلفة، وكذلك في إقرار الأمن والطمأنينة، والضرب على أيدي العابثين والمخالفين، وبسط سلطة الدولة وهيبتها في المناطق التي تولى إمارتها.

كما خصصنا الفصل الثامن، للحديث عن أبرز أفراد أسرة آل إبراهيم، بعد الأمير عبد العزيز آل إبراهيم، وهو ابنه إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم - يرحمه الله - الذي كان واحداً من الذين خدموا الوطن في أكثر من موقع، حيث بدأ مشاركته في خدمة الوطن في عهد الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - عندما أصدر قراراً بتعيينه أميراً للقنفذة، لتبدأ من هذا التاريخ رحلة أربعين عاماً قضاها الأمير الراحل في خدمة دينه ومليكه ووطنه، كما تناولنا في الفصل نفسه الأبناء والأحفاد الذين يعتزون بأن لكل منهم دوره في خدمة الوطن.

وكما يلاحظ القارئ، فقد حرصنا على أن يصدر هذا الكتاب ضمن سلسلة، رأينا أن نضع لها اسماً هو: "رجال حول الملك عبد العزيز"، أملاً في أن نتمكن في المستقبل القريب - بعون الله وتوفيقه - من تقديم كواكب أخرى، ممّن عملوا مع قائد التوحيد، وكان لهم دورهم وإسهامهم في إرساء دعائم وحدة الكيان الكبير، وتثبيت أركان أمنه واستقراره، ومن حق هذه

الشخصيات التاريخية المتميزة، أن يعرف الناس جلائل أعمالها، كما إن من حق الأجيال الجديدة من أبناء الوطن الكريم أن تعرف التفاصيل الدقيقة عن تاريخ وطنها، من خلال معرفة تفاصيل حياة الأبطال الذي شاركوا في صنع هذا التاريخ، وهي مهمة ليست بالأمر اليسير، نسأل الله أن يعيننا على أداء جانب منها، إنه نعم النصير.

وتبقى تجربة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، منذ ولادته وحتى وفاته – يرحمه الله – نموذجاً فريداً في خدمة الوطن، والتعلق والارتباط بالبطل الموحد، مما يجعلنا نفتخر بأن نقدم سيرته لأبنائه، من شباب الوطن، وللأجيال القادمة ليترسموا خطى آبائهم وأجدادهم الذين شاركوا في صنع المعجزة، وهي إقامة كيان المملكة العربية السعودية الكبير على رمال الصحراء، وليعملوا جاهدين من أجل المشاركة بجهدهم، وفكرهم في مسيرة التطور والرخاء والتنمية، ليكونوا ضمن كواكب الوطن الغالي المنيرة.

المحتويات

المحتويات

الفصل الثالث

عبد العزيز بن إبراهيم: بطاقة تعريف

الفصل الرابع

عبد العزيز بن إبراهيم أميراً على عسير

الفصل الخامس

عبد العزيز بن إبراهيم أميراً على الطائف

الفصل السابع

عبد العزيز بن إبراهيم: صورة من قريب

الفصل الثامن

أبناء وأحفاد في خدمة الوطن

الفصل الأول

آل إبراهيم: الموطن... والنسب

بمَدحِ الكِرامِ الغُرِّ يُستَعذبُ القولُ

أولَئك أهلُ الفَضلِ مَن جَدّهم فَضلُ

"حمد الجاسر"

محتويات الفصل الأول

آل إبراهيم: الموطن... والنسب

- بنو لام.
- آل فضل (الفضول).
- أسرة آل إبراهيم.
- فرع جبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم.
- فرع محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم.
- فرع عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم.
- فرع سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم

الفصل الأول

آل إبراهيم: الموطن... والنسب

يجمع المؤرخون على أن آل إبراهيم أسرة فضلية، من الفضول، من بني لام، من طيّئ[1] ، من أشهر قبائل العرب نسبًا، ومن أعلاها منزلة وشأنًا، وقد ذكر الشيخ عبد الله بن خميس في كتابه "تاريخ اليمامة" أن أسرة آل إبراهيم من الأسر النابهة الذكر، وأنه ظهر فيها رجال عُرِفوا بالجود والحكمة، وفيهم أمراء كبار، كما أورد محمد عثمان القاضي في كتابه "منهاج الطلب" أن بيت آل إبراهيم بيت كرم وفيهم مروءة ونخوة وشجاعة في الحروب، وهم بيت رئاسة الفضول.

ونسب الفضول، كما أشار المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي، "أعرف من أن يُعرَّف، فهم الذؤابة في قبيلة طيّئ وكفى"[2] وهكذا فقد جمع أفراد هذه الأسرة الكريمة، كابراً عن كابر، عراقة النسب وكرامة المحتد، ونبل الخصال، ولا غرو فهم من سلالة طيّئ الذين قال فيهم أبو تمام:

لكل من بني حواء عذرُ ولا عذرٌ لطائيٌّ لئيم
أحق الناس بالكرم امرؤ لم يزل يأوي إلى أصل كريم[3]

---

(١) حمد الجاسر: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، وعبد الله بن خميس: تاريخ اليمامة، وعبد الرحمن بن حمد بن زيد: المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب، وإبراهيم بن صالح بن عيسى: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، وعقد الدرر.

(٢) محمد بن أحمد العقيلي، من رواد العلم والأدب في المملكة، له العديد من المؤلفات في شتى الموضوعات، وهو حائز على الميدالية الذهبية بالريادة من جامعة الملك عبد العزيز في مؤتمر الأدباء السعوديين.

(٣) أبو تمام: ديوان الحماسة، ص٢١٩.

وسنعرض هنا ما أبرزته المراجع وكتب التاريخ والأدب عن بني لام القبيلة، وعن آل فضل (أو الفضول) قبل أن نعرض لأسرة آل إبراهيم، التي ينتمي إليها الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، الذي سنتتبع تاريخه ودوره في إطار مسيرة الملك الموحد.

بنو لام:

تنتسب قبيلة بني لام إلى لام بن عمرو بن طَريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذُهل بن رُوْمان بن جُنْدُب بن خارجة بن جَديّلة بن سعد بن فُطرة بن طيئ[1].

وبنو لام قبيلة مشهورة دانت لها السيطرة في أعالي نجد وأسافلها ردحًا من الزمن، وامتدت ديارهم إلى أطراف الشام والعراق، وكانت لهم صولات وجولات وسلطة قوية ونفوذ لا يجارى[2]. وبنو لام بطن من جديلة، القبيلة الطائية المعروفة مع قبيلة الغوث، وهما القبيلتان اللتان قال فيهما أبو تمام:

جديلة والغوث اللذان إليهما صغت أذنٌ للمجد ليس بها وقرُ
مقاماتنا وقف على الحلم والحجا فأمردنا كهل وأشيبنا حبرُ
ألنَّا الأكف بالعطايا فجاوزت مدى اللين إلا أن أعراضنا صخرٌ

(١) عبد الرحمن بن حمد بن زيد، المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب، ص٢٧٢.

(٢) ذكرت قبيلة بني لام في الوقفات الشعرية التي أوردها المؤرخ عبد الله بن خميس في كتابه "تاريخ اليمامة" الذي استعرض فيه تاريخ منطقة اليمامة، والدول والقبائل التي دانت لها السيطرة في هذه المنطقة، فقد ورد في الجزء السابع ص٣٧٣ الأبيات التالية:

والعصافير والجبور ولام وكثير، وفضل ذو العمرانِ
المغيرون أخوة مع فضل وكثير والكل من لام دانِ
ملكوا سرة اليمامة عهدًا ومضوا في البلاد فانٍ وعانِ
وأتت عنزة تليها مطير، وعتيب وقبل مع قحطانِ

إلى أن قال:

جمعنا العلا بالجود بعد افتراقها إلينا كما الأيـام يجمعها الشهرُ
بنجدتنا ألـفـت بنجد بعاعها سحاب المنايا وهي مظلمة كدرُ[1]

وقد عرفت قبيلة طيّئ بأعلامها في الزعامة والشجاعة والجود، كحاتم الطائي وزيد الخيل وغيرهما، وينتهي نسبها كما هو معروف إلى قحطان[2]، وقد ذكر الحمداني أن بني لام داخلون في أسرة آل ربيعة من عرب الشام. وقد كثر بنو لام وافترقت بطونهم من حارثة ابن لام وابنه أوس، الذي ضرب به المثل الأعلى في الفضل والجود، وفيه يقول الشاعر[3]:

إلـى أوس بـن حـارثـة بـن لام ليقضي حاجتي فيمن قضاها
فلا وطيء الثرى مثل ابن سعدى ولا لبس النعال ولا احتذاها

ويتفرع من بني لام ثلاث قبائل كبيرة هي: بطن فضل، وبطن كثير، وبطن مغيرة.

فأما آل مغيرة فإنهم كانوا من عالية نجد يرأسهم عجل بن حنيتم، وكانوا من أشهر بطون لام، وأوسعها ذكراً، وقد أورد المؤرخ الشيخ عبد الله بن خميس في كتابه "تاريخ اليمامة" رواية مفادها أن أحدهم دخل على الإمام سعود بن عبد العزيز في الدرعية، فسأله الإمام من أي القبائل أنت، فقال: من أشد قبيلة في نجد، قال له: أنت إذن من آل مغيرة، قال نعم[4].

(١) أبو تمام، ديوان الحماسة، ص٤٠١ – ٤٠٢.
(٢) القلقشندي، نهاية الأرب، ص١١٠.
(٣) المبرد، الكامل، ج١، ص٢٣٢، (والشاعر هو بشر بن أبي خازم من بني أسد من خزيمة).
(٤) عبد الله بن خميس، تاريخ اليمامة، ج٣، ص٢٧٠.

وأما آل فضل وآل كثير فيرأسهم ابن عروج ومساكنهم في أسافل نجد، وسيأتي الحديث عن آل فضل الذين تنتمي إليهم أسرة آل إبراهيم.

وقد أورد ابن بشر، في أخبار المعارك القبلية في منتصف القرن التاسع، أمثلة من صولات قبيلة بني لام، ومنها معاركهم مع القبائل التابعة لحكام الأحساء لإخضاعها لنفوذهم[1].

آل فضل (الفضول):

الفضول بطن من بني لام، كالمغيرة وآل كثير، إلا أن الفضلية فرع من قبيلة طيئ القحطانية المشهورة، وقد ورد في كتاب "كنز الأنساب"[2] أنهم أبناء فضل بن ربيعة الطائي، وهذا ما يذهب إليه أكثر المؤرخين، ويذكر الشيخ حمد الجاسر في كتابه "جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد" أنهم كانوا أبرز فروع قبيلة طيّئ في العصور الوسطى – من القرن السادس الهجري حتى القرن الثاني عشر – وقد "التفت بقبيلة (الفضول) فروع كثيرة مختلفة الأصول" حتى أن أكثر قبائل الجزيرة في القرن الثامن الهجري يعد من أحلاف آل فضل، وكان للفضول مياه كثيرة ومناهل مورودة، كما قيل:

ولها منهل على كل ماء وعلى كل دمنةٍ آثارُ[3]

---

(١) عثمان بن عبد الله بن بشر، السوابق، ملحق كتاب "عنوان المجد في تاريخ نجد"، ص٢٣٦. وتاريخ اليمامة لابن خميس، ج٣، ص٢٦٥.

(٢) حمد بن إبراهيم بن عبد الله الحقيل، كنز الأنساب، ص١٨٨.

(٣) القلقشندي، نهاية الأرب، ص١١٠.

وآل الفضول، كما ورد في كتاب "مسالك الأبصار" سادات العرب ووجوهها. كانت لهم الرئاسة على طيئ أيام الفاطميين، ولهم عند السلاطين حرمة كبيرة، فكان أميرهم أعلى رتبة عند الملوك، ولبيوتهم ومنازلهم رونق وبهاء.

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التي يسري بها الساري[1]

وقد امتدت منازلهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة إلى شقي الفرات وأطراف العراق إلى البصرة[2].

وكان ملوك مصر يتوددون إلى شيوخ القبيلة الذين يفدون إليهم من الشام، ويجزلون لهم العطايا، ويقطعونهم الأراضي الزراعية في الشام. كما كانت القبيلة تنتشر في بلاد نجد لرعي مواشيها مخضعة القبائل التي تعارضها. واستمر الحال كذلك إلى أن غادرت القبيلة الجزيرة – كغيرها من القبائل – على فترات أولها في آخر القرن الحادي عشر. ولم يبق من القبيلة بنجد إلا حاضرة تفرعت منها، وذكر في أخبار نجد أخبار عراكها مع بعض القبائل إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري[3].

ومن تلك الفروع استقرت أسر كثيرة في نجد في إقليم العارض وغيره من الأقاليم كسدير والوشم والزلفي[4].

---

(١) القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٠٢؛ وقائل هذا البيت هو عقيل بن العرندس أحد بني عمرو بن عبد بن أبي بكر بن كلاب، وأورده ابن بشر في كتابه "عنوان المجد"، ج٢، ص٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص١١٠، عن "مسالك الأبصار".

(٣) حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، القسم الثاني، ص٦٤٧.

(٤) عبد الرحمن بن حمد بن زيد، المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب، ص٢٨٦.

ومن بطون الفضول: آل غزي، ومن بطونهم آل بو رماح، ومن آل رماح آل يحيى، ومنهم آل إبراهيم الذين سكنوا أبا الكباش في الشمال الغربي لمدينة الدرعية، ومَلْهمَ بالقرب من حريملاء، والرياض وحائل.

وقد أورد الشيخ عبد الله بن خميس في كتابه "معجم اليمامة" عن أبا الكباش التي سكنها آل إبراهيم، أنها قرية ومزارع تقع في رحبة واسعة من وادي العمارية ما بين خشم الطرف والفريدة، وأبا هنا تعني ذات، وكثيراً ما يرد هذا الاستعمال في لهجة أهل نجد، وقال ابن خميس: إن أبا الكباش بلدة قديمة، ولا يبعد أنها التي ذكرها الهمداني باسم (مهشمة) مجاورة للعمارية، قال: .... وفوق ذلك قرية يقال لها (مهشمة) و(العمارية) مقرونة بها، وقال ياقوت: ... قال ابن شميل: ... (مهشمة) هذه من قرى اليمامة، قال الحفصي مهشمة قرية ونخل ومحارث لبني عبد الله بن الدئل بـ "اليمامة". وكانت معمورة بالنخيل والمزارع والسكان إلى زمن قريب؛ حدثني أحد المعمرين، قال: كنت أعهدها حديقة لفاء بالنخيل والأشجار، وفي أوائل القرن الثالث عشر شحمت نخيلها، وأكلت أشجارها في المجاعة التي مرت بهذه البلدان آنذاك، ومن رأى آثارها وآبارها وأطلال العمران بها أدرك ما لها من ماضٍ حافل بالقبول والعمران ولله في خلقه شؤون.

وكان قد سكنها ذرية سيف بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي جد الأسرة السعودية، ومكث بها سيف هذا هو وذريته، وهو جد آل يحيى أهل (أبا الكباش) المعروفين... ومن مساكنهم في (أبا الكباش)

(الغريفة) وما حولها، وهؤلاء هم غير آل يحيى (الفضول) المعروفين في (مَلْهَمَ) وغيرها، ولهم الآن وضع يد وتملك في (أبا الكباش)[1].

أما "مَلْهَمَ" فقد أورد الشيخ ابن خميس ما ذكره ياقوت: قال أبو منصور: "مَلْهَمَ" قرية باليمامة لـــ (بني يشكر) وأخلاط من (بني بكر)، وهي موصوفة بكثرة النخل، ويوم (مَلْهَمَ) من أيامهم.

وقد تعرضت (مَلْهَمَ) في سنة ١٣٧٠هـ لحادث مؤلم، سحابة ألقت بثقلها برداً مخيفاً غمر بنيانها، فما استطاع أن يتحمل ما ألقته فوقه من ركام البرد، فتداعى على ما فيه، ونجا أهله بأنفسهم إلى الجبال... فكانت جائحة مخيفة[2].

أسرة آل إبراهيم:

يمتد نسب أسرة آل إبراهيم إلى إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد ربه بن حمد بن محمد بن حمد آل إبراهيم، وهو كما أشرنا من آل يحيى، من آل رماح، من آل غزي، من الفضول من بني لام من طيّئ من أعلى القبائل نسبًا، وطيّئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن عريب بن زين بن كهلان ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

---

(١) عبد الله بن خميس، معجم اليمامة، ج٢، ص٣٠٣ – ٣٠٤.

(٢) المرجع السابق، ص٣٩٠ – ٣٩١.

وتوضح اللوحة رقم (١) شجرة نسب أسرة آل إبراهيم.

وقد كان لإبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم، والد الأمير عبد العزيز ابن إبراهيم، سبعة أبناء هم:

جبر[1]، ومحمد[2]، وعبد الله، وعبد العزيز، وسعد، وحمود[3]، وعبد الرحمن.

جبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم آل إبراهيم

ولجبر بن إبراهيم أربعة أبناء وبنت هم:

شيخة وصالح وعبد الرحمن وراشد وعبد الله.

» ولشيخة بنت جبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم، من الأبناء:

عبد الرحمن، عبد العزيز، هيا، وحصة، (أبناء فارس السبيعي).

وتوضح اللوحة رقم (٢) أبناء جبر بن إبراهيم، كما تشمل إشارة إلى أبناء شيخة بنت جبر بن إبراهيم.

» أما صالح بن جبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم فله سبعة أبناء هم: نوره(متوفية)، وجبر (متوفى)، محمد، وراشد، وإبراهيم، وسعد

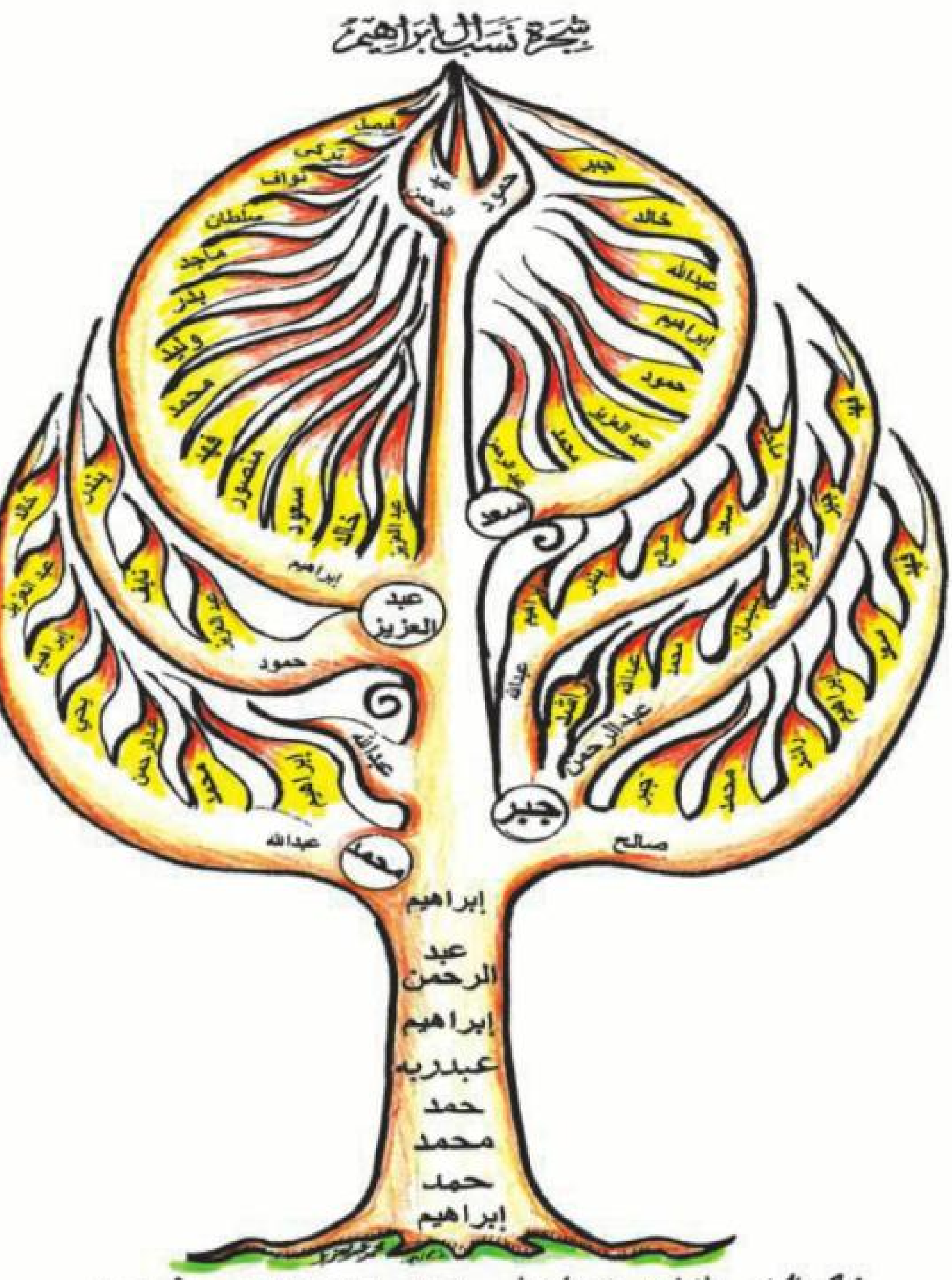
(متوفى)، وفهد (متوفى).

---

(١) تولى القضاء في تربة ورنية، وتوفي في رنية عام ١٣٤١ أو ١٣٤٢هـ.

(٢) تولى القضاء في الجوف عام ١٣٤٠هـ أو عام ١٣٤١هـ، وهو أول قاضٍ للملك عبد العزيز - يرحمه الله - في الجوف ثم اعتذر عن تولي القضاء وتوفي بحائل عام ١٣٤٨هـ.

(٣) عمل أميراً لينبع في عام ١٣٥٤هـ وما يتبعها، وقد أورد حمد الجاسر في كتابه "بلاد ينبع" ص١٢٨، أنه كان رجلاً فاضلاً شهماً له مأثرة خالدة، وهي سعيه في فتح مدرسة لتعليم أبناء البادية، ولعلها أول مدرسة أنشئت في ذلك العهد لهذه الغاية.



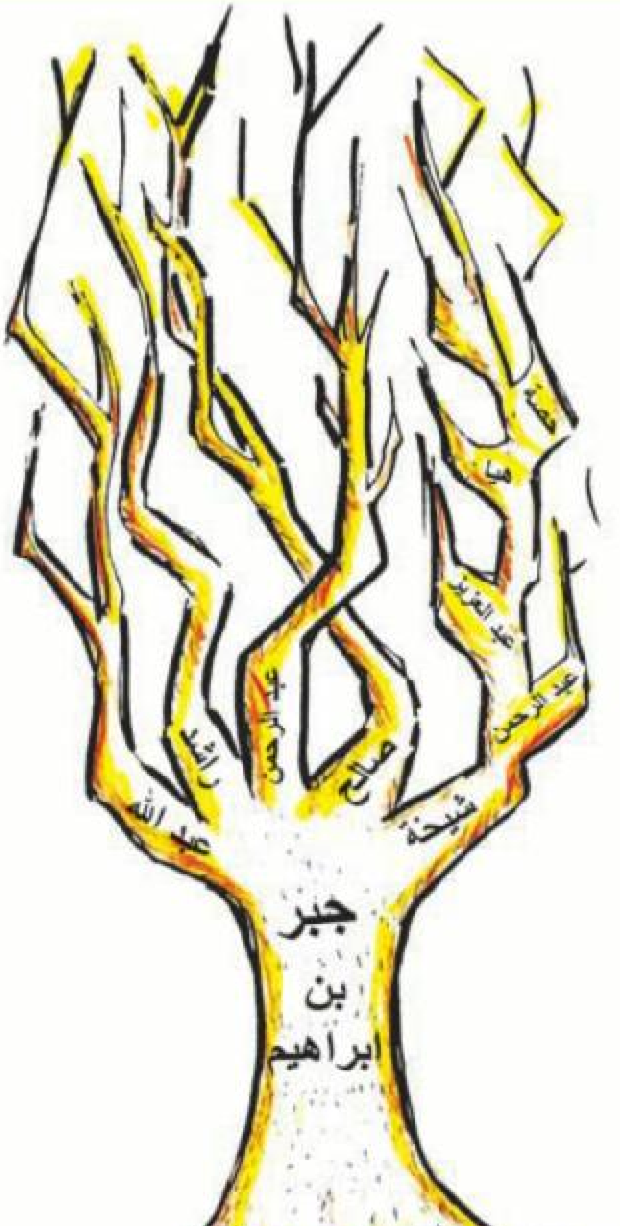
يمدح الكرام الغر يستعذب القول   أولئك أهل الفضل من جدهم فضل

آل ابراهيم في ابا الكباش والرياض وحائل من آل يحيى من آل ابو رباح من آل عـزي من الفضول من بني لام من طيء من أعلى القبائل نسباً.

وطيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

لوحة رقم (١)

أبناء جبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم



لوحة رقم (٢)

- ولنورة بنت صالح الجبر آل إبراهيم، من الأبناء: صالح، عبد العزيز، فهد، منيرة، الجوهرة، لطيفة، طرفة. (أبناء إبراهيم العتيق).
- ولمحمد بن صالح بن جبر آل إبراهيم اثنا عشر ابناً، هم: منيرة، صالح، جبر، سعد، إبراهيم، فهد، خالد، أمل، الجوهرة، بدر، نوره، مها.
- ومنيرة بنت محمد بن صالح بن جبر آل إبراهيم زوجة عبد العزيز العتيق ولها من الأبناء ستة أولاد وثلاث بنات وهم: إبراهيم، محمد، فيصل، وليد، خالد، صالح، نورة، رنا، وريما.

  – ولصالح بن محمد صالح الجبر آل إبراهيم ثلاث بنات، هن: غادة، سارة، ومنيرة.
- ولجبر بن محمد الصالح الجبر آل إبراهيم ابنان وهما: عبدالرحمن، عبد المجيد.

  – ولإبراهيم محمد الصالح الجبر آل إبراهيم ابن واحد وهو: محمد.
- أما راشد الصالح الجبر آل إبراهيم فله ابنان هما: صالح وفهد.
- ولسعد الصالح الجبر آل إبراهيم (متوفى): أربعة أبناء هم: عبد العزيز وفهد وخالد وإبراهيم، وابنتان هما: نوره وعهود.

  – أما عبد العزيز السعد الصالح الجبر آل إبراهيم فله بنت وولد: هما غلا، وسعد.

- ولإبراهيم الصالح الجبر آل إبراهيم ابنان وأربع بنات هم: جبر، وفهد (متوفى) وبناته هن: الجوهرة ومنيرة و نوره ومها

– ولجبر بن إبراهيم الصالح آل إبراهيم أربع بنات هن: لولوة والجوهرة والعنود وعهد.

– ولمنيرة بنت إبراهيم الصالح آل إبراهيم زوجة حمود بن محمد سعد البراهيم ابن واحد هو محمد.

– أما الجوهرة بنت إبراهيم الصالح آل إبراهيم زوجة محمد ابن صالح الحماد فلها ابن واحد وهو عبدالله.

- ولفهد الصالح الجبر آل إبراهيم (متوفى) بنتان هما: منيرة وفهده زوجة جبر بن إبراهيم الصالح الجبر البراهيم.

– ولمنيرة بنت فهد الصالح الجبر آل إبراهيم زوجة جبر بن إبراهيم الصالح البراهيم أربع بنات هن: لولوة، الجوهرة، العنود، عهود.

- ولجبر الصالح الجبر آل إبراهيم (متوفى) بنت وثلاثة أولاد هم: هند وصالح وعبد الله ومحمد.

– ولهند بنت جبر الصالح آل إبراهيم من زوجها فهد المزروع ثلاثة أبناء هم: نواف وإبراهيم والجوهرة.

– ولصالح بن جبر الصالح الجبر آل إبراهيم ولدان وبنتان وهم: مها وريان وراكان والجوهرة.

- ولعبد الله بن الجبر الصالح الجبر آل إبراهيم من الأبناء اثنان هما عبد العزيز وفهد.

- أما محمد الجبر الصالح الجبر آل إبراهيم، فليس له أبناء.

وتوضح اللوحة رقم (٣) أبناء صالح بن جبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم وأولاده وأحفاده.

» ولعبد الرحمن الجبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم من الأبناء: عبد الله ومحمد وسليمان وعبد العزيز (متوفي) وجبر وفهد والجوهرة (متوفاة).

وتوضح اللوحة رقم (٤) أبناء عبد الرحمن بن جبر وأحفاده.

- ولعبد الله العبد الرحمن الجبر آل إبراهيم ولد واحد هو: سامي.
- أما محمد العبد الرحمن الجبر آل إبراهيم فليس له أبناء.
- ولسليمان العبد الرحمن الجبر آل إبراهيم، ابنتان وأربعة أبناء هم: محمد والجوهرة ومجد وزايد وفهد وعبد الرحمن.
- ولعبد العزيز العبد الرحمن الجبر آل إبراهيم (متوفى) ابنان هما: سعود وفهد وأربع بنات هن: نجلاء ومنى ومها وسارة.
- ولجبر العبد الرحمن الجبر آل إبراهيم ابنان وبنت هم: خالد ونواف ولمى.
- ولفهد العبد الرحمن الجبر آل إبراهيم ابنان وبنتان هم

عبد الرحمن وهيا والجوهرة وإبراهيم.

» أما راشد الجبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم فليس له أبناء.

» ولعبد الله الجبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم من الأبناء تسعة هم شيخة، إبراهيم، منيرة، بندر، صالح، أمل، سعد، إيمان، وماجد.

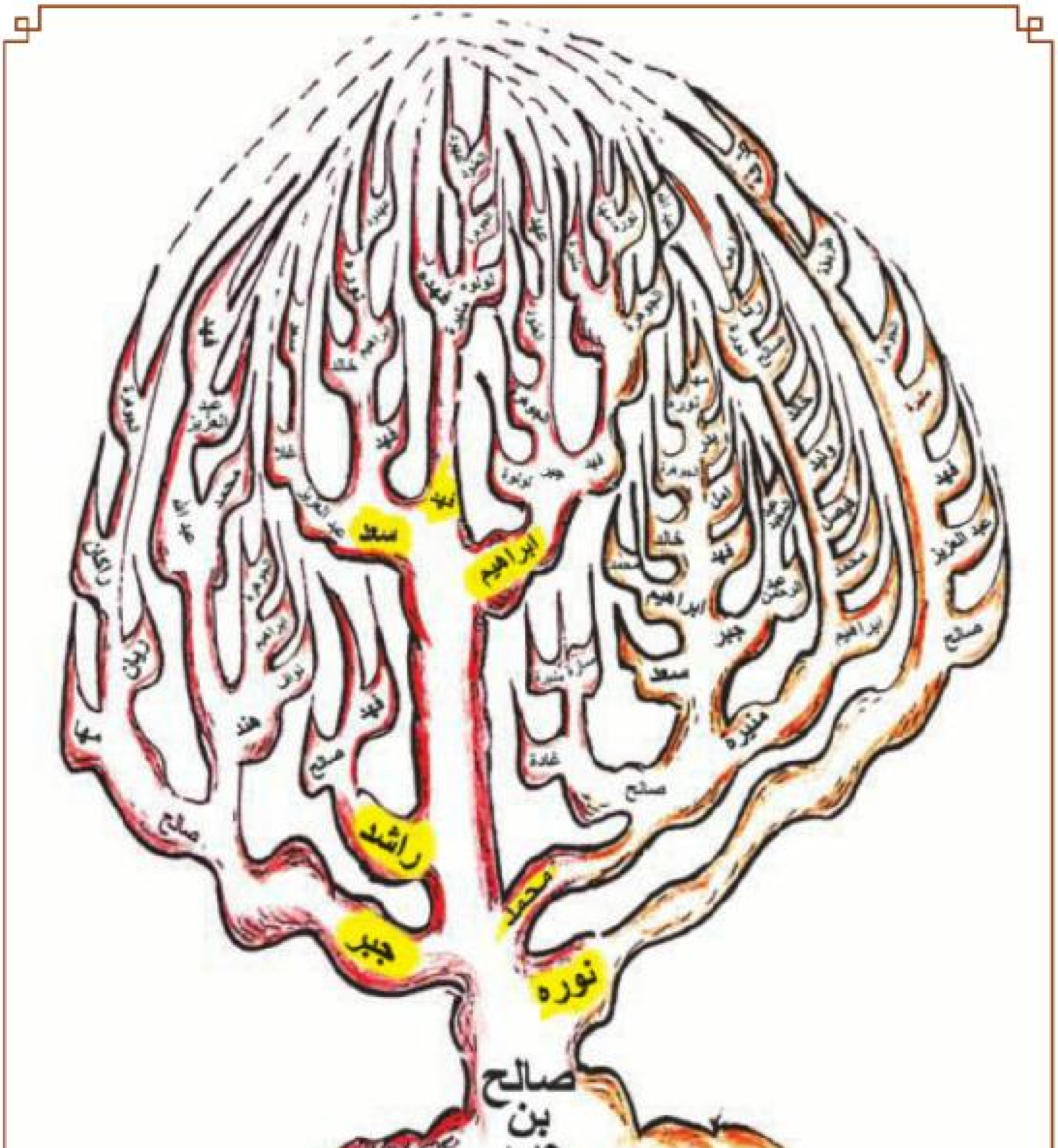
وتوضح اللوحة رقم (٥) فرع عبد الله بن جبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم وأبنائه وأحفاده.

- لشيخة بنت عبدالله بن جبر آل إبراهيم زوجة جبر بن صالح آل إبراهيم (متوفي) من الأبناء أربعة أبناء هم: صالح، عبد الله، محمد، هند.
- ولمنيرة بنت عبد الله بن جبر آل إبراهيم زوجة سعد بن صالح آل إبراهيم (متوفى) ثلاثة أبناء هم: عبد العزيز، فهد، نوره.
- ولإبراهيم بن عبد الله الجبر آل إبراهيم من الأبناء: أحمد وأمل، وغادة.
- ولبندر بن عبد الله الجبر آل إبراهيم ستة أبناء هم: عبد الله وهديل وسعود وراكان ومنيرة وسلطانة.
- ولصالح بن عبد الله الجبر آل إبراهيم أربعة أبناء هم: عبد العزيز وعبد الله وسعود ومحمد، وابنتان هما: ريما ومها.
- أمل بنت عبد الله بن جبر آل إبراهيم زوجة وليد بن عثمان

الرشودي لها أربع بنات هن: مي، ريم، مها، لولو.

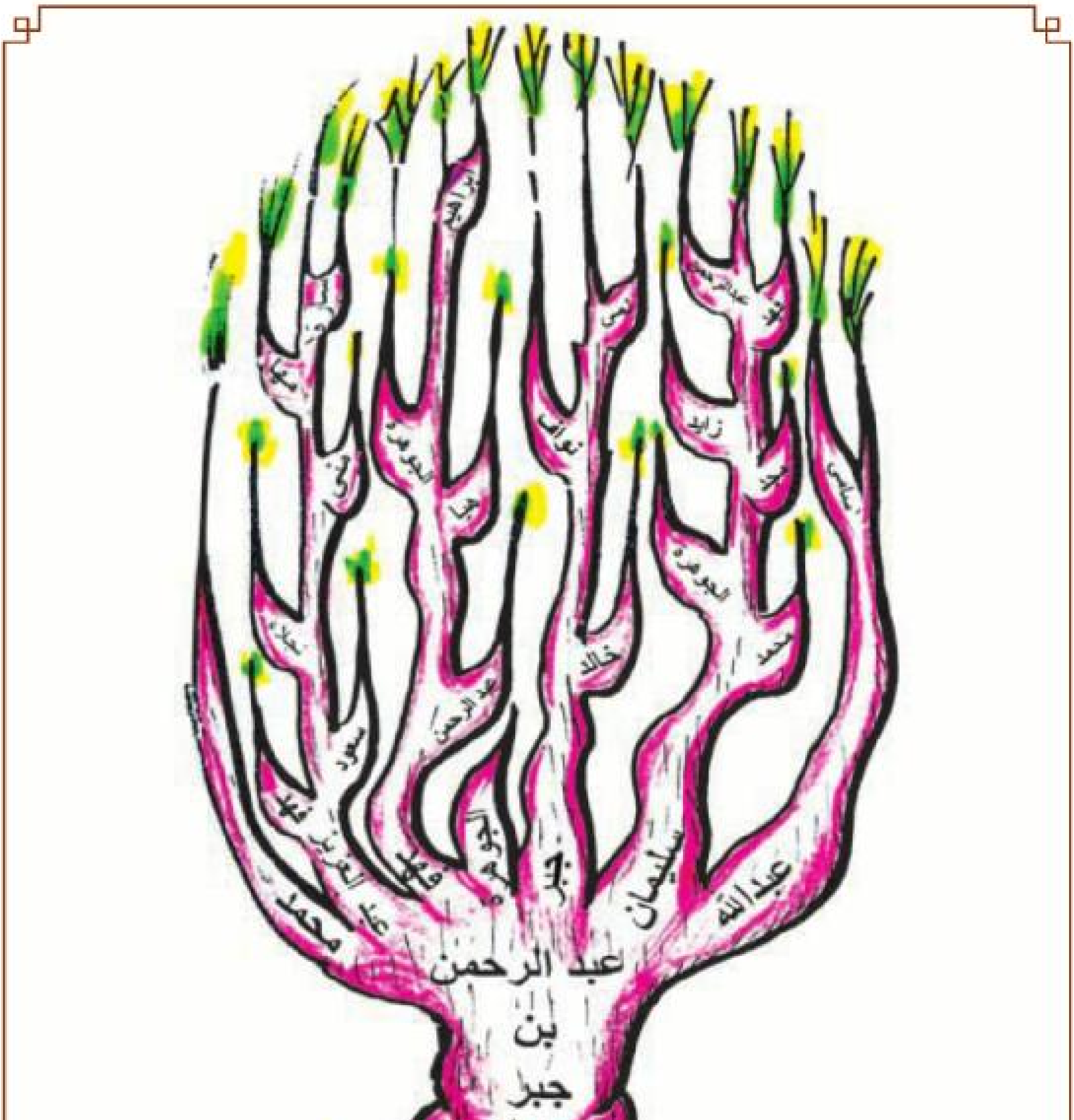
- ولسعد العبد الله الجبر آل إبراهيم ابنان هما: وليد وتركي، وابنة واحدة هي غنى.
- إيمان بنت عبد الله بن جبر آل إبراهيم زوجة سامي ابن عبد العزيز آل الشيخ ولها من الأبناء خمسة هم: العنود، شهد، سارة، عبد العزيز، لولوه.
- أما ماجد العبد الله الجبر آل إبراهيم فليس له أبناء.

فرع صالح بن جبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم وأولاده وأحفاده.



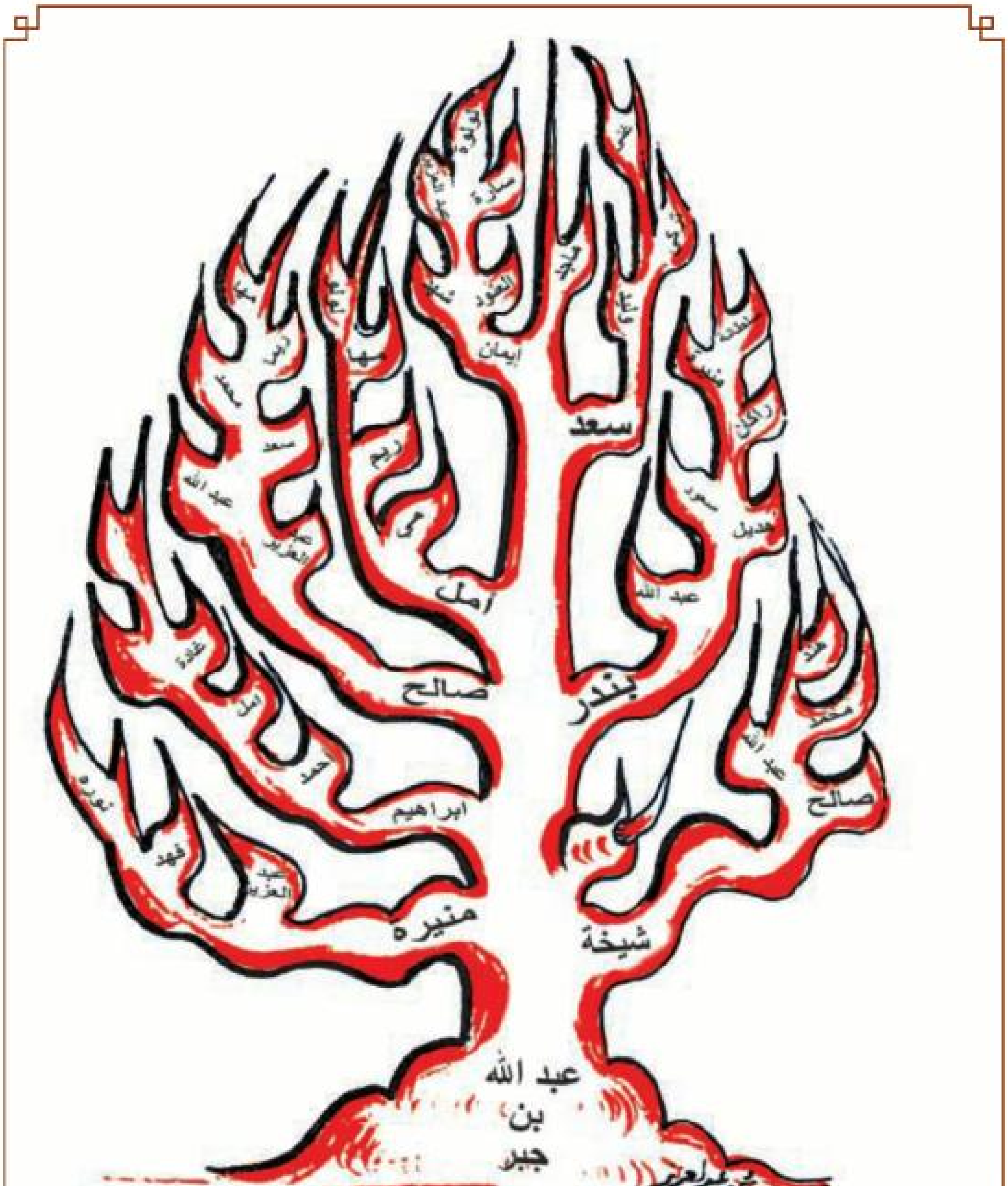
لوحة رقم (٣)

فرع عبد الرحمن بن جبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم وأولاده



اللوحة رقم (٤)

فرع عبد الله بن جبر بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم وأولاده



اللوحة رقم (٥)

محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم آل إبراهيم

ولمحمد بن إبراهيم من الأبناء: إبراهيم وعبد الله ومنيرة وحصة.

ولعبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم أربعة عشر ابناً وهم: عسيلة، محمد، طريفة، لولوة، عبد الرحمن، نوير، الجوهرة، يحيى، إبراهيم، شيخة، عبد العزيز، هدى، فوزية، خالد.

» عسيلة بنت عبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها يحيى صالح اليحيى، وأبناؤهما: صالح، وعبد العزيز، وسعود، وفهد، مشاعل (متوفاة).

» محمد العبد الله المحمد آل إبراهيم: وله ثمانية أبناء هم: أمل، عادل، عبد الإله، تغريد، وفاء، مها، الجوهرة، عبد العزيز.

- أمل بنت محمد العبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها عبد العزيز عبد الرحمن آل إبراهيم (متوفي)، وأبناؤهما: نجلاء، سعود، منى، مها،سارة، وفهد.
- ولعادل المحمد العبد الله المحمد آل إبراهيم ثلاثة أبناء هم:عبد العزيز ومحمد والجوهرة.
- ولعبد الإله المحمد العبد الله المحمد آل إبراهيم ثلاثة أبناء هم: محمد، حصة، إبراهيم.
- تغريد بنت محمد العبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها أحمد عبد الله المطوع، وأبناؤهما: عبد الله، هيفاء، الجوهرة، محمد، ونوره.

- وفاء بنت محمد العبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها ضاري عبد الله الرشيد، وأبناؤهما: فهد، والجوهرة.
- مها بنت محمد العبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها علي محمد الخيارين، وليس لها منه أبناء.
- أما عبد العزيز المحمد العبد الله المحمد آل إبراهيم فلم يتزوج بعد.

» طريفة بنت عبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها عبد الله طلق الخويتم، وأبناؤهما: إبراهيم، ونوف، ونجلاء.

» لولوة بنت عبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها حمزة عبد العزيز البدر، وابنتهما: ريم.

» عبد الرحمن العبد الله آل إبراهيم: وله ثلاثة أبناء هم: نورين، نزار، سارة.

» نوير بنت عبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها عبد العزيز سعد آل إبراهيم، وأبناؤهما: سعد، والعنود، ووليد،وغادة(متوفية)، وهيفاء.

» الجوهرة بنت عبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها عبد العزيز عجلان العجلان، وليس لديها منه أبناء.

» يحيى العبد الله المحمد آل إبراهيم: وله أربعة أبناء هم: خالد، ومحمد، وسعود، ونوره.

» أما إبراهيم العبد الله المحمد آل إبراهيم فليس له أبناء.

» شيخة بنت عبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها سعد صالح المسند، وأبناؤهما: مها، وصيتة، ومنيرة.

» ولعبد العزيز العبد الله المحمد آل إبراهيم ابن واحد هو: عبد الله.

» هدى بنت عبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها علي إبراهيم الحديثي، وأبناؤهما: عبير، هلا، فيصل، غادة، الجوهرة.

» فوزية بنت عبد الله المحمد آل إبراهيم: زوجها عبد الله صالح الحماد، وأبناؤهما: معمر، مشعل، غلا.

» أما خالد العبد الله المحمد آل إبراهيم فليس له أبناء.

وتوضح اللوحة رقم (٦) أبناء وأحفاد عبد الله بن محمد بن إبراهيم.

أما منيرة بنت محمد بن إبراهيم آل إبراهيم فلها سبعة أبناء من زوجها فهد الحمود البراك وهم: نوره، الجوهرة، حمود، منى، محمد، إبراهيم، ريما.

» وليس لنورة بنت فهد الحمود البراك أبناء وزوجها هو محمد العبد المحسن السويلم.

» وللجوهرة بنت فهد الحمود البراك ثلاثة أبناء من زوجها محمد المنصور العساف وهم فهد، وعبدالمجيد، ومها. كما لها ابنة واحدة من زوجها الثاني محمد العبد الله البراك هي العنود.

» ولحمود بن فهد الحمود البراك ولدان هما فهد، وعبدالله.

» ولمحمد بن فهد الحمود البراك ولدان هما فهد، وسعود.

» أما منى الفهد الحمود البراك فلم تتزوج.

» ولإبراهيم بن فهد الحمود البراك من الأبناء عبدالعزيز، وغادة،

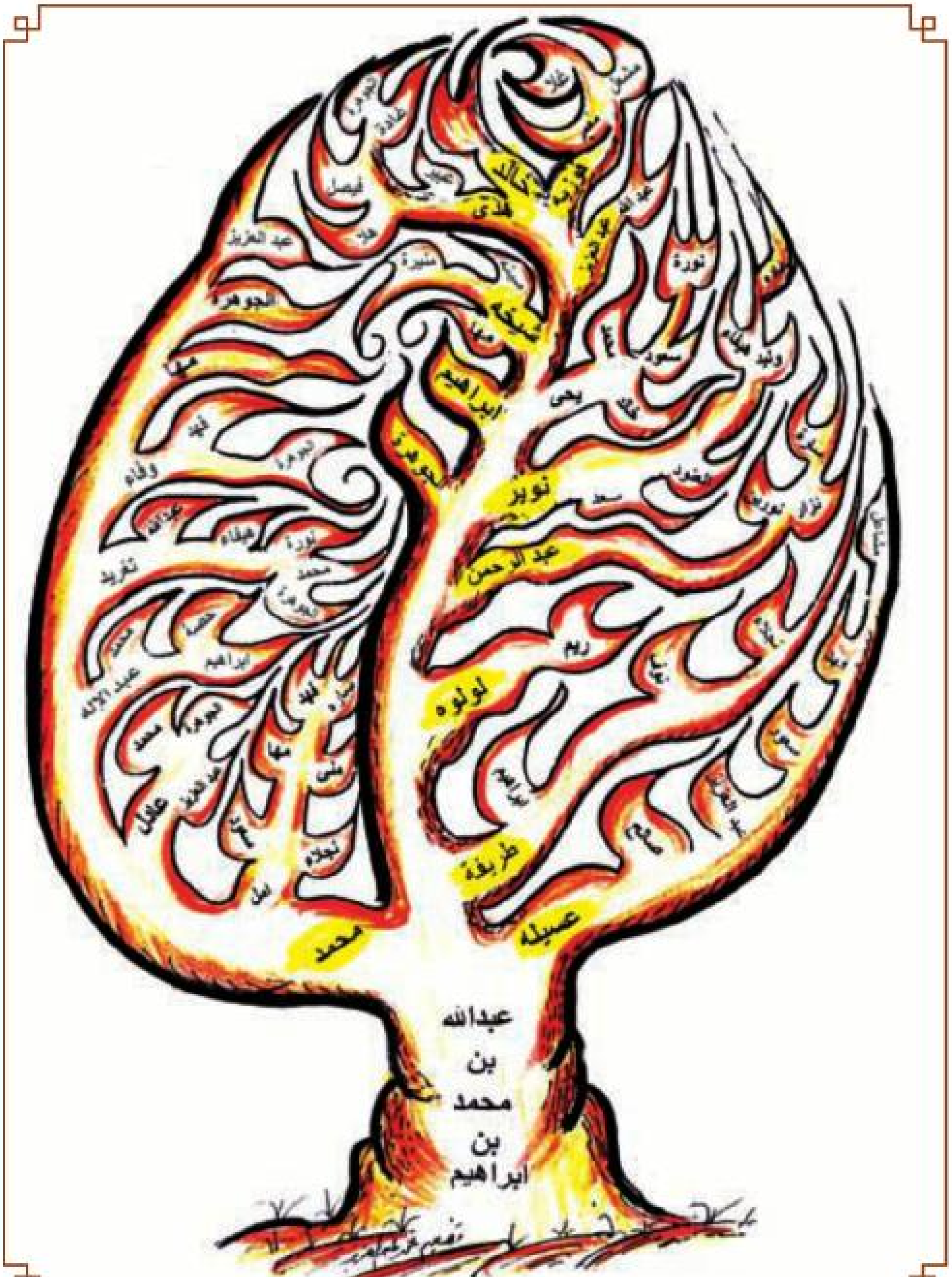
وفهده، وعريب.

» ولريما بنت فهد الحمود البراك من زوجها الأمير عبد العزيز الفهد الفيصل من الأبناء خمسة هم سلمان، وسارة، ونواف، ونوره، ونوف.

وتوضح اللوحة رقم (٧) فرع منيرة بنت محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن البراهيم.

ولحصة بنت محمد بن إبراهيم ال إبراهيم من زوجها يحيى صالح اليحيى ولدان هما حمد وسليمان.

فرع عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن آل إبراهيم



اللوحة رقم (٦)

فرع منيرة بنت محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم آل إبراهيم



اللوحة رقم (٧)

فرع الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم آل إبراهيم

وله من الأبناء: إبراهيم، حمود، نوير، غزيل، منيرة.



صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز آل سعود حفيد مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز آل سعود وحفيد الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم الإبراهيم يرحمهما الله

وللأمير إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم ستة وعشرون ولداً وبنتاً وهم:

» منيرة بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم زوجة محمد العبد الله آل إبراهيم.

- لها من الأبناء ثمانية هم: أمل، عادل، عبد الإله، تغريد، وفاء، مها، الجوهرة، عبد العزيز.

» الجوهرة بنت إبراهيم بن عبدالعزيز آل إبراهيم

- زوجة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – يرحمه الله.
- لها من الأبناء صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد ابن عبد العزيز.

» البندري بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

- لها من الأبناء خمسة من زوجها حمود بن عبد الله البراك: وهم فيصل (متوفي)، هيفاء، مي، ندا، عبد الله.
- أما فيصل فليس له أبناء.
- ولهيفاء ابنان هما: فهد، وفيصل.
- ولمي ابنان هما: فهد، ومحمد.

» أما ندا، وعبد الله فليس لهما أبناء.

» نورة بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

- زوجة إبراهيم بن محمد السليمان.
- لها من الأبناء خمسة هم: ريم، محمد، غادة، فهد، خالد.
- ولريم ثلاثة أبناء هم: أصحاب السمو الأمير تركي، الأميرة نورة، والأمير سعد، أبناء الأمير فيصل بن تركي آل سعود.
- أما محمد، وغادة، وفهد، وخالد فليس لهم أبناء.

» عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

- مكان الميلاد: مكة المكرمة
- المؤهل العلمي: حاصل على درجة البكالوريوس والماجستير في العلوم السياسة والاقتصادية من الولايات المتحدة الأمريكية.
- الحالة الاجتماعية: متزوج وله من الأبناء تسعة هم: فهد، شاهيناز، مشهور، ماجد، هيا، إبراهيم، هيفاء، خالد ونسرين.
- ولفهد بن عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم ولدان هما فيصل وعبد العزيز.
- يعمل في القطاع الخاص.
- رئيس مجلس أمناء مؤسسة إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم الخيرية.

» هند بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

- زوجة صالح بن إبراهيم المطوع.
- لها من الأبناء سبعة هم: ثامر، ماجد، طارق، هديل، خالد، إبراهيم، حصة.

» خالد بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

- من مواليد مكة المكرمة، ويحمل درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال الدولية والاقتصاد من الولايات المتحدة الأمريكية.
- يعمل في القطاع الخاص.
- له من الأبناء سبعة هم: خلود، بندر، عهود، فهد، عبد العزيز، إبراهيم، هيا.

» العنود بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

- زوجة الدكتور عبد الله إبراهيم الحديثي.
- لها من الأبناء خمسة هم: إيمان، فهد، سارة، مها، نوره.
- ولفهد بنت واحدة هي: العنود.

» موضي بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

- زوجة معالي الدكتور خالد بن محمد العنقري.
- لها من الأبناء ثمانية هم: محمد، لمى، أمل، الجوهرة، فيصل، إبراهيم، نورة، ومها.
- ولمحمد بنت واحدة هي: الجوهرة.
- أما لمى فلها من الأبناء:أصحاب السمو الأمير عبد العزيز، الأميرة الجوهرة، الأميرة ديما، الأمير فهد. من زوجها الأمير تركي بن عبدالعزيز الفهد الفيصل
- وأمل ليس لها أبناء.
- والجوهرة لها ابن واحد هو: صاحب السمو الأميرفهد بن سعود بن سلطان آل سعود.

- أما فيصل فله ابنان هما: فهد، موضي.
- أما إبراهيم، ونوره، ومها فليس لهم أبناء.

» سعود بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم.

- من مواليد الرياض، ويحمل درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال من الولايات المتحدة الأمريكية.
- عمل مستشارًا في الديوان الملكي، هو الآن رجل أعمال.
- له من الأبناء سبعة هم: إبراهيم، هيا، فهد، عبد الرحمن، ماجد، عبد الله، عبد العزيز.

» منصور بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم.

- من مواليد القنفذة، ويحمل درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال.
- يعمل في القطاع الخاص.
- له من الأبناء أربعة: سارة، إبراهيم، نورة، الجوهرة.

» فهد بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم.

- من مواليد الطائف، ويحمل درجة الدكتوراه.
- يعمل مستشاراً في الديوان الملكي.
- له من الأبناء تسعة هم: نوره، عبد العزيز، إبراهيم، فهدة، خالد، محمد، عبد الرحمن، الجوهرة، سلطان.

» محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم.

- من مواليد الرياض، ويحمل درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال.
- يعمل في القطاع الخاص.

- له من الأبناء ثمانية هم: الجوهرة، ديما، فهد، هيا، عبد العزيز، فيصل، ياسمين، نورة.

» وليد بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم.

- من مواليد مدينة الطائف، ويحمل درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال من الولايات المتحدة الأمريكية.
- يعمل في القطاع الخاص في مجال الإنتاج الإعلامي والبث الفضائي.
- له من الأبناء ثلاثة هم: خالد، هيا، ماجد.

» بدر بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم.

- من مواليد مكة المكرمة، ويحمل درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال.
- يعمل في القطاع الخاص
- له من الأبناء اثنا عشر هم: نوره، الجوهرة، فهد، ياسمين، فيصل، بدور، خالد، عبد العزيز، لانا، مها، سعود، عبدالله.

» مها بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

- زوجة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود.
- لها من الأبناء خمسة هم: صاحبة السمو الملكي الأميرة حصة، صاحب السمو الملكي الأمير فيصل، صاحب السمو الملكي الأمير سعود، صاحب السمو الملكي الأمير فهد، صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله.

» منى بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

- زوجة صاحب السمو الملكي الأمير منصور بن ناصر بن عبد العزيز آل سعود.
- لها من الأبناء خمسة هم: صاحب السمو الملكي الأمير فهد، صاحبة السمو الملكي الأميرة الجوهرة، صاحب السمو الملكي الأمير سلطان، صاحبة السمو الملكي الأميرة نورة، صاحبة السمو الملكي الأميرة ريما.

» ماجد بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم.

- من مواليد مكة المكرمة، ويحمل درجة البكالوريوس في إدارة الأعمال.
- يعمل في القطاع الخاص.
- له من الأبناء ثلاثة هم: هيا، غالية، فيصل.

» غادة بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

- زوجة الأمير منصور بن الثنيان آل سعود.
- لها من الأبناء أربعة هم: صاحب السمو الأمير فهد، صاحبة السمو الأميرة نورة، صاحب السمو الأمير عبد العزيز، صاحبة السمو الأميرة الجوهرة.

» سلطانة بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم

- زوجة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد المجيد بن عبدالعزيز
- لها من الأبناء ثلاثة هم: صاحب السمو الملكي الأمير

عبدالعزيز، صاحب السمو الملكي الأمير تركي، صاحبة السمو الملكي الأميرة العنود.

» سلطان بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم.

• من مواليد مكة المكرمة، ويحمل درجة البكالوريوس في العلوم السياسية.

• يعمل في وزارة الخارجية.

• له من الأبناء أربعة هم: محمد، عبد العزيز، فهد، عبد المجيد.

» نواف بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم.

• من مواليد الرياض.

• له أربعة أبناء هم: عبد العزيز، نوره، الجوهرة، مها.

» تركي بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم.

• من مواليد الباحة.

• له من الأبناء اثنان هما: الجوهرة، لانا.

» مشاعل بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم ليس لها أبناء.

» نوف بنت إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم ليس لها أبناء.

» فيصل بن إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم ليس له أبناء.

» وتوضح اللوحتان رقما (٨)، (٩) أبناء وبنات الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم وأحفاده.

ولحمود بن عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم من الأبناء ثمانية هم: ابتسام، هند، عبدالعزيز، أريج، نايف، نوف، بندر، الجوهرة.

ولابتسام بنت حمود بن عبدالعزيز بن إبراهيم من زوجها عبدالعزيز ابن عبداللطيف العبداللطيف ستة أبناء هم: نايف، فهد، سعود، نوره، إبراهيم، خالد.

كما أن لهند بنت حمود بن عبدالعزيز بن إبراهيم من زوجها أحمد قاسم العبيد أربعة أبناء هم: نواف، نوره، سارة، الجوهرة.

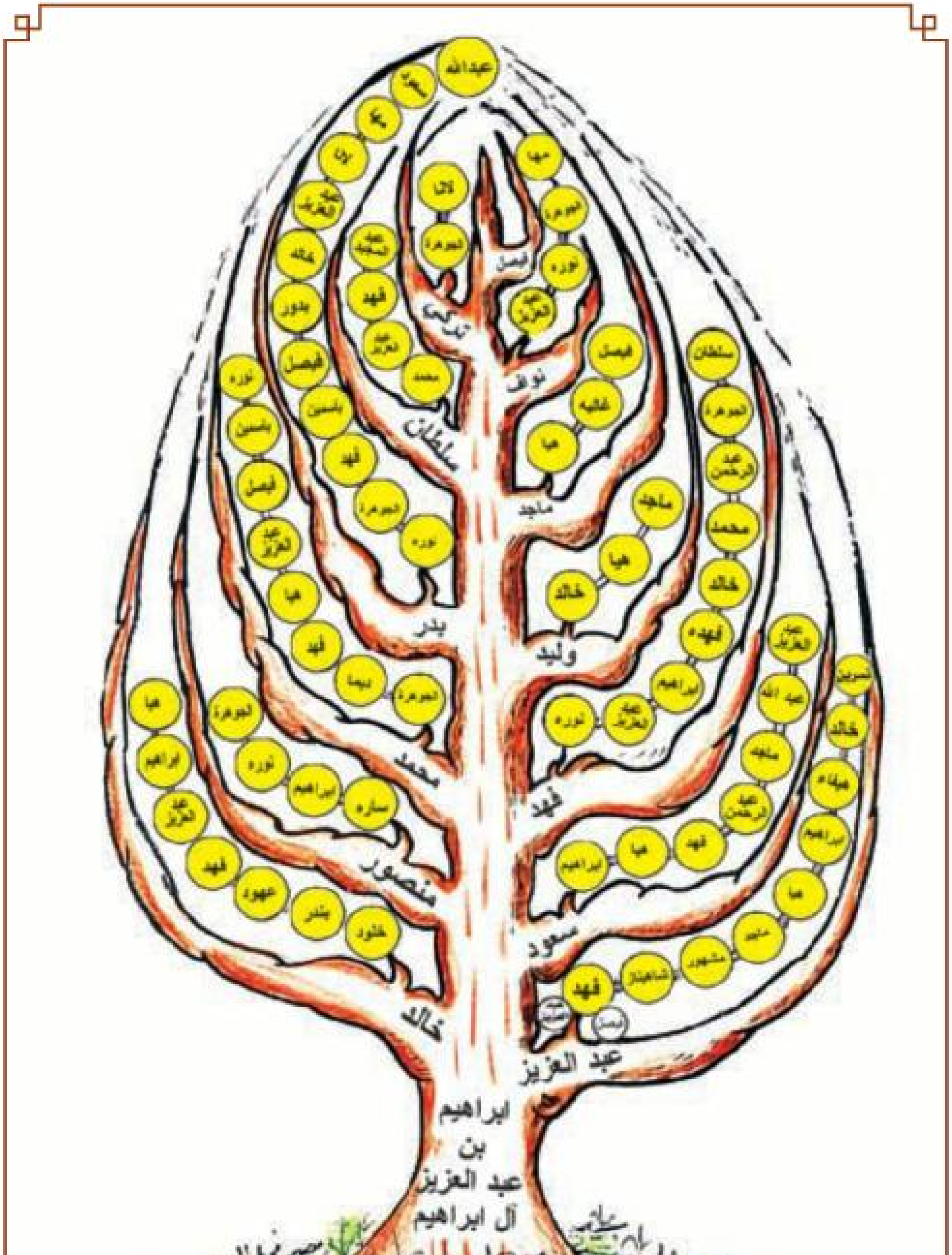
ولعبدالعزيز بن حمود بن عبدالعزيز بن إبراهيم ثلاثة أبناء هم: سعود، سعد، نوره. كما تبين اللوحة رقم (١٠) فرع حمود بن عبدالعزيز آل إبراهيم.

ولنوير بنت عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم من زوجها عبد الله الجبر آل إبراهيم بنت واحدة هي منيرة.

ولغزيل بنت عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم من الأبناء حسين حمود الجراد وسامي عبد الله آل إبراهيم.

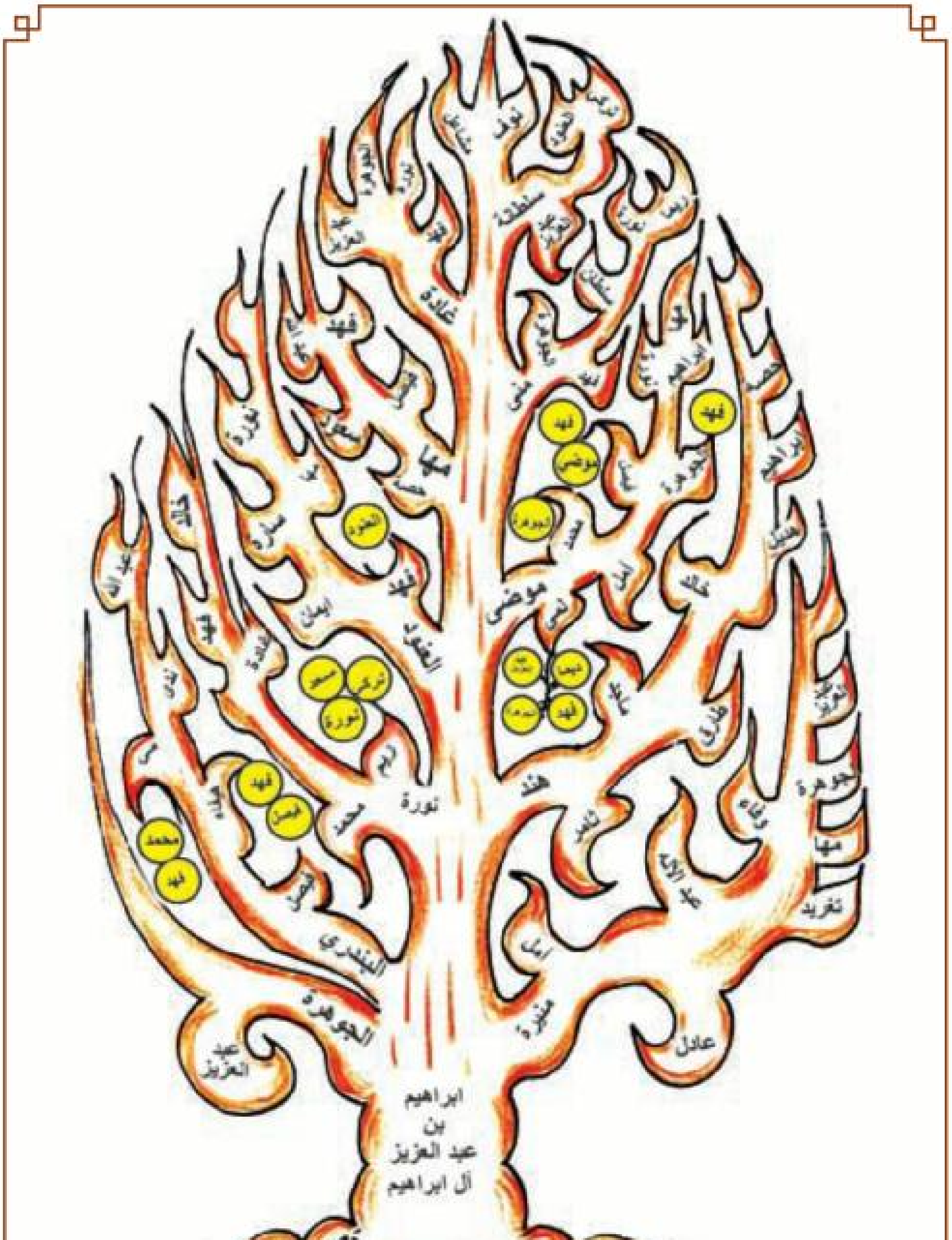
أما منيرة بنت عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم فهي زوجة عبد الله بن محمد آل إبراهيم، وأولادها تم إيراد أسمائهم في صفحة (٦٥) وفي اللوحة رقم (٦).

أبناء الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم



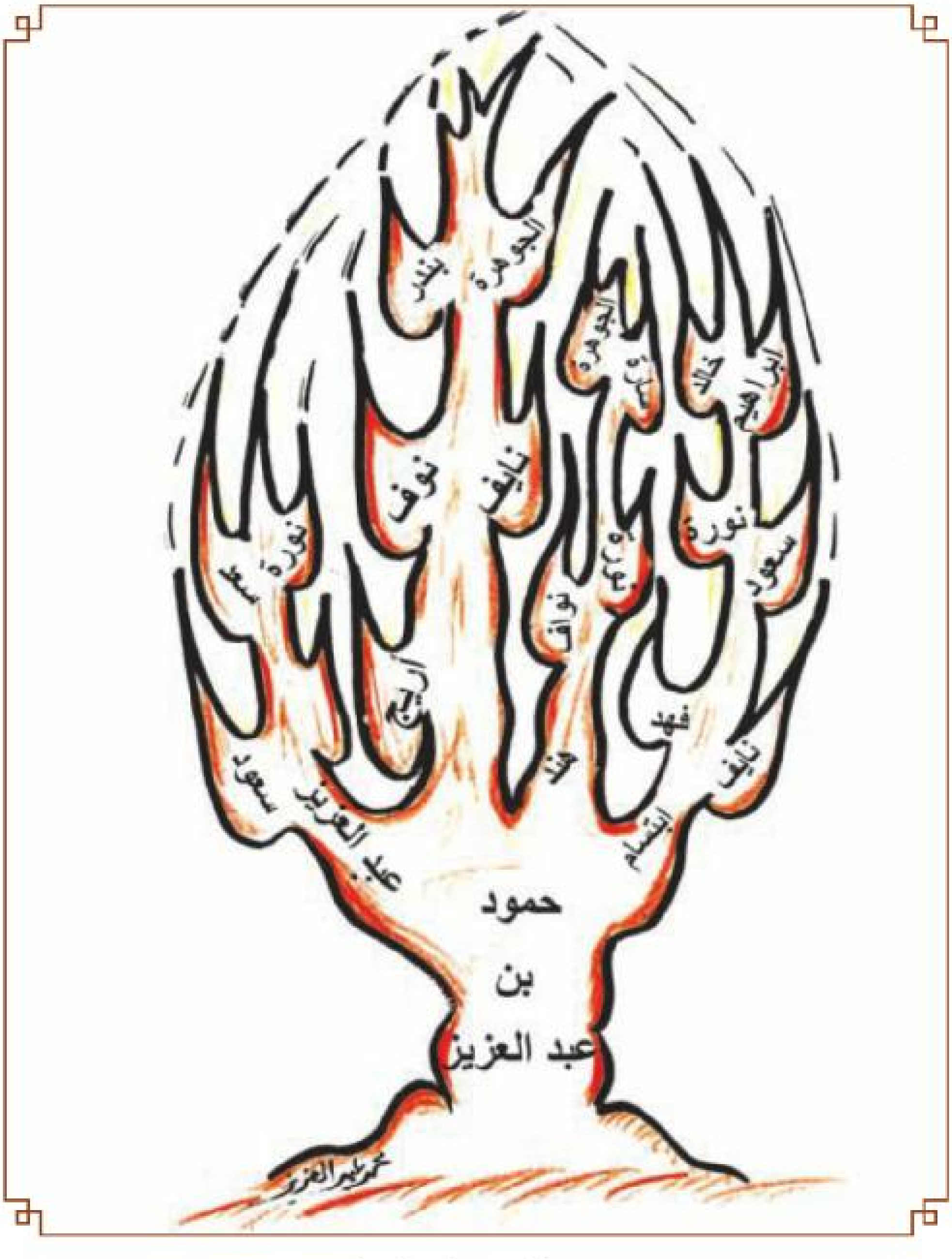
اللوحة رقم (٨)

بنات الأمير إبراهيم بن عبد العزيزبن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم



اللوحة رقم (٩)

فرع حمود بن عبد العزيز بن إبراهيم وأبنائه وأحفاده.



اللوحة رقم (١٠)

سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم آل إبراهيم

ولسعد بن إبراهيم من الأبناء عشرة وهم: عبد الرحمن، ومحمد، وعبدالعزيز، ومنيرة، وحمود، وإبراهيم، وعبد الله، ونورة، وخالد، وجبر.

» عبد الرحمن السعد آل إبراهيم (متوفى)

- له من الأبناء: سعد، طريفة، ونورة
- ولسعد بن عبد الرحمن السعد ولد واحد هو: عبد الرحمن.

» محمد السعد آل إبراهيم (متوفى)

- له ستة عشر ابناً وهم: موضي، خالد، منيرة، نوير، إبراهيم،سعد، عبد الله، تركي، غادة، أريج، عبد العزيز، حمود، فهد، عبير، مها، نايف.
- ولخالد محمد السعد ثلاثة أبناء هم: محمد، وولاء، ومي.
- ولإبراهيم محمد السعد ابنتان هما: أفنان، والعنود.
- ولسعد محمد السعد ولد واحد هو: محمد
- أما عبد الله محمد السعد فقد (توفي).
- وأما تركي، وعبد العزيز فليس لهما أبناء
- ولحمود محمد السعد ولد واحد هو: محمد.
- أما فهد ونايف محمد السعد فليس لهما أبناء.

» عبد العزيز السعد آل إبراهيم

تقلد عدة مناصب حكومية، حالياً يعمل مشرفاً عاماً على مكتب سمو وزير الداخلية بالمرتبة الممتازة.

له ثمانية أبناء هم:

- نوال: ولها من الأبناء ستة من زوجها الدكتور صالح بن محمد العمرو، وهم: مها، ولها من الأبناء اثنان من زوجها المحامي محمد التركي هما: سارة، وتركي، وعبد العزيز، ويزيد، ونايف، وعبد الله والعنود.
- عبد الله: حاصل على درجة الماجستير في الإدارة العامة من الولايات المتحدة الأمريكية، ويعمل في مكتب سمو وزير الداخلية، له من الأبناء اثنان هما: خالد وخلود.
- حصة: لها من الأبناء أربعة من زوجها رجل الأعمال خالد بن ناصر الشتري، وهم: مها، وعبد العزيز، وسعد، وناصر.
- سعد: ويعمل في مكتب سمو وزير الداخلية، وله ثلاثة أبناء هم: نايف، وسارة، وعبد العزيز.
- وليد: حاصل على درجة البكالوريوس في القانون، وله من الأبناء اثنان: هما: نورة وخالد.
- غادة: (متوفية – رحمها الله –).
- العنود: لها من الأبناء ثلاثة من زوجها المهندس عصام بن عثمان بن إبراهيم الجبير، هم: سلطان، وغادة، وعبد العزيز.
- هيفاء

» منيرة السعد آل إبراهيم

» حمود السعد آل إبراهيم

- له خمسة أبناء وهم: سعد، لمى، كمال، زياد، وعبير.
- ولسعد بن حمود السعد أربعة أبناء هم: حمود، عبد الرحمن، غدير، ولولوة.

- أما كمال حمود السعد فله من الأبناء: وليد، خالد، وشهد.

» إبراهيم السعد آل إبراهيم

حاصل على درجة الماجستير بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف في الإدارة العامة من الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٥م، له سبعة من الأبناء، هم:

- أريـج: لها من الأبناء ثلاثة من زوجها عبد الإلـه المحمد البراهيم، وهم: محمد، حصة، وإبراهيم.
- هند.
- هديل.
- نوف.
- أمل.
- مها.
- بهيج.
- عين بديوان رئاسة مجلس الوزراء مديراً عاماً للشؤون المالية والموظفين والأنظمة والمشاريع عام ١٩٧٦م.
- عين بوزارة الخدمة العامة مديراً عاماً للتوظيف والامتحانات.
- عمل أستاذاً محاضراً غير متفرغ بمعهد الإدارة العامة بالرياض.
- عين مستشاراً في الديوان الملكي.
- عين أميناً عاماً مساعداً بجامعة الدول العربية.
- عين سفيراً لخادم الحرمين الشريفين في الجمهورية التونسية ثم لدى جمهورية مصر العربية ثم مرة أخرى في الجمهورية التونسية، وحالياً لدى دولة الإمارات العربية المتحدة.
- ترأس وفد جامعة الدول العربية في الاجتماع التنسيقي بين الأمم

المتحدة وجامعة الدول العربية المنعقد في المملكة الأردنية الهاشمية.

- رأس وفد جامعة الدول العربية إلى مؤتمر الإسكان في المسكيك عام ١٩٨٥م.
- أسهم في إعداد إستراتيجية التنمية الاجتماعية في الوطن العربي أثناء عمله أميناً مساعداً بجامعة الدول العربية.
- شارك في اجتماعات القمة العربية في جامعة الدول العربية كعضو في الوفد السعودي من العام ١٩٩٦م إلى ٢٠٠٥م.
- شارك في القمة العالمية الثانية لمجتمع المعلومات المنعقدة بتونس عام ٢٠٠٥م.
- حاصل على درع من جامعة الدول العربية.
- حاصل على وسام الجمهورية التونسية من الصنف الأول.
- حاصل على درع من جمهورية مصر العربية تقديراً لجهوده في تنمية العلاقات المصرية السعودية.

» نورة السعد آل إبراهيم

» عبد الله السعد آل إبراهيم

- له سبعة أبناء وهم: ريم، سعد، أروى، محمد، عبد العزيز، عبدالرحمن، ونوف.

» خالد السعد آل إبراهيم

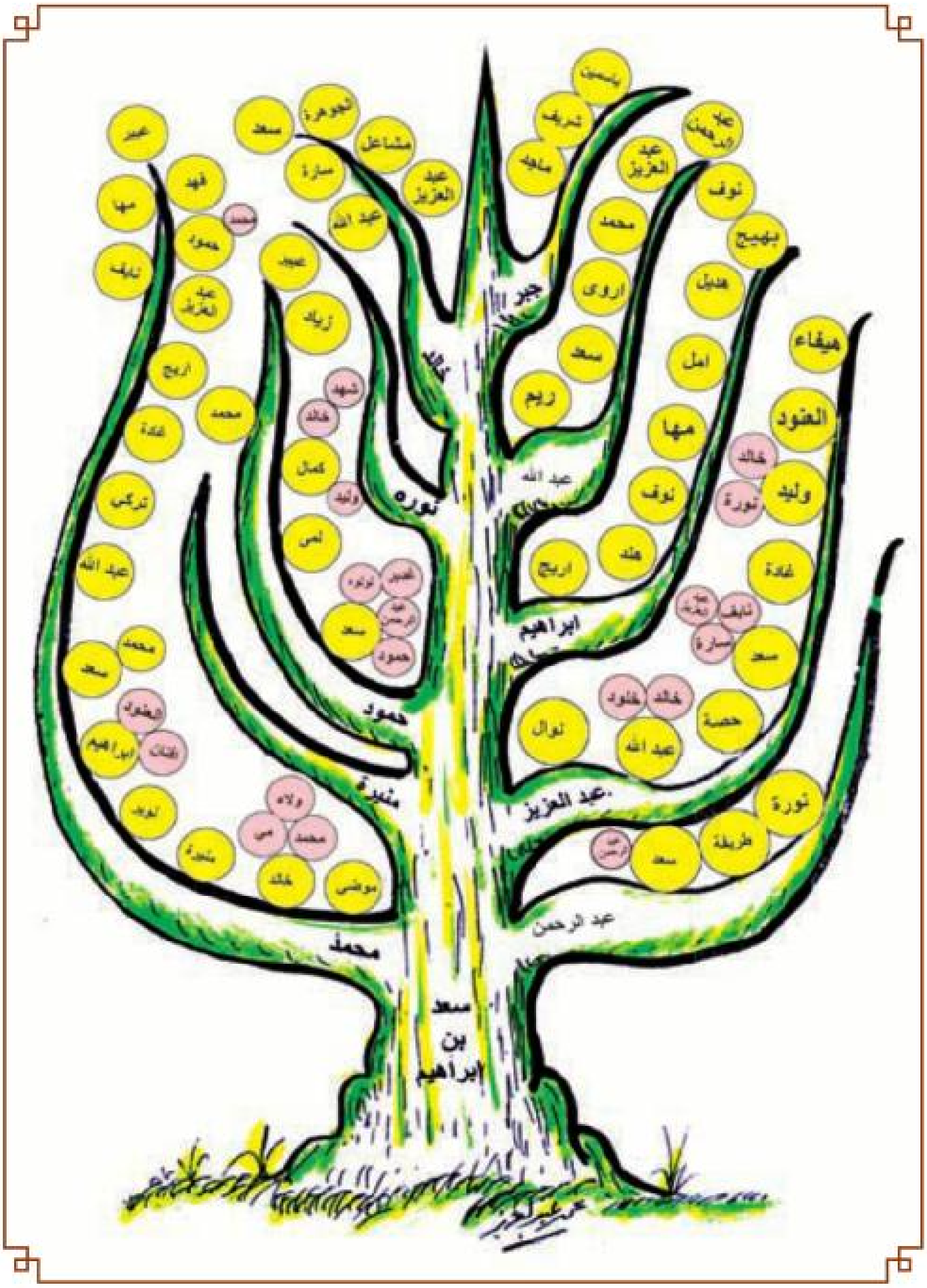
- له ستة أبناء هم: عبد العزيز، مشاعل، الجوهرة، سعد، سارة، وعبداللة.

» جبر السعد آل إبراهيم

- له ثلاثة أبناء هم: ماجد، شريف، وياسمين.

وتوضح اللوحة رقم (١١) أبناء وبنات وأحفاد سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن البراهيم.

أبناء وبنات وأحفاد سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم



اللوحة رقم (١١)

الفصل الثاني

علاقة آل إبراهيم بالأسرة السّعودية الحاكمة

محتويات الفصل الثاني

علاقة آل إبراهيم بالأسرة السّعودية الحاكمة

- بداية علاقة آل إبراهيم بالأسرة السعودية الحاكمة.
- عبد الرحمن بن إبراهيم آل إبراهيم في واحة البريمي.
- عبد الرحمن بن إبراهيم آل إبراهيم أميراً على القصيم.
- عبد الرحمن بن إبراهيم آل إبراهيم أميراً على الأفلاج.
- تجدد العلاقة بين الأسرة السعودية الحاكمة وأسرة آل إبراهيم.
- فتح حائل وظهور عبد العزيز بن إبراهيم.
- رسول السلام.

الفصل الثاني

علاقة آل إبراهيم بالأسرة السعودية الحاكمة

ترجع علاقة أسرة آل إبراهيم بالأسرة السعودية الحاكمة إلى عهد الإمام فيصل بن تركي عام ١٢٥٩هـ، ومشاركتهم إياه في مواجهة مصاعب حكمه، ثم تجددت العلاقة وازدهرت مع ظهور البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، يرحمه الله، فوجه هذه العلاقة وجهة جديدة، وربط الأسرة وأبناءها الكبار بخطوات حكمه وتوحيده للجزيرة.

عاد الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود – يرحمه الله– إلى نجد عام ١٢٥٩هـ، في عهد الدولة السعودية الثانية، بعد أن أمضى زهرة شبابه أسيراً عند الأتراك بمصر، وكانت عودته هذه تمثل المرحلة الثانية من حكمه، وهي مرحلة مليئة بالمتاعب والأحداث كسابقتها.

وقد هبّ لاستقبال الإمام فيصل صديقه القديم من بلاد شمر عبد الله بن رشيد، وسرعان ما بدأ الإمام في توطيد حكمه منطلقًا من الرياض، للقضاء على الفتن والثورات، وكذلك صد المطامع الأجنبية، برغم أن حدتها قد خفت عمّا كانت عليه في فترة حكم الإمام فيصل الأولى. فقد تمتعت الدولة السعودية الثانية في فترة الحكم الثاني لفيصل بالاستقلال الكامل بعيدًا عن أي نفوذ خارجي باستثناء التبعية الاسمية للدولة العثمانية[١].

---

(١) محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان، الأحوال السياسية في القصيم، ص١٤٢.

ولم تقتصر جهود الإمام فيصل وحملاته على المناطق المجاورة، بل إنه أرسل رجاله وسراياه إلى إمارتي قطر وعُمان، ففي عام ١٢٦٣هـ أرسل سرية إلى عُمان بقيادة عبد الرحمن بن إبراهيم آل إبراهيم وفق تعليمات خاصة من الإمام فيصل – يرحمهما الله – لتنفيذ المهمة المكلف بها، والتي تقضي باتخاذ البحرين قاعدة للقوات السعودية، بعد أن تنضم إليها حامية الإحساء(١).

عبد الرحمن بن إبراهيم في واحة البريمي:

يذكر المؤرخ عبد الفتاح أبو علية في كتابه "الدولة السعودية الثانية" أن الإمام فيصل بن تركي أرسل الأمير عبد الرحمن بن إبراهيم حاكماً على البريمي بدلاً من سعد بن مطلق، وأن الأمير عبد الرحمن سار من الأحساء وبرفقته عشرون رجلاً أرسلهم معه حاكم الأحساء أحمد السديري عام ١٢٦٣هـ، ويضيف أبو علية أن رحلة حاكم البريمي الجديد عبد الرحمن ابن إبراهيم كانت عن طريق البر بواسطة ميناء العقير المقابل لجزر البحرين في الخليج(٢).

ويشير المؤرخ إلى أن عبد الرحمن بن إبراهيم بقي في البريمي إلى أن دب الخلاف بين الحامية السعودية هناك وحاكم أبو ظبي سعيد بن طحنون، وكانت النتيجة حدوث مواجهة عسكرية سقطت على إثرها حصون البريمي بيد ابن طحنون عام ١٢٦٤هـ، ومع ذلك فقد بقي الحكم

(١) سنت جون فيلبي، تاريخ نجد، ص٣٠٥.

(٢) عبد الفتاح أبو عليه، الدولة السعودية الثانية، ص١٣٦.

السعودي في واحة البريمي، لكنه كان متقطعاً ومعرضاً لصعوبات متعددة، إلى أن أرسل الإمام فيصل بن تركي ابنه عبد الله عام ١٢٦٨هـ، لتثبيت السلطة السعودية فيها، والإبقاء عليها كمركز مهم للنفوذ السعودي في منطقة الخليج(١).

وكان عبد الرحمن بن إبراهيم قد شغل، قبل تعيينه حاكمًا على البريمي، منصب أمير ضرماء من قبل الإمام فيصل بن تركي(٢).

عبد الرحمن بن إبراهيم أميرًا على القصيم:

شغلت القصيم بأحداثها المختلفة بال الإمام فيصل بن تركي مدة من الزمن، حدثت خلالها مواقع حربية معروفة، أدت إلى عدم استقرار الأوضاع في هذا الجزء من البلاد، الأمر الذي اضطر الإمام فيصل إلى التغيير المستمر للقادة والأمراء، الذين كان – يرحمه الله – يوكل إليهم مهام قيادة السرايا أو مهام الإمارة في القصيم. وكان الأمير عبد الرحمن بن إبراهيم أحد القادة الذين كلفوا بمهام حربية في القصيم، كما كان – يرحمه الله – أحد الأمراء الذين تقلدوا منصب الإمارة هناك.

ففي شعبان عام ١٢٧٠هـ، أقدم أهالي عنيزة على إخراج الأمير جلوي ابن تركي أخي الإمام فيصل، الذي كان أميرًا على كل منطقة القصيم، من مركز إمارته في عنيزة(٣)، وقد أدت هذه الحادثة إلى عزم الإمام فيصل

(١) عبد الفتاح أبو عليه، الدولة السعودية الثانية، ص١٣١.

(٢) عبد الرحمن بن حمد بن زيد، المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب، ص٥١٧.

(٣) محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان، الأحوال السياسية في القصيم، ص١٨٧.

على محاربة عنيزة، وأعد لذلك خطة تتضمن إرسال سرية من أهل الرياض وما حولها لقطع الطرق المؤدية إلى مدينة عنيزة، كما تقضي خطة الإمام فيصل بأن يتوجه ابنه عبد الله بن فيصل إلى عنيزة بباقي الجنود من مختلف أقاليم الدولة. وقد نفذت الخطة فعلاً، حيث قام الإمام فيصل بإرسال سرية بقيادة عبد الرحمن بن إبراهيم مؤلفة من أهل الرياض وضرما والقويعية، وأمرهم أن يقطعوا سابلة أهل عنيزة[1] (أي طريق مدينتهم)، وسار عبد الرحمن بن إبراهيم بمن معه، حيث أغاروا على أطراف عنيزة، وأخذوا ما وجدوه من المواشي واستقروا ببريدة، وكانت مهمة هذه السرية التحقق من مدى استعداد أهل عنيزة للحرب وتقدير قوتهم، وفي أعقاب ذلك قام عبد الله بن فيصل بالاندفاع صوب عنيزة تتبعه جموع كثيرة، وعندما شعر أهل عنيزة بضعف مركزهم، وأنهم لا قبل لهم بقتال جيش الإمام فيصل، أذعنوا لمطالب الإمام، فعاد عبد الله بن فيصل وعمه جلوي إلى الرياض.

أما في بريدة فقد قام الإمام فيصل بن تركي، في جمادى الأولى من عام ١٢٧٦هـ، بإطلاق سراح أميرها عبد العزيز آل أبو عليان، بعد أن حبسه لتيقنه من أن له يدًا في مقتل عبد الله بن عدوان، الذي تولى إمارة بريدة بعد أبو عليان، وعاد الأخير أميراً على بريدة من جديد، إلا أنه رحل هو وأولاده ورجال من عشيرته وخدامه عام ١٢٧٧هـ، بعد أن اعتقد أن نزول عبد الله بن فيصل بقواته روضة الربيعية – شرق بريدة – إثر انتصاره على العجمان، كان حركة موجهة ضده.

(١) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج١، ص٣٤٦.

وقد توجه أبو عليان أولاً إلى عنيزة، ثم بعد ذلك إلى مكة صحبةَ جماعةٍ من أهل عنيزة، إلا أن عبد الله بن فيصل علم بالخبر، فأرسل رجاله وراءهم وقتل منهم سبعة رجال كان من بينهم عبد العزيز آل أبو عليان وأولاده الثلاثة(١). وأرسل عبد الله بن فيصل إلى أبيه يطلب منه تعيين أمير على بريدة، فعين عليها عبد الرحمن بن إبراهيم(٢).

و لم يَرُقْ لأهل عنيزة ما حدث، وساءهم قتل ضيفهم عبد العزيز آل أبو عليان بهذه الصورة، وكان ذلك سببًا في سوء علاقتهم بحكومة الإمام فيصل، كما يروي بعض المؤرخين(٣)، وبدأت بوادر الحرب بين جيش الإمام فيصل وأهل عنيزة مرة أخرى.

كتب الإمام فيصل إلى أمير بريدة عبد الرحمن بن إبراهيم يأمره بالإغارة على أطراف عنيزة، وأرسل إليه مددًا بقيادة صالح بن شلهوب(٤)، وتعاون الإثنان بقيادة ابن إبراهيم على تحقيق الهدف الذي حدد لهما، وهو الإغارة على أطراف عنيزة، وهو تكتيك حربي اتبعه الإمام فيصل في حربه مع عنيزة في المرة الأولى، يقصد منه استنزاف قوتهم والتعرف على مدى استعدادهم للحرب. وقد اتسم قتال ابن إبراهيم لأهل عنيزة بالكر والفر، إلا أن ذلك شجع أهل عنيزة؛ فتحولوا من الدفاع إلى الهجوم، وأثار ذلك الإمام فيصل الذي أعلن الجهاد في جميع أقاليم الدولة، فتجمع لدى أمير

(١) محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان، الأحوال السياسية في القصيم، ص٢٠٠ - ٢٠١.
(٢) إبراهيم بن صالح بن عيسى، عقد الدرر، طبعة وزارة المعارف، ص٣٤.
(٣) محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان، الأحوال السياسية في القصيم، ص٢٠١.
(٤) إبراهيم بن صالح بن عيسى، عقد الدرر، ص٣٧.

بريدة عبد الرحمن ابن إبراهيم قوة كبيرة خرج بها لغزو عنيزة في رواق[١]، بين بريدة وعنيزة.

وحين علم أهل عنيزة بالخبر لم ينتظروا قدومه، وخرجوا لملاقاته، وكان لهذه المبادرة أثرها حيث مالت موازين المعركة لصالح أهل عنيزة، فآثر ابن إبراهيم الانسحاب برجاله نحو بريدة، متحملاً مسؤولية ذلك أمام الإمام فيصل بن تركي الذي قرر استدعاءه إلى الرياض[٢]، وتعيين محمد بن أحمد السديري أميرًا على بريدة[٣].

عبد الرحمن بن إبراهيم أميراً على الأفلاج:

عاد الأمير عبد الرحمن بن إبراهيم إلى (أبا الكباش) وأقام فيها، وعندما علم الإمام فيصل بن تركي بقدومه وبمرضه، خرج إليه - يرحمه الله - من الرياض، واسترضاه، وعينه أميرًا على الأفلاج[٤].

وهكذا فإن علاقة الأمير عبد الرحمن بن إبراهيم، وأسرة آل إبراهيم، بالدولة السعودية الثانية لم تنته بانتهاء إمارة ابن إبراهيم في القصيم، بل إن هذه العلاقة استمرت وازدادت توطداً ورسوخاً، من خلال ما كان يوكل إلى أفراد هذه الأسرة من أدوار ومسؤوليات.

وقد بقي عبد الرحمن بن إبراهيم أميراً على الأفلاج حتى كبرت

(١) محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان، الأحوال السياسية في القصيم، ص٢٠٤.

(٢) إبراهيم بن صالح بن عيسى، عقد الدرر، ص٣٨.

(٣) المرجع السابق، ص٤٠.

(٤) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

سنه وكف بصره، فَتَولّى الإمارة من بعده ابنه إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم، وكان ذلك في عهد الإمام عبد الله بن فيصل[1].

كانت فترة حرجة تلك التي قضاها الأمير إبراهيم في الإمـارة، من حيث كثرة القلاقل والفتن، بعد أن دب الخلاف بين الإمام عبد الله بن فيصل وإخوانه، وكان هذا الخلاف فرصة ثمينة لمحمد بن رشيد أمير حائل وجبل شمر استغلها ليبسط سلطانه على الرياض، ومن ثم على كل نجد، لينتهي بذلك حكم الدولة السعودية الثانية[2]. فحينما استنجد به عبد الله ابن فيصل، بعد أن سجنه أبناء أخيه، زحف ابن رشيد على الرياض، وأطلق سراحه وأخذه معه إلى حائل، وعين سالم بن سبهان حاكمًا على الرياض عام ١٣٠٥هـ[3].

وفي ربيع الآخر من عام ١٣٠٧هـ، توفي الأمير عبد الله بن فيصل، بعد أن نقله أخوه الأمير عبد الرحمن إلى الرياض، وتولى الإمام عبد الرحمن ابن فيصل الحكم بعد أخيه، وحاول جاهدًا استعادة سلطة الدولة السعودية، إلا أن الظروف لم تساعده، فقد انفصلت عن الدولة معظم القبائل، سأمًا من كثرة الحروب، فتوجه إلى قطر ثم إلى الكويت وأقام هناك، في انتظار بزوغ فجر جديد، يبسط نوره على أرجاء الجزيرة، ليسطر الإعجاز ويخلد الإنجاز العبقري ابنه عبد العزيز.

(١) عبد الرحمن بن حمد بن زيد، المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب، ص٥١٧.
(٢) عبد الفتاح أبو علية، الدولة السعودية الثانية، ص١٨٥.
(٣) إبراهيم بن صالح بن عيسى، عقد الدرر، ص٨٨، ٨٩.

أما الأمير إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم، فقد انتقل مع أسرته إلى حائل عام ١٣١٥هـ[١] بعد أن طلب ذلك منه ابن رشيد، واستوطن هناك، ليبدأ فصلٌ جديد في علاقة أسرة آل إبراهيم بالأسرة السعودية الحاكمة، وفي خدمة الدولة السعودية.

تجدد العلاقة بين آل إبراهيم والأسرة السعودية الحاكمة:

كانت وفاة الإمـام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ، بداية الانهيار والنكبات التي حلت بأسرة آل سعود في عهد الدولة السعودية الثانية، والتي تمثلت في تنازع أولاده الإمامة حتى ضعف أمرهم، وأصبحوا مطمعاً لابن رشيد الذي انطلق من عاصمة إمارته حائل ليحتل أقاليم نجد واحدًا تلو الآخر، حتى وصل إلى الرياض التي دخلها بحجة إنقاذ الإمام عبد الله بن فيصل من سجن ولدي أخيه سعد بن فيصل، لكنه لم يترك الرياض إلا بعد أن استولى على الحكم فيها، وأقام فيها حامية قوية، وعين عليها حاكمًا يدين لآل رشيد بالولاء.

لكن الليل الطويل الذي أرخى سدوله على هذه البلاد، في ظل حكم آل رشيد، كان لابد له من آخر، فقد قيّض الله لهذه الأمة ابنًا بارًا من أبنائها، يعيد للوطن المشتت وحدته وتماسكه، ويعيد لأسرة آل سعود مُلكها السليب، ويرفع الظلم والبطش عن كاهل الناس، الذين كانوا يصرخون ولا مجير، ويعيد لجزيرة العرب وجهها العربي الإسلامي الصحيح، الذي توارى

(١) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم - حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

خلف الفتن والدسائس والإرهاب والخوف وعدم الاستقرار. وهكذا فإن ظهور البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ونجاحه في استرداد الرياض عاصمة ملك آل سعود سنة ١٣١٩هـ، والقضاء على حكم آل رشيد فيها، كان بمثابة الفجر الجديد الذي أشرق بنوره فوق ربوع الجزيرة، غامرًا جبالها ووهادها وصحاريها ووديانها بالعزة والمجد والفخار.

ويوضح فهد المارك مغزى ظهور الملك عبد العزيز في هذه الحقبة الحرجة من تاريخ الوطن؛ فيقول إنـه: "جاء في ظرف كان من خيرة الظروف المناسبة ليوحد شبه جزيرة العرب، ويؤلف بين قلوب أهلها، ولا يعرف ما لعبد العزيز من حسنات في رسالته الوحدوية إلا من عرف التناحر والضغائن والعداء، وسفك الدماء بين أمير مقاطعة وأخرى، وكانوا يعدون اثنتي عشرة وحدة سياسية، بل وبين رئيس قبيلة ورئيس قبيلة أخرى، من قبائل شبه الجزيرة العربية الذين يعدون هم الآخرون سبعًا وعشرين قبيلة، وكل رئيس قبيلة يغزو الآخر ويستبيح ماله بل ودمه، بالإضافة إلى اختلال الأمن المضطرب والمزعزع لا في أرجاء شبه الجزيرة العربية فحسب، بل وفي السبل المؤدية إلى الأرض المقدسة"(١).

كان فتح الرياض إذًا بداية ملحمة التوحيد الكبرى التي خاضها القائد البطل، وفي هذا الصدد يقول أحمد عسه في كتابه (معجزة فوق الرمال): "منذ ذلك اليوم بدأت انتصارات عبد العزيز تتلاحق، فاستمرت أكثر من ثلاثين عامًا حتى استطاع أن يؤسس المملكة العربية

---

(١) فهد المارك، من شيم الملك عبد العزيز، ج١، ص٢٠.

السعودية، وقد دلت الأحداث على أن عبد العزيز كما كان رجل حرب وقتال، فقد كان رجل حكمة وفطنة ودهاء. وإذا كان استرجاع عبد العزيز للرياض هو مطلع إنشاء مملكته، إلا أن الرياض على كل حال لم تكن أكثر من مدينة من مدن نجد التي كان ابن الرشيد قد بسط سلطانه عليها، ولذلك فإن سقوطها لم يكن إلا بداية المعركة بين عبد العزيز وابن الرشيد"[1].

ولقد أخذت المواجهة بين الملك عبد العزيز وآل الرشيد صورًا وأشكالًا متعددة، وامتدت حقبة زمنية طويلة، كان النصر فيها باستمرار حليف الملك عبد العزيز، الذي جعل فتح حائل هدفه الأكبر وشغله الشاغل، كي يضمها إلى المشروع الوحدوي الكبير.

ويتحدث محمد بن سعد الشويعر عن الهدف من سعي الملك عبد العزيز إلى فتح حائل بقوله: "كان من بين الأجزاء المتناثرة التي رأى ضرورة إعادتها إلى الالتحام مع أهلها إمارة حائل"[2].

لكن مهمة فتح حائل لم تكن بالأمر اليسير، فإذا كانت "جميع مقاطعات المملكة العربية السعودية المتعددة لم يكلف عبد العزيز السيطرة عليها والقضاء على سيادة حكامها أكثر من فترة محدودة.بما في ذلك الحجاز، فإننا نجد الملك عبد العزيز ظل إحدى وعشرين سنة وهو يناضل ويكافح نضالاً وكفاحًا مريرين حتى تمت له السيطرة على تلك الإمارة مؤمنًا إيمانًا

(١) أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، ص٥٢.

(٢) محمد بن سعد الشويعر، فصول من تاريخ مدن المملكة العربية السعودية - حائل، ص١٠٧.

راسخًا أنه لا يمكن أن يبلغ أمنيته في توحيده لهذه المملكة ما لم يتم له النصر على إمارة ابن رشيد التي تشكل القسم الكبير من شمال نجد"[1].

بقدر ما كان فتح حائل نقلة كبيرة على طريق توحيد المملكة العربية السعودية، بقدر ما كان علامة فارقة في تاريخ العلاقة التاريخية لأسرة آل إبراهيم بالأسرة السعودية الحاكمة، التي أصبحت مرة أخرى هي السلطة الحاكمة والقوية، والمعقودة عليها الآمال في شبه جزيرة العرب، فقد شهد فتح حائل عودة أسرة آل إبراهيم إلى الأضواء مرة أخرى، وأصبحت من جديد في قلب الأحداث المهمة، تشارك في صنعها، وتعمل من أجل سلامة الوطن وخيره وتقدمه، يعززها رصيد هائل من العمل الوطني في ظل الدولة السعودية الثانية، ويدفعها إيمان جارف بهذه الأرض وبأهلها وبضرورة السعي الدائب من أجل توفير الأمن والرخاء لهم.

وهكذا؛ ومن قلب الحصار الطويل الذي فرضه الملك عبد العزيز على حائل، ومن داخل المدينة المحاصرة التي كانت تهفو للانضمام للدولة الناشئة ظهر عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم رسولاً للسلام، وساعيًا إلى حقن الدماء ووضع حدٍّ لمأساة الحرب والحصار. وكان هذا الدور الذي اضطلع به عبد العزيز بن إبراهيم الخطوة الأولى في بداية مشوار حياته الطويل، وهو مشوار حفل بالكثير من المهام والأدوار الوطنية والمسؤوليات، كان خلاله محط ثقة الملك عبد العزيز، الذي أوكل إليه كثيراً من الأعمال وأسند إليه العديد من المناصب التي قام ابن إبراهيم بمسؤولياتها خير قيام؛ فكان

(١) فهد المارك، من شيم الملك عبد العزيز، ج١، ص٢٢.

واحدًا من القلائل الذين اعتمد عليهم الملك عبد العزيز في معارك التوحيد، ثم في ملاحم التأسيس والبناء التي خاضها في سبيل هذا الكيان الكبير... المملكة العربية السعودية، ومن أجل تقدمه وازدهاره.

فتح حائل وظهور عبد العزيز بن إبراهيم:

دخل عبد العزيز بن سعود الرياض بعد قضائه على حامية ابن رشيد هناك، واستقر وبدأ يزداد قوة، ويتأهب لما هو أهم وأقوى من عجلان وحامية الرياض، وكان عبد العزيز بن متعب بن عبد الله بن رشيد، في عاصمته حائل، مهمومًا مشغول البال "بفارس آل سعود الواثب في الرياض"[1].

وتوطد سلطان عبد العزيز جنوبًا في مدة قياسية، وبدأ يتحرش بالقبائل التابعة لابن رشيد في الشمال، وتناقل الرواة أخبار عبد العزيز، وأدرك ابن رشيد أنه لا مناص من المجابهة، فأقبل ومعه الجموع من شمر ثم من القصيم وسدير والوشم في ربيع الأول سنة ١٣٢٠هـ، زاحفاً إلى الرياض، وقابل عبدالعزيز هذا الزحف بدهاء وشجاعة، واستدرج خصمه إلى الجنوب بعد أن حصّن الرياض واطمأن عليها، والتقى الجمعان في معركة (السلمية) في ربيع الأول من سنة ١٣٢٠هـ[2]، وانهزم ابن رشيد وقفل راجعاً إلى الشمال، وعاد الفارس عبد العزيز إلى الرياض لتستمر المواجهة بعد ذلك بين عبد العزيز وابن رشيد في أشكال شتى وأماكن مختلفة، وفي جولات متتابعة، انتهت بتملك عبد العزيز بلاد نجد كلها عدا جبل شمر.

---

(١) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص١٢١.
(٢) المرجع السابق، ص١٣٧.

وتتابعت المعارك والحروب بين عبد العزيز وابن رشيد وأحلافه الأتراك إلى أن أسقط عبد العزيز، بفضل الله، الصخرة الأولى من آل رشيد بعد وقعة "الشنانة" عام ١٣٢٢هـ[١]، وكان أن قتل بعد ذلك عبد العزيز بن متعب بن رشيد على يد عبد العزيز ورجاله عام ١٣٢٤هـ في موقعة "روضة مهنا"، ليخلفه على إمارة حائل ابنه متعب.

وشغلت بعد ذلك عبد العزيز بن سعود عن آل رشيد أحداث كثيرة، إلا أنه كان يناوشهم من حين لآخر، ليشعرهم بأن انضمام حائل للمشروع الوحدوي الكبير آتٍ لا محالة.

وتولى محمد بن طلال بن رشيد إمارة حائل، وكان من أشجع أمراء آل رشيد، إلا أن فترة توليه هذه أتت وقد بدأت الإمارة تضعف وتتفكك، ومع ذلك فقد بدأ عهده بإرهاب قرى حائل، التي استسلم أهلها للسلطان عبد العزيز[٢]، فوجه إليه عبد العزيز قوة بقيادة فيصل بن سلطان الدويش لمحاصرة حائل، ريثما يصل السلطان بقواته إليها.

تحرك محمد بن طلال بن رشيد بقواته التي كانت تساندها المدافع، إلى قرية محصنة تسمى (النيصية) بالقرب من حائل[٣]، واشتبك مع ابن الدويش هناك. وفي الثاني عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٣٩هـ، زحف السلطان عبد العزيز على رأس قواته إلى حائل. وقد كانت قيادة الجيش موزعة تحت

(١) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص١٢١.

(٢) كان قد تقرر بالإجماع في مؤتمر الرياض الذي عقد عام ١٣٣٩هـ أن يكون لقب الإمام عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود "سلطان نجد".

(٣) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج٢، ص٢٣٤.

قيادته العليا، فالأمير سعود بن عبد العزيز الابن الأكبر للسلطان يقود القسم المخصص لإضعاف شوكة قبائل شمر الموالية لابن رشيد، والأمير فيصل بن عبد العزيز الابن الثاني للسلطان يقوم بمحاصرة حائل من الجهة الغربية.

أما الأمير محمد بن عبد الرحمن – شقيق السلطان عبد العزيز – فقد كلف بالتوجه إلى حائل وإحكام الحصار عليها واحتلالها[1]. فأُحْكِمَ الحصار على قوات ابن رشيد، وقُتِل رجاله وتشتت شملهم، وأُرْغِم محمد ابن طلال بن رشيد على التقهقر إلى جبل (أجا) ثم إلى (حائل)، وكان عبد العزيز يباشر القتال بنفسه حتى ضيق على ابن رشيد المسالك وأقام الحصار على حائل، وكان أهل حائل يحدثون أنفسهم بالتسليم، بعد أن جاعوا وصعب حالهم، إلا أنهم خافوا نقمة ابن طلال.

وكان أصحاب الرأي والمكانة في حائل، قد طلبوا إلى السلطان عبد العزيز ألا يتركهم لابن طلال وألا يقذف المدينة بمدافعه، وحينما أدرك محمد ابن طلال ألا فائدة ترجى من قوته استعان بالإنجليز للتوسط بينه وبين ابن سعود، فرفض السلطان عبد العزيز وساطة السير بيرسي كوكس المفوض البريطاني في الصلح بينهما[2].

وقد جاء في تقرير السير بيرسي كوكس إلى حكومته البريطانية قوله: "بعد أن سلم الأمير عبد الله بن متعب بن الرشيد تولى ابن عمه محمد بن طلال الدفاع عن حائل، وأرسل إليّ مرارًا يرجوني فيه أن أتوسط بينه وبين ابن سعود، ولكن ابن سعود لم يقبل بذلك"[3].

(١) محمد بن سعد الشويعر، فصول من تاريخ مدن المملكة العربية السعودية – حائل، ص١٠٨.

(٢) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٢٨٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨٣.

استمر حصار حائل من قبل السلطان عبد العزيز مدّة من الزمن، فكتب السلطان إلى أصدقائه في حائل يخبرهم أن طول الحصار لن يضر إلا بالأهالي، وحدد مهلة لاستسلام ابن رشيد، وقد رد أهل حائل باستعدادهم لتسليم أنفسهم والتخلي عن ابن رشيد وأنهم يريدون الأمان والأمن.

فأرسل السلطان عبد العزيز من رجاله من اجتمع بكبار أهل البلد وعلى رأسهم: إبراهيم بن سبهان وعبد العزيز بن إبراهيم[١].

وتشاوروا في الأمر، فاستقر الرأي على أن يذهب وفد منهم لإقناع ابن رشيد بالتنازل، والخروج من حائل وتسليم نفسه. وكان طبيعيًا لرجل مثل الأمير محمد بن طلال بن رشيد أن يغضب ويحتد لما سمع ما يطلبه الوفد منه، فهو رجل جسور مقدام، إلا انه أيقن بعد أن أعاد الوفد الكرَّة عليه باللطف والملاينة، بأنه لابد مما ليس منه بد، فوافق بشرط ألا يسلم نفسه إلا لرجل من آل سعود[٢].

وقد أورد أحمد عبد الغفور عطار في كتابه "صقر الجزيرة" أن ابن طلال شوهد "في أزمة نفسية حادة لا يستطيع معها ضبط النفس وفهم الحقيقة ووعي الكلام، وكان مختلياً بعبد العزيز بن إبراهيم، فنصح له بالاستسلام إذ لم تعد لديه قوة تمكنه من الدفاع وصون الحقوق.

وكان نقاش حاد بين ابن إبراهيم وابن طلال انتهى بأن قال ابن طلال لزميله اكتب لابن سعود بما تريد وأنا أوقعه.

(١) محمد بن سعد الشويعر، فصول من تاريخ مدن المملكة العربية السعودية - حائل، ص١٠٩.
(٢) حسن حسن سليمان، الأمير عبد العزيز بن مساعد - حياته ومآثره، ص٩٢.

فقال له: ومع من تبعث الكتاب.

قال ابن رشيد: معك.

قال ابن إبراهيم: إذا كنت أنا نفسي الرسول فلا حاجة إلى الكتاب، وطلب إليه خاتمه المنقوش عليه اسمه ليكون شاهدًا على التفويض، فأعطاه إياه ونصح له بأن يثبت على ما عزما عليه وألا يستسلم، وبارحه إلى ابن سعود، واتصل بالقوة التي (بالزبارة)[1]، وبإبراهيم السبهان وحمد الشويعر، وأخبرهما بما جرى، فاستبشرا.

ومضى ابن إبراهيم إلى ابن سعود، واجتمع به وأخذ يفاوضه وفق ما انتدب له، واتفقا على أن يعفو ابن سعود عن ابن طلال وأسرته وأصحابه ورجال حكومته وكل رعيته وآل الرشيد وأتباعه ومماليكه، وكل خصم وصديق في معيتهم وعن المحارب وغير المحارب عفوًا شاملاً، وأن يترك ما مضى، وألا يلتفت إلى الوراء، وأن يسلم ابن طلال وآل الرشيد أنفسهم إلى ابن سعود ويرضوا بالعيش معه وبالمقام في الرياض معززين مكرمين.

وبعد الاتفاق على شروط التسليم طلب ابن سعود من ابن إبراهيم أن يريه ما يخوله التفويض التام عن ابن طلال، وما يضمن إنفاذ الشروط فأراه الخاتم فقنع"[2].

ومع أنه قد أجمع كثير من رجال السلطان عبد العزيز ومستشاريه على أن شرط ابن رشيد ينطوي على حيلة وخدعة، يهدف منها إلى أخذ رجل

---

(١) حي جنوب شرق مدينة حائل.

(٢) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الأول، ص٤٦٤، ٤٦٦، وانظر عبد الله العلي الزامل، أصدق البنود، ص٤٣٤.

من آل سعود رهينة يساوم عليها، ويملي من خلالها مطالبه وشروطه، إلا أن السلطان عبد العزيز، بعد تفاوضه مع ابن إبراهيم، وأمام إصرار ابن رشيد على شرطه هذا، بدأ يولي الأمر اهتماماً بالغاً، لأن رغبته في إنهاء أمر حائل بدون سفك دماء لم يكن يحدها حدود.

اختار السلطان عبد العزيز بن سعود لهذه المهمة رجل المهمات الصعبة ابن عمه ورفيق كفاحه وسيفه الباتر الأمير عبد العزيز بن مساعد، حيث أمره السلطان بمرافقة عبد العزيز بن إبراهيم لإنفاذ شروط التسليم.

ويذكر حسن حسن سليمان في هذا السياق أن الأمير عبد العزيز بن مساعد سار "ومعه نفر من الخيالة من بينهم سلطان راعي القودة، وشويش، وابن زعير، وأبو النصفان، وقصد قصر برزان مقر ابن طلال.

وعندما فتح لهم الباب هالهم كثرة ما رأوه من المسلحين والمحاربين ومعهم البنادق وكميات وفيرة من الذخيرة، وعند دخولهم القصر قابلهم فايز الشفولي أخو الشيخ حمود الشفولي قاضي حائل وهو من أعضاء الوفد المفاوض[1].

فأدخلهم إلى مجلس ابن طلال وهو مجلس كبير كتبت على جدرانه سورة يس كاملة، وبعد قليل دخل ابن طلال فتعانق هو والأمير عبد العزيز ابن مساعد ورحب به"[2].

أفهم عبد العزيز بن مساعد وعبد العزيز بن إبراهيم ابن طلال نتيجة

(١) حسن حسن سليمان، الأمير عبد العزيز بن مساعد - حياته ومآثره، ص٩٣.
(٢) المرجع السابق، ص٩١ - ٩٣.

المفاوضة مع السلطان عبد العزيز، فأقر ابن طلال مندوبه على ما صنع وأسلم نفسه إلى ابن مساعد طائعًا مختارًا وكان ذلك في ٢٩ صفر سنة ١٣٤٠هـ[١].

واستقبله السلطان عبد العزيز استقبالاً يليق به، فأكرمه وبش في وجهه، وأنعم على كل من كان معه. كما عامل جميع آل الرشيد وكل من يتعلق بهم معاملة كلها كرم وتسامح وتقدير، بدافع من قلبه الرحيم، ونفسه المؤمنة، وحكمته البالغة، ومساعيه وجهوده في إنشاء الدولة العربية الكبرى.

وروى عبد الله بن جبر آل إبراهيم، ابن أخي الأمير عبد العزيز بن إبراهيم لكاتب هذه السطور، مسندًا الرواية إلى عمه، أنه لما طالت مدة الحصار على حائل بلغ الجهد بالناس مبلغًا شديدًا، حتى أن صاع نوى التمر كان يباع بجنيه، ذهب وفد من أهل حائل إلى محمد بن طلال بن رشيد، وعلى رأسهم إبراهيم بن سبهان وعبد العزيز بن إبراهيم، وأوضحوا له حال الناس، وما يقاسونه داخل أسوار حائل، وأنه لا مناص من إيجاد حل لهذا الحصار الذي دام حوالي شهرين، وأن الحل الوحيد هو تسليم المدينة حرصًا على أرواح الناس.

وعندما عرضوا على ابن رشيد هذا الحل ثار واحتد، لكن أعضاء الوفد لم ييأسوا، وخاطبه عبد العزيز بن إبراهيم قائلاً: إن عبد العزيز بن سعود يقود جيشًا أوله في حائل وآخره في عسير والإمداد والتموين يأتيه من كل مكان، وأهل حائل محاصرون لا يجدون ما يأكلون، وقد ملُّوا الحروب،

(١) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص٢٥٥.

وبقاء الحال على ما هو عليه يزيد الأمر سوءًا يومًا بعد يوم، وأنه لا مناص من تسليم المدينة بأسرع ما يمكن حفاظًا على أرواح الناس.

عند ذلك قبل محمد بن طلال بن رشيد بوجهة نظر الوفد، وطلب من عبد العزيز بن إبراهيم أن يكون هو المفاوض نيابة عنه، وسلمه خاتمه دليلاً على ذلك التفويض، واشترط عليه في البداية أن يطلب من السلطان عبد العزيز آل سعود إبقاءَهُ أميرًا على حائل، بعد أن يتم تسليم المدينة.

فأجابه ابن إبراهيم: بأن ابن سعود لم يأت بجيش أوله في حائل وآخره في عسير، ويتكبد المشاق إلا وهو مصمم على ضم حائل للمشروع الوحدوي الكبير، وأن هذا الأمر غير ممكن، وقال له بالحرف الواحد: (ابن سعود من كل خير قريب) وأنا متأكد من أنه سيعاملكم معاملة خاصة بل وسيعاملكم كأولاده.

أما الحديث عن تسليم المدينة وإبقائكم أميرًا عليها فليس هذا وقته، نحن الآن نبحث عن وسيلة لإنقاذ الجوعى والمرضى المحاصرين داخل المدينة، وإزالة الضغائن وفتح صفحة جديدة في العلاقة بينكم وبين السلطان عبدالعزيز بن سعود، والناس في حائل جميعًا يريدون الانضمام إلى السلطان عبد العزيز بن سعود.

عند ذلك قال له ابن رشيد: لقد فوضتك بأن تعمل ما تراه صالحًا، فذهب عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم إلى السلطان عبد العزيز بن سعود، حيث أتم التفاوض معه بما ضمن العفو الشامل لآل الرشيد ومن معهم من أقارب وحاشية ولأهل حائل جميعًا على النحو الذي أوضحناه، وقام

السلطان عبدالعزيز بن سعود بعد ذلك بتوزيع الأغذية والكساوي على أهل حائل وأكرم آل رشيد وعاشوا في كنفه في عز ومنعة.

يقول أمين الريحاني:

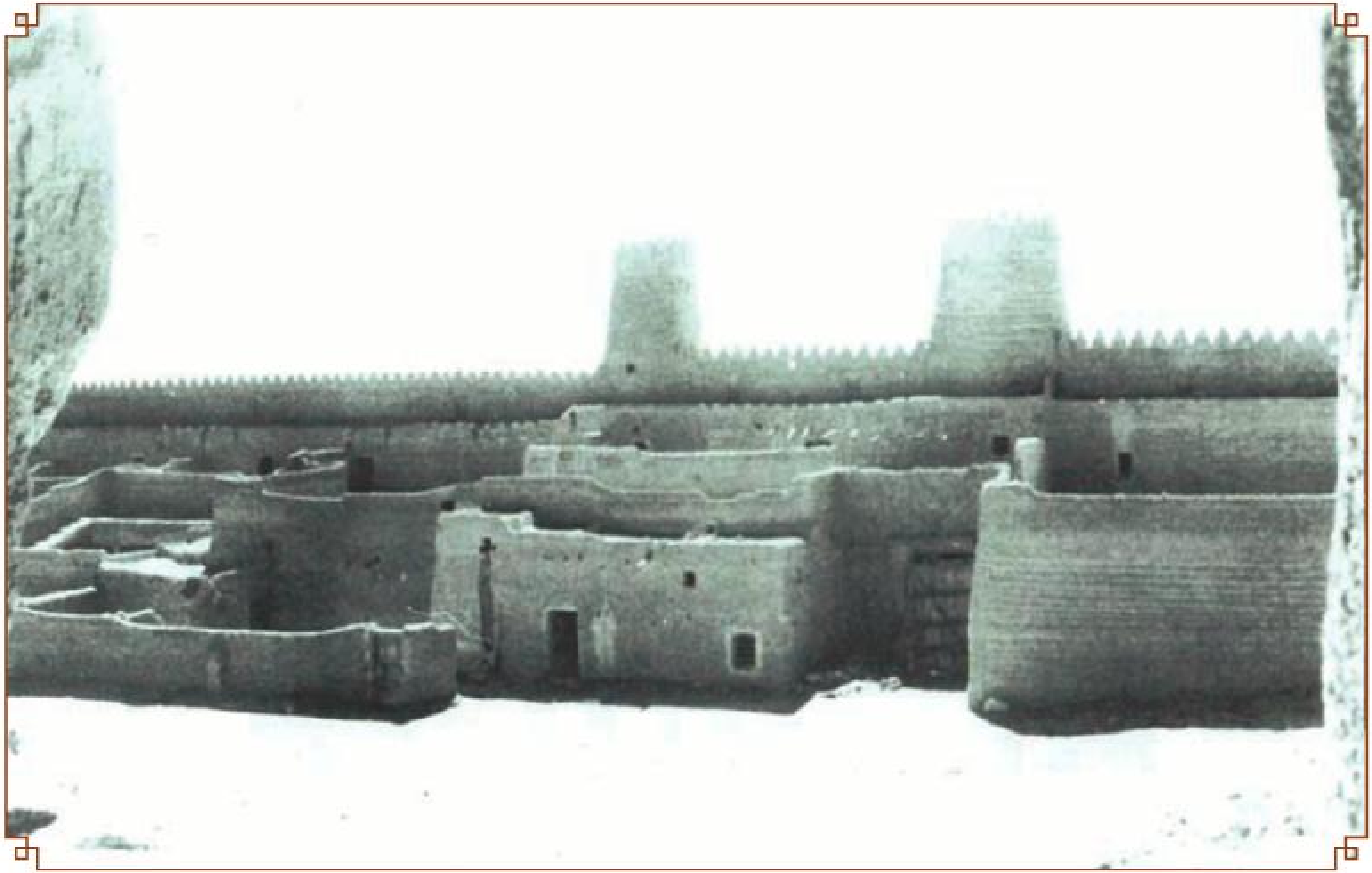
"استمر هذا الحصار خمسة وخمسين يوماً، أي منذ وصول عبد العزيز في ٤ محرم إلى ٢٩ صفر سنة ١٣٤٠هـ (٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٢١م)، يوم سلم ابن طلال، ولكن حائل كانت في حالة الحرب أكثر من سنة قبل ذلك، وكانت القوافل من الكويت والعراق منقطعة عنها، فشمل أهلها الضيق، وكان السلطان عالماً بشدة حالهم، فجاءهم متأهبًا لتخفيفها - جاء بالمؤن، وجاء بالثياب وبالمال - فأجزل للناس العطاء ووزع ألوفاً من أكياس الأرز وألوفًا من الملابس.

قال لي أحد الذين سلموا:

كنا ليلة الحصار الأخيرة على آخر رمق، نرى شبح المجاعة والموت فأمسينا ليلة التسليم الأولى وكلنا شبعانون، مكسيون مطمئنون"[1].

ويذكر عبد الله العلي الزامل في هذا الصدد "أن الملك عبد العزيز عفا عن آل الرشيد عفوًا عامًا فاستسلموا له فأسكنهم في قصور شامخة في الرياض وأجرى عليهم المال الكثير، بل واقترن بزوجة منهم وأصبحوا من أخصائه، وكان له جلسة خاصة معهم بعد العصر، وهو يعاملهم معاملة أبنائه، فلا يعطي أبناءه شيئًا إلا وأعطاهم مثله، ولا يمنح بناته منحة إلا خص آلهم بمثلها.

(١) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٢٨٣، ٢٨٤.



صورة قصر محمد بن طلال بن رشيد في حائل

كما أن جلالته قد اختص عبد العزيز بن إبراهيم رسول السلام برعايته وجعله من خيار خاصته"[1].

دخل ابن سعود حائل تزفه أهازيج الفرح والترحيب، ومكث في حائل برهة ينظم شؤونها، وقد عز عليه ما صار إليه أهلها من الضعف والجوع، فساعدهم ووزع عليهم ما كان في معسكره من طعام ولباس، و لم يكتف السلطان عبد العزيز بهذا بل ذهب إلى أبعد من ذلك واستشار أهل حائل فيمن يوليه إمارتهم، ومن عساهم أن يختاروا بعد ما رأوه من حميد الخصال وسماحة النفس وطيب الخاطر؟!. لقد أرادوا أميرًا من أبنائه أو أقربائه، وهنا برزت سمة من سمات عبد العزيز الخاصة به، وهي الفراسة وبعد النظر وقدرته على اختيار رجاله وعماله وأمرائه وتوزيع المهام عليهم، آخذًا في الحسبان قدراتهم والظروف المحيطة بهم.

لقد رأى عبد العزيز أن الوقت لم يكن مناسبًا لتعيين أحد من أبنائه أو أقربائه أميرًا على حائل، حيث أجاب أهل حائل عندما طلبوا منه ذلك: (لا آمن أن أولّي عليكم أحدًا منا، فالجراح لم تندمل وأنتم أهل فتنة)[2].

ويذكر قدري قلعجي في مشاورة السلطان عبد العزيز لأهل حائل ما يأتي:

"ومن تريدون أن نؤمّر عليكم؟

فأجابوا قائلين:

- واحدًا من آل سعود أو كبار رجالك.

(١) عبد الله العلي الزامل، أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود، ص٤٣٤.

(٢) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص٢٥٦.

فقال عبد العزيز:

- لست من رأيكم، فقد كنا وإياكم أعداء مدة طويلة، فلا يجوز أن نحكمكم الآن مباشرة.

وأنا أعرفكم يا أهل حائل، أنتم أهل قيلٍ وقال، ولكني لا أخشى أن أؤمّر عليكم واحدًا منكم، وإني أريد أن أحافظ على كرامتكم، هذا إبراهيم السبهان فهو منكم وهو رجل عاقل، هو أميركم، وأرجو ألا يخلف الظن فيه، وإني واثق بالله، وعادته معي جميلة، فهو سبحانه وتعالى ينصفني ممن يغدر أو يخون"[1].

واختار السلطان إبراهيم السبهان أميرًا على حائل، وهو من بني عم آل الرشيد ومن وزرائهم، وعاد - يرحمه الله - بعد أن ضم حائل إلى الرياض واطمأن عليها، وبصحبته آل الرشيد الذين أنزلهم منازل تليق بهم ورتب لهم المخصصات وعطف عليهم وصاهرهم.

أما عبد العزيز بن إبراهيم، الذي كان له - كما مر بنا - دور بارز في تسليم حائل وأميرها لابن سعود، فقد عاد هو الآخر إلى الرياض، نعم عاد إلى بلده ، والعود أحمد - بناء على توجيه السلطان عبد العزيز[2].

وتجددت علاقة أسرة آل إبراهيم بالأسرة السعودية الحاكمة، حيث كان عبد العزيز بن إبراهيم محل ثقة الملك عبد العزيز، واختاره لمهام عديدة،

(١) قدري قلعجي، موعد مع الشجاعة / سيرة الملك عبد العزيز، ص١٠١.

(٢) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

وهو - يرحمه الله - لا يختار إلا الأكفاء؛ فالهدف سام، والمهمة شاقة، والدرب عسر وطويل.

رسول السلام:

وهنا لابد من وقفة...!

فلا يمكن أن يمر هذا الذي حدث دون أن يُثِيرَ أكثر من سؤال:

كيف انفرجت الأزمة، وكيف قبل محمد بن طلال بن رشيد بما سبق أن رفضه مرات عديدة؛ بل وكان يستنكره في كل مرة كان يُطرح فيها عليه، وهو مغادرة حائل، والتسليم لسلطان نجد عبد العزيز آل سعود؟

ثم... ما مواصفات هذا الرجل الذي أسهم في صنع ما كان يبدو مستحيلاً؟ حتى استحق أن يطلق عليه لقب "رسول السلام"(١)، لدوره الذي لا ينسى في إقناع ابن رشيد بالتسليم، حقنًا للدماء، وإنقاذًا للمدينة وأهلها من حصار لن ينتهي إلا باقتحامها، والخاسر في النهاية هم الناس البسطاء الذين ليسوا طرفًا في المعركة الدائرة؛ بل إنهم أصبحوا يسعون للانضمام لابن سعود وعصره الزاهر الذي يدق الأبواب، وحلمه الكبير في تحقيق وحدة الوطن وتآلف قلوب أبنائه.

ما الذي يملكه رسول السلام من مقومات شخصية خاصة ومميزة، ومواهب كامنة جعلته قادرًا على الإسهام بصورة فعالة في وضع حدًّ لمأساة الحصار؟ وأية قدرة على الإقناع يملكها هذا الرجل، حتى تمكن من درء الخطر عن الوطن، ووضع نهاية لأيام العذاب الطويلة التي عاشتها

(١) عبد الله العلي الزامل، أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود، ص٤٣٤.

مدينة حائل، والتي كانت تتطلع لعناق الفجر الجديد الذي بدأ يغمر ربوع الجزيرة، فتشرئب له الأعناق، وتهفو إليه القلوب.

إن ما حدث لا يمكن تفسيره إلا بهذه القدرة العالية على اكتساب ثقة الناس التي تميز بها عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، بفضل ما انطوت عليه شخصيته من جدية وحزم وذكاء وحسن تصرف، وموضوعية في الحكم على الأمور، وقد أجمع كل من عرفوه على أنه يملك شخصية قوية آسرة ومتفردة، وأن لديه من القدرات الخاصة الكثير والكثير الذي أهّله لأن يضطلع بدور "رسول السلام"، بين حاكم قوي متمسك بالسلطة والحكم والنفوذ، وقائد مظفر منتصر تسبقه أمجاده وفتوحاته وانتصاراته الباهرة. بين حاكم يبحث عن مجده الشخصي، وعن كرسي السلطة الذي يستمد منه القوة والنفوذ، وقائد بطل يحركه حلم كبير في وطن كريم حر موحد، وأمة عظيمة تتهيأ كي تأخذ مكانها اللائق بها تحت الشمس.

ومن الشواهد الدالة على الثقة التي لا تحدها حدود، والتي منحها ابن رشيد لعبد العزيز بن إبراهيم، أنه لم يكتف بأن أرسله مندوباً عند لمقابلة السلطان عبد العزيز، والتباحث معه حول شروط خروج آل رشيد من حائل، بل إن محمد بن طلال بن رشيد أعطى عبد العزيز بن إبراهيم خاتمه الذي يوقع به على المعاملات الرسمية، وقد أظهر هذا الموقف للسلطان عبد العزيز مدى الثقة التي يضعها ابن طلال الرشيد في ابن إبراهيم، حتى إنه أعطاه خاتمه وفوضه بالتوقيع نيابة عنه فيما يراه في صالح آل رشيد.

وبقدر الثقة التي حازها ابن إبراهيم من طلال آل رشيد، بقدر ما كان

ابن إبراهيم أهلاً لهذه الثقة، أمينًا مع نفسه ومع من فوضوه للحديث باسمهم والتوقيع نيابة عنهم، إذ إنه تمسك بعدد من الشروط وهو يفاوض السلطان عبد العزيز، ومن أهمها أن يعفو ابن سعود عن ابن طلال وأسرته ورجال حكومته وجميع آل رشيد وأتباعهم، وكل من كان محاربًا معه عفوًا شاملاً وأن يضمن كرامتهم وسلامتهم.

وكان هذا الموقف نقطة تحول في حياة عبد العزيز بن إبراهيم؛ فإن الرجل الذي كان ممثلاً ومفاوضًا باسم ابن رشيد في مباحثات السلام وفك الحصار عن حائل، هذا الرجل نفسه تمكن، بشخصيته المتميزة، وموضوعيته، من اكتساب ثقة السلطان عبد العزيز حتى أصبح واحدًا من أبرز معاونيه، خلال فترة زمنية دقيقة وحرجة في تاريخ المملكة، وهي فترة التأسيس والبناء والتوحيد، وهذه الفترة لم يكن يصلح لها إلا أصحاب الهمم العالية والسواعد القوية وشدة البأس وتحمل الصعاب، وهي كلها مواصفات وجدها القائد المؤسس مجتمعة في عبد العزيز بن إبراهيم.

لقد نظر ابن سعود إلى عبد العزيز بن إبراهيم على أنه ابن بار من أبناء هذه البلاد الكريمة، وأنه سليل أسرة وقبيلة كلها أمجاد وفخار، وأن هذه الأسرة شاءت لها الأقدار أن يكون لها دور مهم ومؤثر، خلال عهود الحكم السعودي التي تعاقبت على الجزيرة العربية، بدءًا من عهد الإمام فيصل بن تركي في عهد الدولة السعودية الثانية، وأنها مهيأة لأن تقوم بالدور نفسه في عهد الدولة السعودية المعاصرة.

فيسهم ابنها عبد العزيز بن إبراهيم في فتح أبواب حائل للقائد الموحد

عبد العزيز آل سعود، واضعًا النهاية لحكم إمارة آل رشيد، لتصبح حائل البداية التي انطلق منها ابن إبراهيم إلى ساحة العمل الوطني، جنديًا مخلصًا من جنود التوحيد، وواحدًا من القلائل الذين منحهم الملك عبد العزيز ثقته، وخصهم بصحبته، واعتمد عليهم في توطيد أركان حكمه، والإسهام في إرساء قواعد الأمن والاستقرار في شتى الأنحاء.

الفصل الثالث

عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم

«بطاقة تعريف»

محتويات الفصل الثالث

عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم

«بطاقة تعريف»

- مولده.
- صفاته.
- تعليمه وثقافته.
- المناصب التي تولاها.

الفصل الثالث

عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم
«بطاقة تعريف»

بعد أن انتهت أحداث حائل بانضمامها إلى الرياض ودخولها تحت الحكم السعودي، وزوال ملك آل رشيد وإمارتهم، كان من بين ما أسفرت عنه تلك الأحداث هو ظهور عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم على المسرح السياسي، كشخصية سياسية وقيادية متميزة، تملك مقومات ذاتية تؤهل صاحبها لأن يكون ذا شأن كبير في قادم الأيام، فيتبوأ أرفع المناصب، ويقوم بأخطر الأدوار، في وقت تشتد فيه الحاجة إلى الرجال الأفذاذ، وفي ظروف تاريخية يعيد فيها الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود صياغة كيان البلاد، وتشكيل ملامح حاضرها ومستقبلها، من خلال سلسلة من المعارك المريرة وملاحم الجهاد الطويل، التي تم له عن طريقها توحيد الكيان المشتت، وبناء الدولة القوية الموحدة، التي أصبحت فيما بعد الأنموذج الأمثل للوحدة، لا في المنطقة العربية وحدها، بل في العالم كله.

والمتتبع لتاريخ أسرة آل إبراهيم، وللأدوار الوطنية التي قام بها رجالاتها -على مدى تاريخهم- في خدمة الدولة السعودية، في أطوارها المختلفة، يدرك أن ظهور عبد العزيز بن إبراهيم، في قلب أحداث حائل لم يكن مفاجأة، فبيت آل إبراهيم بيت إمارة، فقد ولي جده عبد الرحمن، كما أسلفنا، إمارة ضرما للإمام فيصل بن تركي، ثم تولى إمارة القصيم مرتين،

ثم انتقل وتولى إمارة الأفلاج حتى كف بصره وكبرت سنه، بعدها تولى والده الأمير إبراهيم إمارة الأفلاج خلفًا لأبيه عبد الرحمن - وكان ذلك في عهد الإمام عبد الله بن فيصل - واستمر فيها حتى عام ١٣١٥هـ، حيث أمره محمد ابن رشيد بنقل عائلته إلى حائل[1]، واستمروا فيها إلى عام ١٣٤٠هـ. وكان الدور الذي قام به عبد العزيز بن إبراهيم، خلال حصار الملك عبد العزيز لحائل، في إقناع الأمير محمد بن طلال بن رشيد بالتسليم للملك عبد العزيز، على النحو الذي أوردناه في الفصل السابق، كان هذا الدور بداية لسلسلة من الأدوار الوطنية التي قام بها ابن إبراهيم في خدمة الدولة السعودية في مراحل التأسيس الأولى، بناءً على تكليف الملك المؤسس الذي أصدر توجيهاته - يرحمه الله - إلى عبد العزيز بن إبراهيم بالعودة إلى بلده الرياض، ليكون بجانبه متى احتاج إليه، وليسند إليه ما يراه من مهام ومسؤوليات في الوقت المناسب.

مولده:

ولد الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم في مدينة الرياض، سنة ١٢٩٧هـ، هكذا تقول صورة جواز سفره الواردة في الصفحات التالية، وهو الجواز الصادر من قبل وزارة الخارجية السعودية بناء على التصريح الصادر من معالي وزير الخارجية بالنيابة رقم ٥١/٢/١٢، وتاريخ ١٣٦٥/٣/٧هـ، وقد وردت في الصفحة الخاصة بالأوصاف البيانات التالية:

---

(١) عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيري، المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب، ص٥١٧.

المهنة: عضو مجلس الوكلاء.

تاريخ الميلاد: ١٢٩٧هـ.

محل الإقامة: مكة.

كما وجدت بالصفحة نفسها البيانات الأخرى التالية:

الطول: ١٨٠ سم تقريبًا.

العينان: سوداوان.

الوجه: مستطيل.

اللون: قمحي.

المميزات الخاصة: بدون.

غير أن هناك روايات أخرى حول تاريخ مولده، إذ تقول بعض الروايات إنه ولد في عام ١٢٩٥هـ، وتقول رواية أخرى أنه ولد عام ١٢٩٣هـ، ويستشهد أصحاب هذه الرواية بما ذكره محي الدين رضا في كتابه "رحلتي إلى الحجاز" التي قام بها سنة ١٣٥٣هـ، إذ قال: إن ابن إبراهيم كان يومها في الستين من عمره[1]، غير أن هذا القول لا يصلح دليلاً على صحة تاريخ مولده، والأرجح أنه ولد عام ١٢٩٧هـ، حيث إن هذا التاريخ يؤكده جواز سفر الأمير ابن إبراهيم، وهو وثيقة رسمية لها مصداقيتها.

وإذا كان التاريخ الذي ولد فيه ابن إبراهيم هو عام ١٢٩٧هـ، فإنه بذلك يكون قد ولد في العام نفسه الذي ولد فيه الملك عبد العزيز آل سعود – طيب الله ثراه – وقد أورد هذا التاريخ منير البديوي في كتابه "المتوكل

(١) محي الدين رضا، رحلتي إلى الحجاز، ص١٢١.

على الودود عبد العزيز آل سعود"[١]، ثم أورد هامشًا في الصفحة نفسها يؤيد ما ذهب إليه، فذكر أن معظم الكتاب ومنهم الزامل وأمين سعدي والدكتور حسن حسن سليمان أجمعوا على صحة هذا التاريخ، حتى أن المؤرخ الأديب خالد بن محمد الفرج وضع حسابًا لذلك، بالحروف الأبجدية، وهو:

"الإمام عبد العزيز بن الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود، وجاء مجموع هذه الحروف ١٢٩٧هـ، وقويت هذه الرواية بما نقل عن لسان الملك عبد العزيز من أنه كان غلامًا حين خرج من الرياض سنة ١٣٠٨هـ"[٢].

ويؤكد التاريخ نفسه كاتبان آخران هما عبد العزيز شرف ومحمد إبراهيم شعبان، فقد ذكرا في كتابهما "عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية" إن الملك عبد العزيز ولد في الرياض في ٢٠ ذي الحجة عام ١٢٩٧هـ[٣].

لكن الزركلي يعود فيذكر أنه رجع إلى أديب آل سعود وعالمهم الأمير عبد الله بن عبد الرحمن – شقيق الملك – وسأله عن ذلك فأجابه بأن جلالة الملك – يرحمه الله – كان يود أن يقال إن ميلاده هو ١٢٩٧هـ، ولكن الصحيح إنه ولد في أواخر عام ١٢٩٣هـ[٤].

---

(١) محمد منير البديوي، المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود، ص٧٢.

(٢) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص٥٢.

(٣) عبد العزيز شرف ومحمد إبراهيم شعبان، عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية، ص١١١.

(٤) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص٥٨.

والمتأمل في كلا التاريخين المذكورين لمولد الملك عبد العزيز آل سعود ولمولد الأمير عبد العزيز بن إبراهيم لابد وأن يقف قليلاً:

فالتاريخ الأول لمولد الملك عبد العزيز، والذي أكده شقيقه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن، وهو سنة ١٢٩٣هـ، هو السنة نفسها التي تذكر بعض الروايات أنها شهدت مولد الأمير عبد العزيز بن إبراهيم.

كما أن التاريخ الثاني الذي ذكر عدد كبير من الكتاب أنه هو الذي ولد فيه الملك عبد العزيز، وهو عام ١٢٩٧هـ، هو التاريخ نفسه الذي تذكره صورة جواز سفر الأمير ابن إبراهيم، ومعنى هذا أنه ولد في السنة نفسها التي ولد فيها الملك عبد العزيز – يرحمه الله.

فهل هي مصادفة أن يكون تاريخ مولد كل من الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود، والأمير عبد العزيز بن إبراهيم واحدًا؟

وهل المصادفة نفسها هي التي وضعت الأمير ابن إبراهيم في طريق الملك عبد العزيز، فيلتقي به في قلب أحداث حائل، ويختصه برعايته وثقته، ويجعله من خيار خاصته، ويسند إليه من المهام ما جعله واحدًا من أبرز الأمراء الذين حكموا في عهد الملك عبد العزيز؟!

هذه المصادفة، بعد مصادفة أخرى ادخرتها الأقدار لابن إبراهيم مع محمد ابن طلال أمير حائل الذي اختار ابن إبراهيم، دون غيره، ليسلمه خاتمه المنقوش عليه اسمه، وليفوضه في الحديث نيابة عنه في مفاوضاته مع الملك عبد العزيز.

سلسلة من المصادفات، أم هو يُمن الطالع الذي يدفع هذه الأسرة الكريمة إلى اعتلاء ذرا المجد. جيلاً بعد جيل؟!

صورة حامل الجواز

Photograph



توقيع حامل الجواز — Signature

عبد العزيز آل ابراهيم

أو طابع الابهام — Or Presses

ملاحظة : يجب اضافة صورة وتوقيع وطابع ابهام من يرافق حامل الجواز إن كان ذكراً وتوقيع أو طابع ابهام الانثى فقط .

هذا الجواز صالح للسفر الى البلدان الآتية (١) :

مصر . فلسطين . لبنان . سوريا

صدر هذا الجواز من قبل وزارة خارجية السعودية

بناء على التصريح الصادر من [illegible]

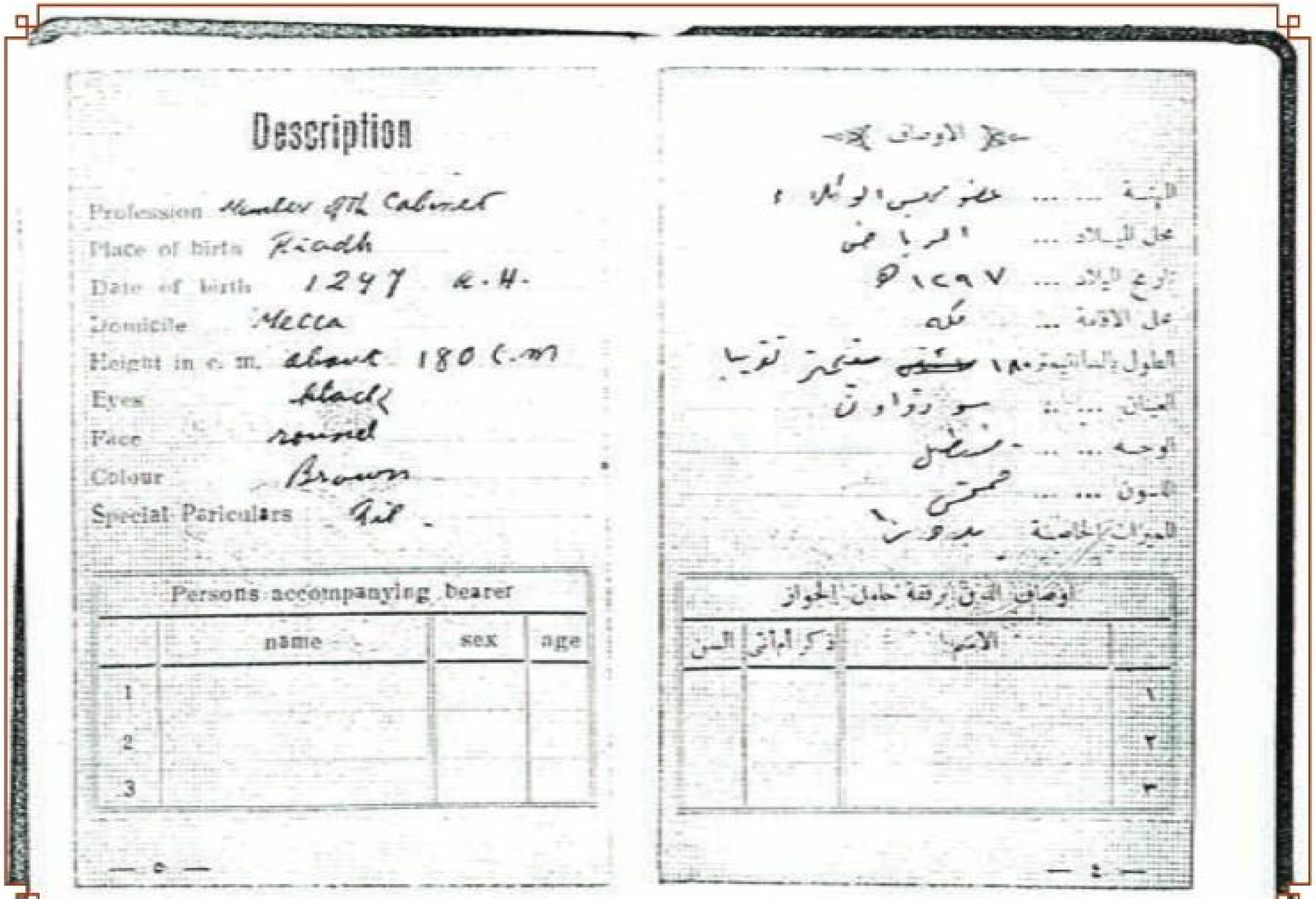
رقم ٥٧/٤/٢/٢٠ تاريخ ٦٥/٤/٧

وبعد الاطلاع على احدى وثيقتين :

١ — جواز سفر سابق رقم ______ تاريخ

٢ — وثيقة تابعية رقم ______ تاريخ

(١) اذا رغب في اضافة بلد جديدة فن الضروري ان تحصل الاضافة من قبل الجهة المختصة :



Description

Profession *Member of the Cabinet*
Place of birth *Riadh*
Date of birth *1297 A.H.*
Domicile *Mecca*
Height in c. m. *about 180 C.M*
Eyes *black*
Face *round*
Colour *Brown*
Special Pariculars *Nil.*

Persons accompanying bearer

	name	sex	age
1			
2			
3			

— 5 —

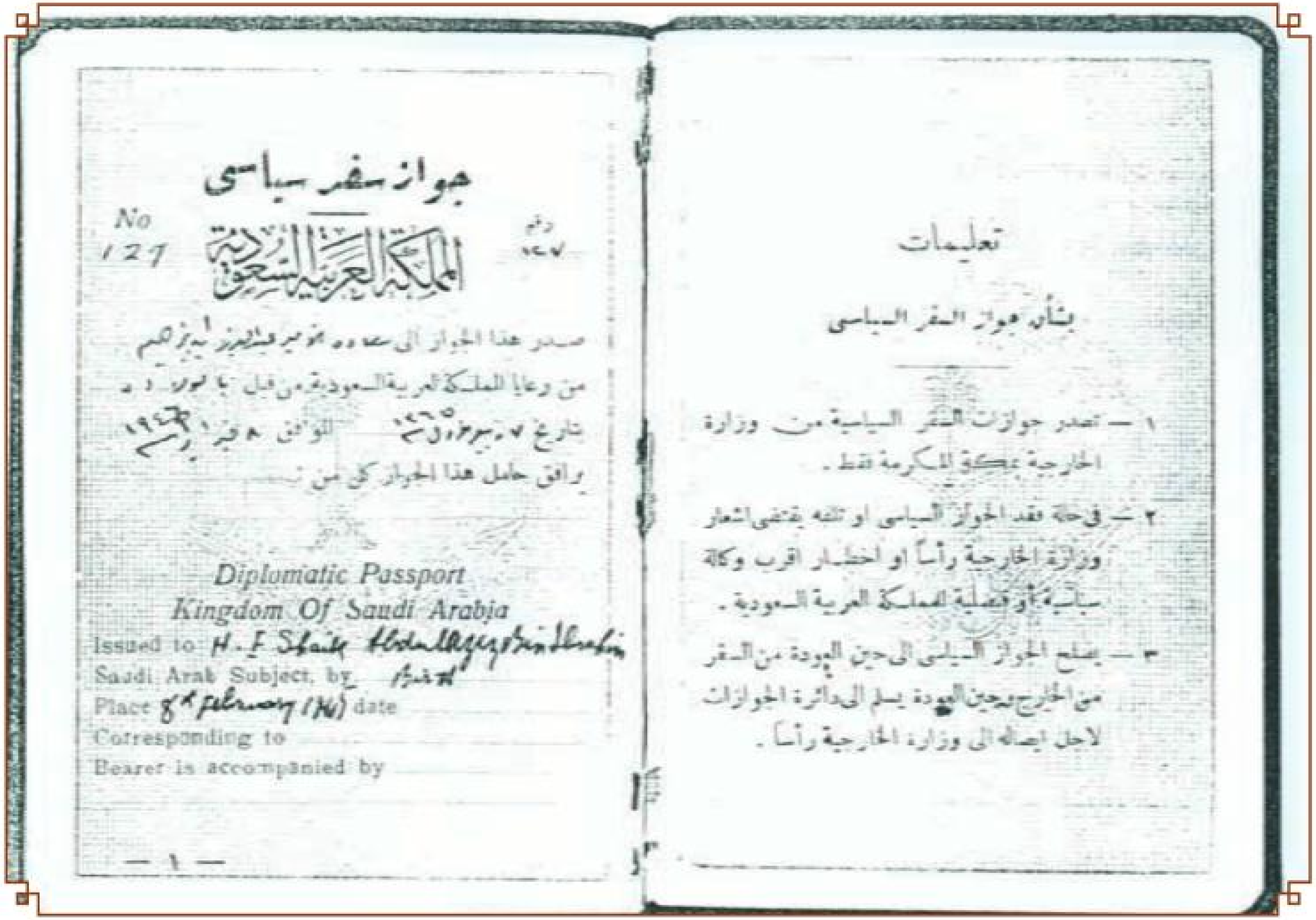
الأوصاف

المهنة ... ... عضو مجلس الوكلاء
محل الميلاد ... الرياض
تاريخ الميلاد ... ١٢٩٧ هـ
محل الاقامة ... مكة
الطول بالسانتيمتر [illegible] تقريبا
العينان ... ... سوداوان
الوجه ... ... [illegible]
اللون ... ... قمحي
العلامات الخاصة بدون

أوصاف الذين يرافقون حامل الجواز

	الأسماء	ذكر أم أنثى	السن
١			
٢			
٣			

— ٤ —



جواز سفر سياسي

No 127 — رقم ١٢٧

المملكة العربية السعودية

صدر هذا الجواز الى سعادة ... عبد العزيز ...

من رعايا المملكة العربية السعودية من قبل ...

بتاريخ ... الموافق ...

ورافق حامل هذا الجواز كل من ...

Diplomatic Passport

Kingdom Of Saudi Arabia

Issued to: H. E. Shaik Abdullaziz ...

Saudi Arab Subject, by ...

Place 8th February (1946) date

Corresponding to

Bearer is accompanied by

— ١ —

تعليمات

بشأن جواز السفر السياسي

١ — تصدر جوازات السفر السياسية من وزارة الخارجية بمكة المكرمة فقط .

٢ — في حالة فقد الجواز السياسي او تلفه يقتضي اشعار وزارة الخارجية رأساً او اخطار اقرب وكالة سياسية أو قنصلية للمملكة العربية السعودية .

٣ — يصلح الجواز السياسي الى حين العودة من السفر من الخارج وحين العودة يسلم الى دائرة الجوازات لاجل ايصاله الى وزارة الخارجية رأساً .

صفاته:

قال المستشرق الإنجليزي عبد الله فيلبي يصف الأمير عبد العزيز بن إبراهيم:

"كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم رجلاً وقورًا ضخم الجثة مهيب الطلعة له لحية بيضاء طويلة، ويرتدي ثوبًا أبيض ومشلحًا (عباءة) ويتوج رأسه كوفية وعقال، وهو شيخ في منظره فتى في نشاطه، قوي في إرادته وأحكامه، مهيب في مجلسه حكيم في تصرفاته"(١).

وقال محي الدين رضا في رحلته إلى الحجاز، التي قام بها في عام ١٣٥٣هـ (١٩٣٥م)، وكان محررًا بجريدة "المقطم"، ومراسلاً لجريدة "البلاد" العراقية:

"إذا دخلت على الأمير عبد العزيز بن إبراهيم رأيت رجلاً في الستين من عمره تبدو عليه إمارات الصلاح والتقوى، يغض البصر ويهبط بوجهه إلى الأرض، نحيف الجسم طويل اللحية استولى البياض على شعراتها، فزاده وقارًا وهيبة"(٢).

أما المؤرخ عبد القدوس الأنصاري فقد وصفه في ما كتبه عنه بأنه "كان عربي الصفات والسمات، قمحي اللون صافي الإهاب، طوالاً من بين الرجال أدعج العينين سبط أنامل الكفين عريض الجبهة، واسع الفم مهيب الطلعة، ذا لحية أقرب إلى الكثافة، وذا صوت جهوري نفاذ.

فإذا كان مرتاح الضمير وعلى سجيته الفطرية تبرز من طلعته فكرة

(١) عبد العزيز الأحيدب، ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص٦٥.

(٢) محي الدين رضا، رحلتي إلى الحجاز، ص١٢١.

العربي النبيل الأصيل، ففي قلبه إلى جانب الحزم عطف مكين، ورحمة عميقة وإنسانية نبيلة يحيط بها إطار مشرق عطر من الكرم الحاتمي واللطف والإيناس، وللرعاية البرة للطيبين من الناس منه نصيب قيم وكبير.

والأمير ابن إبراهيم يكتنف حياته الحافلة أمران هما: الحزم في الحكم وبخاصة على المفسدين والمجرمين، والكرم والنبل وبخاصة حيال النبلاء فضلاء الأخلاق من الرجال المثقفين الطيبين"(١).

تعليمه وثقافته:

كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم محبًا للأدب والثقافة، وحين انتقل مع الملك عبد العزيز من حائل إلى الرياض كان يجيد القراءة والكتابة، كما كان ملمًّا بأحكام الشريعة الإسلامية، بحيث كان يعد من مثقفي زمانه، خاصة أنه كان قد حفظ أجزاء من كتاب الله - صغيرًا - وتعلم القراءة والكتابة على بعض المشايخ في الرياض والأفلاج، ولم تكن الدروس التي يلقيها هؤلاء المشايخ قاصرة على إجادة الكتابة والقراءة، بل كانت تشمل ألوانًا من الثقافة والتاريخ والأدب والشعر، وقد وعت ذاكرته كل ما درسه وما تلقاه على يد مشايخه في الرياض والأفلاج، إلى أن ولي إمارة المدينة المنورة فجعل من داره محفلاً من محافل الأدب والثقافة، يرتاده الأدباء والمفكرون، وكانت تخرج من هذا المحفل الأفكار والمقترحات التي كانت تأخذ طريقها للتنفيذ برعاية الأمير ابن إبراهيم.

(١) عبد القدوس الأنصاري، أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الرابعة، جريدة المدينة، العدد ٥٧٥١ الصادر في ٦ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

المناصب التي تولاها:

مكث ابن إبراهيم، بعد عودته من حائل، في الرياض ينتظر ما سوف تسفر عنه الأحداث السريعة المتلاحقة، التي كان يرقب تفاعلاتها عن كثب بعين الفاحص المدقق، ولهفة الجندي المتحفز لأداء الواجب فور سماعه أمر القائد بالانطلاق.

ولم يطل به الانتظار، ففي عام ١٣٤١هـ، أي بعد سنة من عودته إلى الرياض بعائلته، أمره الملك - يرحمه الله - بالتوجه إلى أبها ليعمل أميرًا هناك[١]، وكان ذلك في شهر شوال ١٣٤١هـ.

ويذكر صاحب الرحلة الملكية أن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم كان من بين من رافق الملك عبد العزيز في رحلته الملكية التاريخية من الرياض إلى مكة المكرمة[٢]، ويصف الزركلي سفر الملك بأنه كان "على الذلول، لا سيارة ولا طيارة، يوم ١٣ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ، (١١ نوفمبر ١٩٢٤م)، وخلفه ومن حوله جمع كبير قيل لي، إن حاشيته وحدها كانت زهاء ثلاثمائة هجان"[٣].

وقبل أن يتوجه الملك عبد العزيز من قرن المنازل، المسمى اليوم السيل الكبير، وهو ميقات الإحرام، إلى مكة محرمًا، أرسل يستدعي عبد العزيز

---

(١) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

(٢) يوسف يس، الرحلة الملكية عام ١٣٤٣هـ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص٥٣.

(٣) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص٢٣٥.

ابن إبراهيم، حيث أمره بعدم الإحرام وعينه أميرًا على الطائف في ٢٨ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ[١].

كما عين الأمير عبد العزيز بن إبراهيم وكيلاً لإمارة المدينة المنورة في العاشر من ربيع الثاني سنة ١٣٤٦هـ، وكان أميرها الرسمي هو صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود - يرحمه الله - الذي كان قد تسلم زمام إمارة المدينة في سنة ١٣٤٤هـ، من عبد المجيد باشا قائد الحامية العسكرية في ذلك الوقت، ومن الشريف أحمد بن منصور وكيل أمير المدينة المنورة في عهد الشريف الحسين بن علي وفي عهد خليفته الشريف علي بن الحسين[٢].

وفي الثالث عشر من صفر سنة ١٣٥٥هـ تم تعيين الأمير عبد العزيز ابن إبراهيم عضوًا بمجلس الوكلاء، الذي كان يقوم مقام مجلس الوزراء الحالي.

والفصول الثلاثة التالية هي استعراض للأدوار الوطنية الكبيرة التي اضطلع بها الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، من خلال إمارته في المناطق الثلاث: أبها، والطائف، والمدينة المنورة، ثم عضويته في مجلس الوكلاء، حيث خصص الفصل الرابع لإمارته في عسير، وخصص الفصل الخامس لإمارته في الطائف، أما الفصل السادس فقد خصص لإمارته في المدينة

(١) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

(٢) عبد القدوس الأنصاري، أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، جريدة المدينة، العدد ٥٧٧١، ٢٦ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

المنورة، وهي أطول فترة تولى فيها إمارة إحدى المناطق، فقد استمرت إمارته عليها ما يقرب من عشر سنوات كاملة، وكانت هذه الفترة قمة نضجه السياسي والإداري، كما أن السنوات التي قضاها ابن إبراهيم أميرًا على المدينة المنورة، والإنجازات الأمنية والاجتماعية التي تحققت إبّان فترة إمارته، هي التي جعلت من عبد العزيز بن إبراهيم الأمير البارز الناجح المهيب، الذي يتردد اسمه في شتى الأنحاء، والذي استحق – بجدارة – أن يكون شاهدًا على حسن اختيار الملك عبد العزيز لمعاونيه، كما استحق أن يكون عنوانًا لعصر شاع فيه الأمن، واختفى الخوف، ورفرفت فيه الطمأنينة في كل مكان.

الفصل الرابع

عبد العزيز بن إبراهيم
«أميرًا على عسير»

محتويات الفصل الرابع

عبد العزيز بن إبراهيم «أميرًا على عسير»

- الاستعداد للمهمة الأولى.
- عسير قبل الملك عبد العزيز.
- عسير في عهد الملك عبد العزيز.
- عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على عسير.
- أحوال عسير في فترة إمارة عبد العزيز بن إبراهيم.
- وقفة تاريخية.
- نهاية فترة إمارة عبد العزيز بن إبراهيم على عسير.

الفصل الرابع

عبد العزيز بن إبراهيم «أميرًا على عسير»

الاستعداد للمهمة الأولى:

بعودة عبد العزيز بن إبراهيم إلى مسقط رأسه الرياض، بدأت مرحلة جديدة من حياته – يرحمه الله – وهي مرحلة مميزة، أتيحت له فيها مرافقة جلالة الملك عبد العزيز بن سعود، الرجل الذي صنع المعجزة، و لمَّ الشتات، وجمع الشمل، وأسس وبنى دولة عصرية راسخة الكيان. لقد كانت مرافقة رجل كالملك عبد العزيز أمنية عزيزة وغالية، تحققت لعبد العزيز بن إبراهيم، حيث اختصه الملك بالرعاية، ورأى فيه صدق العزيمة وإخلاص القول والعمل، فاختاره لمهمات متتالية في طريق توحيد الجزيرة، وتأسيس المملكة.

كانت عودة ابن إبراهيم إلى الرياض في عام ١٣٤٠هـ، بعد فتح حائل وخضوعها للسلطان عبد العزيز، وقد كان ابن إبراهيم في معية الملك عبد العزيز بالرياض يتهيأ لأية مهمة توكل إليه، يسهم من خلالها، وتحت إشراف جلالة الملك، في إتمام جزء من الصورة الخالدة التي رسمها عبد العزيز بن سعود لدولته وأمته.

وفي ذلك العام كان الملك عبد العزيز مشغولاً بالواجهة الجنوبية للبلاد، بعد أن فتحت له بوابة الشمال، لقد اتجهت أنظار الملك عبد العزيز صوب

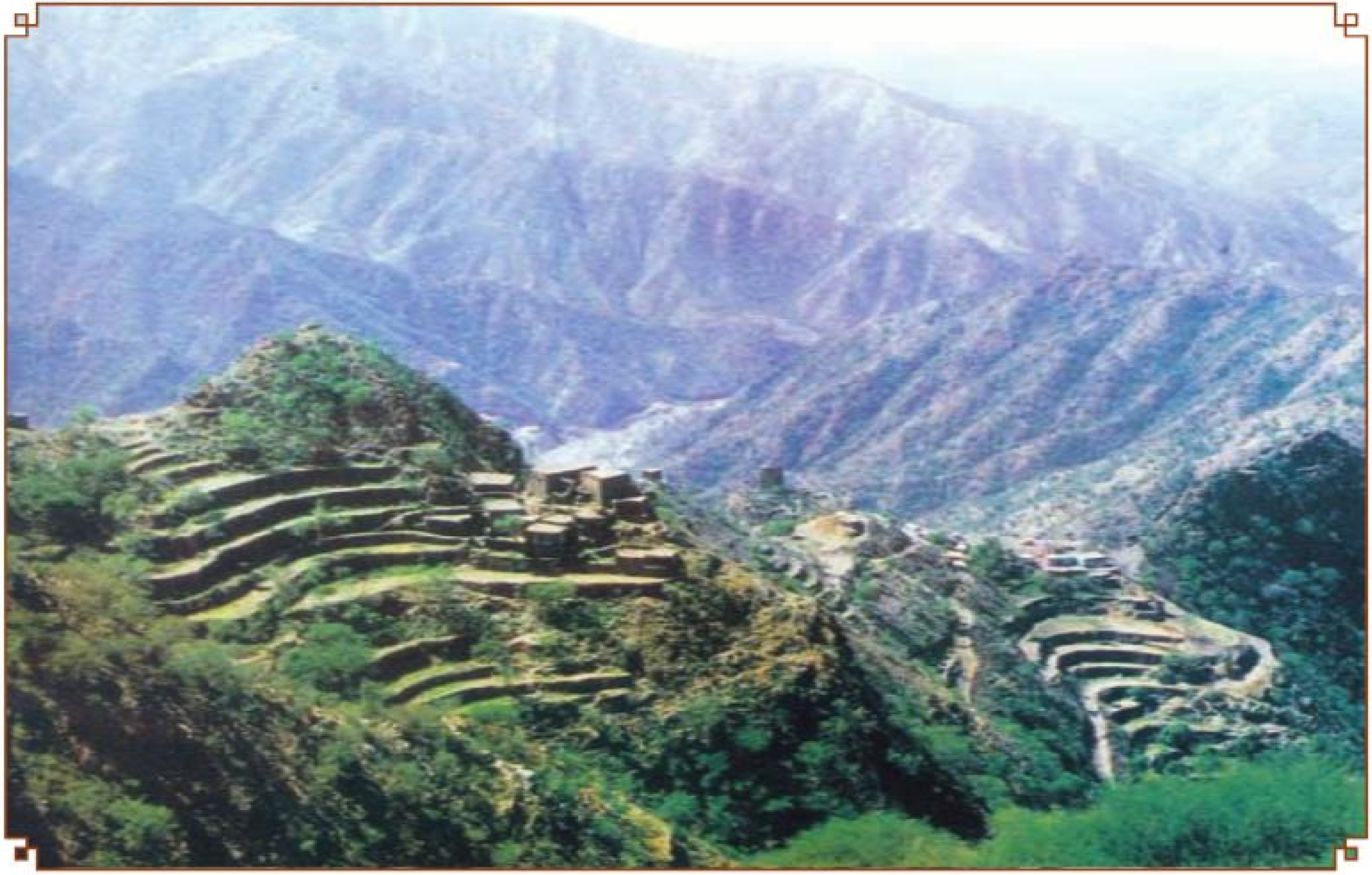
إقليم عسير المنيع بجباله الصخرية الشاهقة المعانقة للسحاب، وأوديته السحيقة وغاباته الكثيفة، و لم يستعص هذا الإقليم على الملك عبد العزيز، فقد انضم إلى البلاد السعودية بعد احتلال أبها قبل عامين على يد عبد العزيز بن مساعد بن جلوي، إلا أن الأمور في عسير لم تهدأ و لم تستقر، وبقي الأمر هناك يشغل بال السلطان.

وتطلب الأمر أن يرسل عبد العزيز قوة جديدة إلى أبها في شوال سنة ١٣٤٠هـ، لتعود عسير سعودية، كما كانت في عهد سعود الكبير وخلفائه. فقد تمكن قائد القوة الأمير فيصل بن عبد العزيز من احتلال أبها، تلك المدينة التي امتنعت على الجيش التركي ردحًا طويلاً.

وعاد الأمير فيصل إلى الرياض، يحمل إلى أبيه أنباء انتصاراته الجديدة في عسير، التي تعد إضافة جديدة إلى دولة عزم السلطان عبد العزيز على تأسيسها، لتكون موحدة يلتقي فيها أبناء الشمال بأبناء الجنوب، ويلتئم بها شمل الشرق بالغرب.

لكن ذلك لم يكن نهاية المطاف مع عسير وثوراتها وعدم استقرارها، فقد استمرت تشغل بال السلطان عبد العزيز حيث حوربت حاميته في أبها، وتوفي عامله هناك وتجددت الحاجة إلى أسلوب يتم به القضاء على مكامن الشر، وإطفاء ما بقي من نار الفتنة.

و لم يكن ليخطر ببال عبد العزيز بن إبراهيم – يرحمه الله – وهو يراقب أحداث عسير ويعيشها لحظة بلحظة، أنه سيكون ذلك الرجل الذي سينتدبه السلطان أميرًا على عسير، مكلفًا بإخماد الثورات والفتن بها، ولهذا فقد



صورة تمثل مشهداً من عسير

سكت حين أمره السلطان بتولي هذه المهمة، ولمح السلطان عبد العزيز ردة الفعل هذه فطمأنه بكلماته الرصينة المليئة بالحكمة المفعمة بحنان الأبوة وصرامة القائد. لقد كانت عسير في نظر عبد العزيز بن إبراهيم بعيدة كل البعد، فهو عائد لتوّه من الشمال، وها هو يؤمر بالرحيل إلى الجنوب، كانت تلك أفكارًا تدور في ذهن عبد العزيز بن إبراهيم، و لم يكن بحاجة لإبدائها لجلالة الملك، الذي عرفها بفطنته وذكائه، فوجهه وأخبره بأن الوطن واحد مهما تباعدت أجزاؤه "لا يبعد الأوطان يا ولدي غير أسمائها"[١].

هكذا كانت صورة الوطن في مخيلة الملك عبد العزيز بن سعود: وحدة وتمازج وتقارب، وقد عمل - يرحمه الله - منذ اليوم الأول من عودته المظفرة إلى الرياض، على تجسيد هذه الصورة الناصعة للوطن، فشرع يلملم أجزاءها، ويجمع شتاتها ويختار من رجاله من يعينه على تحقيق ما ارتسم في مخيلته، وها هو - يرحمه الله - يختار عبد العزيز بن إبراهيم، ويعهد إليه بالإمارة في عسير، ويكلفه توطيد قواعد الحكم السعودي هناك.

لقد تابع ابن إبراهيم في الفترة التي مكثها في الرياض، بعد عودته من حائل، أحداثًا سياسية داخلية وخارجية، فعلى الصعيد الداخلي كانت هناك عسير وعودتها إلى العرين السعودي على يد الأمير فيصل بن عبد العزيز، أما على الصعيد الخارجي فقد عقد في ربيع الثاني ١٣٤١هـ[٢]، مؤتمر العقير مع حكومة العراق لتحديد الحدود وتنظيم تبعية القبائل

(١) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

(٢) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٣١٣.

وكفالة حرية التجارة والانتقال. وقد أسهمت هذه الأحداث في زيادة حصيلة ابن إبراهيم السياسية، حيث راقب عن كثب كيف كان الملك عبد العزيز السياسي اللامع يتعامل مع هذه الأحداث، في هدوء الحكيم وثبات الشجاع وصبر الحليم.

نفّذ ابن إبراهيم توجيهات القائد الأعلى واستعد للرحيل، وفي قلبه حنين إلى مسقط رأسه الرياض، التي شاءت الأقدار أن يبتعد عنها زمنًا ليسعد بالعودة إليها ثم لا يلبث أن يغادرها مرة أخرى. لقد طلب ابن إبراهيم قبل مغادرته الرياض إلى عسير أن يسمح له السلطان بالعودة إلى الرياض، بعد إنهائه المهمة التي أوكلت إليه، فما كان من السلطان عبد العزيز – يرحمه الله – إلا أن رد عليه بابتسامة تنمّ عن حسن التعامل الذي اشتهر به، والذي كان يُذكي به الحماس والإخلاص في نفوس معاونيه.

ولعله من المناسب استعراض أحوال عسير قبل عهد الملك عبد العزيز، ثم بعد انضمامها للدولة السعودية، حتى مجيء الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى أبها، وذلك ليقف القارئ على حقيقة تطور المراحل التاريخية في هذا الجزء العزيز من بلادنا، وليتعرف على أحوال المنطقة وخلفية الأحداث والأمير عبد العزيز بن إبراهيم يباشر مهام عمله أميرًا على عسير.

عسير قبل عهد الملك عبد العزيز:

يمتد إقليم عسير على مساحة واسعة من الأرض، ويذكر الدكتور محمد آل زلفة في كتابه "عسير في عهد الملك عبد العزيز" تعريفاً للإقليم بالمصطلح المحلي العسيري: "عسير من ظهران إلى زهران، ومن الشعف إلى السعف، والمقصود أن عسير تمتد من المناطق المنخفضة باتجاه الشرق، حيث بيشة والوديان على قمم جبال السراة، ثم إلى تهامة غربًا حتى ساحل البحر الأحمر. ويشترك إقليم عسير حاليًا في حدوده مع الرياض ونجران واليمن وجيزان ومكة المكرمة والباحة،ومدينة أبها هي قاعدة منطقة عسير الإدارية التي تتبعها قبائل عسير وقحطان وشهران ورجال الحجر وبالقرن وشمران وخثعم وعليان وقبائل تهامة وقبائل بيشة بني سلول ومعاوية، وكان إقليم عسير يعرف بمخلاف جرش(١).

وكانت عسير كما يذكر النعمي في "تاريخ عسير" - منذ اعتناقها الدين الإسلامي - تابعة لمكة، حتى إذا ضعفت الخلافة في آخر العهد العباسي، صارت تتبع صاحب النفوذ الأقوى من حكام الأقاليم المجاورة، كالأيوبيين والمماليك في مصر، والرسوليين في اليمن، وأمراء مكة من الأشراف، فالأتراك العثمانيين.

وعندما جدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدعوة السلفية في نجد في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، ترامت إلى عسير أخبارها، وسطعت

(١) هاشم بن سعيد النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص١٣١ - ١٣٤.

أنوارها على جبال السراة، حيث وفد على الدرعية محمد بن عامر أبو نقطة عام ١٢١٥هـ[1]، قاصدًا الأخذ بمبادئ تلك الدعوة، لاقتناعه بسلامتها وصحتها، وطمعاً في نيل السلطة والزعامة بين قبائله عن طريق حمايتها. وقد تحققت أمنيته حين انتهز الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود الفرصة، وأسند إليه حماية الدعوة في هذه الربوع ونشرها بين السكان، واشترط عليه محاربة شريف "أبو عريش"، الذي كان مناصبًا الدعوة العداء، وجهز معه جيشًا كثيفًا بقيادة ربيع بن زيد أمير ناحية الدواسر.

وقد استطاع ابن عامر، بمعونة هذا الجيش، تثبيت إمارته على عسير السراة وعسير تهامة، ثم مرض ومات في شهر جمادى الأولى عام ١٢١٧هـ، فبايع أهل عسير أخاه عبد الوهاب بن عامر أبو نقطة العسيري، وعلم الإمام عبد العزيز بذلك فوافق، وأخذ عبد الوهاب بمواصلة مهمة سلفه في إخضاع القبائل المجاورة لعسير ومحاربة الشريف حمود أمير "أبو عريش" فهزمه، وأعلن الشريف حمود الطاعة والبيعة لابن سعود عام ١٢١٧هـ، فأبقاه عبد الوهاب أميرًا على "أبو عريش"، ولكنه ما لبث أن نقض العهد وقتل عبد الوهاب، فقام ابن عم عبد الوهاب طامي بن شعيب بمحاربة حمود واستعاد منه الدولة وضمها إلى البلاد السعودية.

وحينما ضعف مركز الشريف حمود، توسط لدى الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد أمير الدرعية عام ١٢٢٦هـ، وطلب منه المصالحة والاتفاق على أن يكف السعوديون عن حربه مقابل تنازله عن صبيا والدرب وبيش

(١) ينتهي نسب محمد بن عامر الملقب (أبو نقطة) إلى فخذ المتحمي من قبيلة ربيعة ورفيدة إحدى قبائل عسير السراة.

للإمام سعود ودفعه خراجًا سنويًا عن الموانئ اليمنية[1]، وهدأت الأحوال بعد ذلك إلى أن وصل المصريون إلى المنطقة، حينها تجرأ الشريف حمود على نقض الاتفاق ووقف موقف الحب من آل سعود حتى توفي عام ١٢٣٢هـ، وتحولت عسير إلى سيطرة محمد علي باشا والي مصر من قبل الدولة العثمانية، بعد أن تم القضاء على الدولة السعودية الأولى في ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ[2].

وبدأت عسير ملحمة صمود مشهودة أمام غزوات محمد علي المتكررة، وظلت صامدة تنشد الاستقلال ولا ترضى به بديلاً. لقد تحول مركز الثقل إلى عسير، بعد أن سقطت الدرعية واضطربت أحوال نجد وضعفت فيها المقاومة، وكان لزامًا على محمد علي أن يكثف من حملاته على إمارة عسير الصامدة، بعد أن أخذ قادة الثوار هناك زمام المبادرة والتصدي لمطامع محمد علي في الجزيرة العربية، وكان على عسير، إضافة إلى مواجهة قوات محمد علي، أن تتصدى لمؤامرات إمام اليمن من الجنوب وشريف "أبو عريش" من الغرب، كما أن أشراف الحجاز من الشمال كانوا متواطئين مع القوات المصرية الغازية.

وتكونت في عسير ثلاث جبهات دفاعية بقيادة كل من سعيد بن مسلط ومحمد بن أحمد المتحمي وعلي بن مجثل، و لم تكن العلاقة بين إمارة عسير وإمارة نجد متصلة في هذه الأثناء، فقد كان الإمام تركي بن عبد الله آل

(١) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب - عسير، ص١٥٨ - ١٥٩.

(٢) منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الأولى - ج٤، ص١٣٤.

سعود – يرحمه الله – مشغولاً بإعادة توحيد صفوف أهالي نجد، الذين انفرط عقدهم وضعفت مقاومتهم بعد سقوط دولتهم.

التفت قبائل عسير – سراة وتهامة – حول سعيد بن مسلط وبايعته بالإمارة، لما عرف عنه من التدين والاستقامة، إذ إن الإمارة في عسير تعتمد وتقوم على الدين، لأن أهلها أهل صلاح وتقوى بشكل عام. وإضافة إلى قبائل عسير فقد بايعت قبائل رجال الحجر وقحطان وشهران سعيد ابن مسلط بالإمارة، وقاد سعيد بن مسلط مقاومة العسيريين ضد الغزاة حتى توفي في شهر صفر عام ١٢٤٢هـ[١]، (ورد في مجلة العرب، المجلد التاسع، ص٨٦٢ أن وفاته كانت في ربيع الأول عام ١٢٤٢هـ) بعد حكم دام ثلاثة أعوام وتسعة أشهر تقريبًا، وبوفاته تولى الحكم في عسير ابن عمه علي بن مجثل المغيدي.

لقد كانت إمارة سعيد بن مسلط نقطة تحول في تاريخ عسير، وانتقال كيانها السياسي من آل المتحمي من ربيعة ورفيدة إلى قبيلة بني مغيد، وتُعَدّ إمارة سعيد بن مسلط الإمارة المستقلة الأولى في عسير، إذ إن إمارة آل المتحمي كانت مستفيدة من نفوذ آل سعود في الدور الأول للدولة السعودية.

كان علي بن مجثل يحتل منزلة رفيعة من التدين والورع، متشبعًا بمبادئ العقيدة السلفية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولهذا فقد التفت حوله العشائر، واستطاع أن يحرر عسير من السلطة التركية، مستغلاً الخلاف الذي نشأ بين أشراف مكة، وانشغال محمد علي في حروبه

---

(١) هاشم النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص١٧٥.

التي شنها ضد الدولة العثمانية. وقد قام علي بن مجثل بإصلاحات كثيرة، وامتدت إمارته من بلاد زهران إلى حدود بلاد يام وبني جماعة وإلى المخا من السواحل اليمنية، وعندما اشتد به المرض جمع أهل الحل والعقد في عسير وأوصى بالإمارة إلى عائض بن مرعي، فبايعه الناس واجتمعوا على طاعته، وكان ذلك في عام ١٢٤٩هـ[1].

يلتقي عائض بن مرعي مع سعيد بن مسلط وعلي بن مجثل في الجد الخامس، وقد تربى عائض بن مرعي يتيمًا في بيت ابن عمه محمد بن أحمد الذي قتله جيش الإمام محمد بن سعود لمجابهته محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي أمير عسير، وانتقل عائض بن مرعي بعد وفاة ابن عمه إلى كفالة سعيد بن مسلط أخي علي بن مجثل لأمه.

سار الأمير عائض بن مرعي على نهج سلفه الأمير علي بن مجثل في مناصرة الدعوة والولاء لآل سعود، الذين تقلص نفوذهم في كثير من أنحاء الجزيرة العربية، فقد كان توليه إمارة عسير في الوقت الذي قتل فيه الإمام تركي بن عبد الله آل سعود، وفي الفترة التي انقطعت فيها الصلة بين نجد وعسير، وكثرت الاضطرابات التي واكبت تقلد الإمام فيصل ابن تركي زمام الحكم في نجد.

استهل عائض بن مرعي فترة إمارته بمحاربة أمير "أبو عريش" علي بن حيدر الذي تمرد على الأمير الجديد، وتوالت حملات الأتراك على عسير بالاتفاق مع إمام اليمن وشريف "أبو عريش"، واستطاع الأمير عائض أن يقف أمام هذه الحملات.

(١) عبد الله بن علي، دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية، في: مجلة العرب، المجلد٩، ص٨٦٥.

وحينما انسحب المصريون من الجزيرة العربية عام ١٢٥٥هـ[١]، قام عائض بن مرعي ببعض الغزوات على بعض القبائل، التي أرادت الخروج عليه فأعادها تحت لوائه، فقد استغل على سبيل المثال ضعف شريف مكة محمد بن عون فأغار عام ١٢٦٠هـ، على بيشة وبلاد بالقرن وشمران وغامد وأدخلهم في إمارته، كما قام بضم اليمن إلى إمارته عام ١٢٦٤هـ[٢]، عندما اختلف أئمة صنعاء على حكمها، وجهز الأمير عائض في العام نفسه حملة إلى وادي الدواسر وضمها، أيضًا، إلى إمارته.

وفي عام ١٢٧٣هـ مرض عائض بن مرعي وتوفي، بعد أن امتدت فترة إمارته إلى ما يقرب من أربع وعشرين سنة، وصلت خلالها حدود إمارته إلى بلاد زهران في الشمال حتى ظهران الجنوب في الجنوب، وإلى وادي تثليث شرقًا، حتى البحر الأحمر في الغرب، وامتدت أيضًا إلى تهامة اليمن حتى مخا[٣].

وهكذا طويت صفحة أحد أمـراء عسير البارزين، الذي حافظ على استقلال منطقة عسير، ورد حملات المصريين والعثمانيين، مؤديًا دورًا مشابهًا لدور الإمام فيصل بن تركي آل سعود في عهد الدولة السعودية الثانية، ومع أن حكم الأمير عائض بن مرعي يُعدّ امتدادًا لحكم آل سعود في إقليم عسير، إلا أن القوى المعادية لم تكن لتسمح بالالتقاء بين الإمارتين، واقتصرت العلاقة بينهما على الود والاحترام، بين الأميرين والبيتين الحاكمين، في كل من نجد وعسير[٤].

---

(١) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب – عسير، ص١٩١.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٣.

(٣) المرجع السابق، ص١٩٤.

(٤) محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص١٠.

دعا الأمير عائض في أواخر حياته كبار القوم وشيوخ القبائل وأهل الرأي لاختيار الأمير من بعده، فرشحوا محمد بن عائض بن مرعي الذي تولى الإمارة في اليوم التالي من وفاة أبيه، وقد كان عهده عهد خير وأمن واستقرار، فقد استفاد من توطيد أبيه لدعائم حكم عسير وتوسيع رقعتها.

وقد وجهت الدولة العثمانية عدة حملات إلى عسير للقضاء على محمد ابن عائض وإمارته، فباءت جميعها بالفشل وتحطمت أمام قوة عسير، كما استعانت الدولة العثمانية بالإمام فيصل بن تركي حين وجهت حملة ضد ثورة عسير عام ١٢٨٠هـ، إلا أن الإمام فيصلاً لم يقدم أي مساعدات تذكر، وذلك للعلاقة الطيبة التي كانت تربطه مع قبائل عسير ومع أمراء المنطقة من آل عائض، تلك العلاقة التي كانت تصل إلى حد الولاء للدولة السعودية وأمرائها، منذ زمن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود[١].

وقد تصدت الحاميات العسيرية لحملة الدولة العثمانية وأبادتها، وتوالت حملات العثمانيين وبقيت عسير صامدة، وبلغت قوة الأمير محمد بن عائض أوجها، وأطاعه أهل المنطقة جميعًا والمخلاف السليماني في تهامة بأسرها، ووصلت إمارة عسير إلى أقصى اتساع لها، إذ امتدت من الحجاز شمالاً إلى عدن جنوبًا ومن البحر الأحمر غربًا إلى الربع الخالي شرقًا.

وفي عام ١٢٨٨هـ، تصدعت مقاومة ابن عائض وضعفت، واحتل العثمانيون المناطق العسيرية واحدة بعد الأخرى، والتجأ محمد بن عائض إلى قرية ريدة وتحصن فيها، إلا أنه استسلم بعد ذلك وقتل هو وبعض إخوانه

(١) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب - عسير، ص٢٠٨.

وأقاربه، وحمل الباقون إلى استانبول مع بعض سراة القوم من عسير[1].

وبقي ناصر بن عائض مرابطًا في أبها، التي لم تسقط بعد بيد الترك، وتزامن استيلاء العثمانيين على عسير مع احتلالهم أيضًا لمنطقة الأحساء، وكان ذلك منذرًا بنهاية الدولة السعودية الثانية. وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ عسير كانت السلطة فيها تابعة للدولة العثمانية بالاسم، إذ لم يكن أمر الولاة يمتد لأكثر من المراكز العسكرية والثكنات وبعض المدن أحيانًا، أما ما عدا ذلك فكانت السلطة الحقيقية بيد آل عائض ومشائخ القبائل.

شدد الأتراك وطأتهم على أبها، فاضطر الأمير ناصر بن عائض إلى الانسحاب والخلاص بمن معه، ولكن التناوش بين الطرفين استمر حتى أصيب الأمير ناصر برصاصة في إحدى المعارك لقي بعدها حتفه في المحرم سنة ١٢٩٥هـ[2].

وكان السلطان العثماني قد عفا عن عبد الرحمن بن عائض وأخيه سعيد، وأذن لهما بالرجوع من استانبول إلى بلادهما، فاتصل بهما أعيان عسير وبايعوا عبد الرحمن بن عائض، ووجد آل عائض وأعيان عسير أنفسهم وجهًا لوجه مع الأتراك مرة أخرى، واستنفر الأمير عبد الرحمن بن عائض القبائل الموالية له، وضرب الحصار على أبها عام ١٢٩٩هـ، وكادت أبها أن تستسلم لولا وصول النجدات والتعزيزات التركية، فانتهى الأمر بالصلح وفك الحصار، وكان ذلك في عام ١٣٠١هـ، وقد كان سعيد بن عائض

(١) محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص١٠.

(٢) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب - عسير، ص٢٢٤.

وسيط الصلح بين الطرفين، فقدر له العثمانيون ذلك الموقف وعينوه على بلاد غامد وزهران وبيشة، كما عين الأمير عبد الرحمن معاونًا لمتصرف عسير حتى وافاه أجله عام ١٣٠٥هـ.

أما الأمير علي بن محمد بن عائض، ابن أخي الأمير عبد الرحمن، والذي لم يكن راضيًا بالصلح مع الأتراك، فقد قام عام ١٣١٨هـ بثورة ضدهم وحاصر مدينة أبها، إلا أنه هزم رغم تكراره للمحاولة، وأُسر بعض أفراد أسرة آل عائض وأُرسلوا إلى اليمن، ثم أعيدوا إلى أبها، وعين عبد الله بن محمد بن عائض معاونًا لمتصرف عسير، كما عين محمد بن عبد الرحمن بن عائض محافظًا لمدينة أبها، أما الأمير علي بن محمد بن عائض زعيم الحركة فقد جرح في حصار أبها، ثم توفي عام ١٣٢٤هـ[1].

وفي هذه الأثناء قويت شوكة الإدريسي في تهامة، وأراد أن يمد نفوذه خارجها، ولقيت دعوته آذانًا صاغية في عسير، وذلك لزعمه الرغبة في إعادة النظام وحفظ الأمن وتطبيق الشرع، وكان الناس قد ملوا الفوضى والثورات، إضافة إلى خوفهم من شريف مكة الذي يطمع في توسعة نفوذه ومدّه إلى عسير. كما أن الإدريسي أعلن لرجال القبائل عزمه على إخراج الترك من المنطقة. كل ذلك وافق هوى الناس في عسير، فجاءت وفود القبائل إلى الإدريسي موالية له.

عجز متصرف عسير أن يقف في وجه الإدريسي، فأُرسلت إليه مساعدة تركية هُزِمت هزيمة منكرة. وقد كان للإيطاليين دور ساعد على

(١) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب - عسير، ص٢٢٨ - ٢٣١.

انتصار الإدريسي وهزيمة الأتراك، وعزل متصرف عسير واستبدل بآخر هو سليمان باشا وذلك عام ١٣٢٦هـ[1]. وما لبث المتصرف الجديد أن بدأ يتبرم من آل عائض، الذين لمسوا فيه سوء النية، وكان الإدريسي يدرك أن في الوفاق بين آل عائض والمتصرف التركي خطرًا عليه وعلى مخططاته، فرغب في إبعاد آل عائض.

جنح الإدريسي إلى الحيلة فأوقع بين آل عائض ومتصرف عسير، مما جعل آل عائض يفكرون في التخلص من المتصرف والثورة ضد الأتراك. وبدأ التنسيق بين آل عائض والإدريسي للثورة، وحوصرت أبها حصارًا شديدًا، ولم يكن اشتراك الإدريسي مع آل عائض حبًا فيهم، وإنما كان ذلك يمثل مرحلة من مراحل تنفيذ مخططاته، وعندما علم آل عائض بسوء نية الإدريسي تخلوا عن حصارهم لأبها، والتحق محمد بن عبد الرحمن وحسن بن علي بن عائض بالشريف حسين أمير مكة الذي جاء بتكليف من الدولة التركية لإنقاذ عسير، ولم يكن أمير مكة على وفاق مع الدولة التركية، ولكنه كان يريد أن يثبت وجوده في المنطقة التي تتلاطم بها الأحداث من كل جانب.

بقي الشريف حسين مدة في أبها في ضيافة آل عائض، بعد اندحار قوات الإدريسي، ثم غادرها، وعين الأمير حسن بن علي آل عائض معاونًا لمتصرف عسير سليمان شفيق كمالي، كما عين بقية آل عائض برتب فخرية مختلفة.

---

(١) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب - عسير، ص٣٢٩.

واندلعت نار الحرب العالمية الأولى، وقوي التعاون بين تركيا وأهل عسير، وقد حلت بأهل عسير أيام الحرب مصائب وصعوبات، بسبب عزلة بلادهم وانحصار أراضيهم بين ثورة الإدريسي في الغرب على الأتراك، وثورة الشريف حسين على الأتراك في الشمال، وخلاف أئمة صنعاء مع الأتراك أيضًا في الجنوب، وانتهت الحرب وهزم الأتراك وغادروا عسير بعد أن سلموا أمرها إلى آل عائض وذلك في عام ١٣٣٧هـ[(١)].

استقل آل عائض، وشكل الأمير حسن بن علي بن عائض حكومة محلية، وأقام نواة جيش صغير يضم عددًا من الضباط الترك الذين تخلفوا في عسير، وقبض على زمام الأمور بشكل جيد. ولكنه كان بحاجة إلى المال والعتاد، ولا مجال للحصول عليهما إلا بالتعاون إما مع الإدريسي أو مع شريف مكة، إلا أن ذلك سيخلق تنافسًا جديدًا على عسير، لأن لكل منهما مطامع في المنطقة.

ولم يمض على خروج القوات العثمانية من أبها أكثر من سنة، حتى أصبح إقليم عسير في وضع مؤلم جراء الصراع بين القوى المحلية: آل عائض في أبها، والإدريسي في صبيا، بالإضافة إلى قوتين مجاورتين تتحركان بشكل نشط هما: شريف مكة في الشمال، وإمام اليمن في الجنوب. واشتد الصراع في عسير، وتجاذبت أهلها قوى متعددة وأفكار مختلفة، واشتدت الوطأة عليهم، وبدأوا يتطلعون بأمل إلى مستقبل مشرق يخفف عنهم ما حلّ بهم من فتن وحروب، ويفتح أمامهم عهدًا من الرخاء والاستقرار.

(١) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب - عسير، ص٢٤٧.

عسير في عهد الملك عبد العزيز:

كانت جميع الدلائل تشير إلى أن الملك عبد العزيز بن سعود يولي عسير عناية خاصة، فهي ذات موقع منيع جنوبي الحجاز يعد مفتاحًا وثيقًا للحرمين الشريفين، وأصبح من الضروري بمكان تأمين السيادة عليها. ومعروف أن ولاء عسير للدولة السعودية تحت قيادة الملك عبد العزيز لن يكون أمرًا جديدًا، إذ إن بداية تطلعات بعض القبائل الجنوبية إلى الملك عبد العزيز تعود إلى فترة سنواته الأولى، منذ أن بدأ - يرحمه الله - الكفاح من أجل إعادة الوحدة الوطنية الشاملة، والتي كانت آخر مرة تتحقق فيها هذه الوحدة في عهد الدولة السعودية الأولى.

وكان الملك عبد العزيز يدرك جيدًا - وهو الخبير في استراتيجية الحروب، والمتعمق في قراءة التاريخ - أن عسير تُكوّن أهمية خاصة لكل من تطلع إلى فرض سلطته على الحجاز، بل إن عسير وقبائلها اضطلعت بدورٍ تاريخيّ في الانتصار للدرعية بعد غزو قبائل يام النجرانية لها عام ١١٧٨هـ[١]، ثم إن عسير عند انضمامها إلى الدعوة السلفية، قامت بالدور نفسه واستمرت تدافع عن مبادئ الدعوة السلفية، حتى بعد سقوط الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم باشا.

لهذا لم يكن تحرك السلطان لضم عسير - كما يعتقد البعض - مجرد استجابة لدعوة الإدريسي واستنجاده به بعد هزيمته عسكريًا وسياسيًا في عسير، وشعوره بالعزلة والأخطار المحدقة به من جيرانه؛ إمام اليمن في

(١) محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٢٨.

الجنوب، والشريف الحسين في الشمال، وآل عائض من كل جانب.

لقد كان الملك عبد العزيز يدرك دوافع الإدريسي، ولهذا لم يكن توجهه – يرحمه الله – إلى عسير استجابة محضة لدعوة أرسلت إليه، فلقد أرسلت إليه دعوات أخرى ورسل ووفود من زعماء القبائل الجنوبية، يطلبون منه إنقاذ عسير مما ألم بها من فتن وقلاقل، وهذه الدعوات كانت أهم لدى الملك عبد العزيز من دعوة الإدريسي، كما كان للأسباب الاستراتيجية التي مرت بنا دور في تصميم الملك عبد العزيز وعقده النية للتوجه إلى الجنوب.

جهز الملك عبد العزيز جيشه وأعد العدة في شهر شعبان عام ١٣٣٨هـ، ويلغ تعداد الجيش ثلاثة آلاف مقاتل(١)، بقيادة ابن عمه الأمير عبد العزيز ابن مساعد بن جلوي(٢)، وكلف جلالة الملك قائده بأن يدعو ابن عائض، بادئ ذي بدء، إلى السلم ويطلب منه الانضمام إلى الدولة السعودية كما كان أجداده من قبل، كما زوّد السلطان قائده برسائل إلى رؤساء القبائل في عسير، يدعوهم فيها إلى جمع الشمل وتطبيق الشريعة.

زحف الجيش السعودي من الرياض، ووالى زحفه إلى "بيشة" عن طريق "رنية" ثم إلى "القاعة" حيث عسكر ابن مساعد بجيشه في هذه الأرض المنبسطة شرق بلاد شهران. ومن معسكره هذا بعث الرسائل إلى

(١) عصام ضياء الدين السيد، عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية، ص٤٦.

(٢) مر ذكر هذا القائد العظيم في سياق الحديث عن فتح حائل، فهو الذي رافقه الأمير عبد العزيز ابن إبراهيم إلى أمير حائل محمد بن طلال آل الرشيد بعد أن اشترط الأخير ألا يسلم نفسه إلا لرحل من أسرة آل سعود، فكان أن سلم ابن الرشيد لعبد العزيز بن مساعد.

أصحابها، وأرفق بها رسائل خاصة منه يشرح لهم فيها أهدافه ومطالبه، التي لا تتعدى الانضواء تحت حكم الشرع والانضواء تحت لواء واحد هو اللواء السعودي، كما كان أسلافهم قبلهم. وانهالت عليه رسائل التأييد من القبائل، التي أنهكتها الحروب والفتن منذ أمد طويل.

أما أمير عسير، حسن بن علي بن محمد بن عائض، فقد تلقى رسالة السلطان ومعها رسالة من ابن مساعد، وقد دعاه السلطان في رسالته إلى الاجتماع والتعاضد لما فيه صلاح أمور المسلمين ورفع كلمة الله، كما أشار في الرسالة إلى أن ابن مساعد مفوّض فيما يتفق عليه الطرفان، أما ابن مساعد فقد دعا الأمير حسن في رسالته إلى المحادثات والدخول فيما دخل فيه المسلمون(1). وعلى أثر ذلك رد ابن عائض برسالة لم يبين فيها موقفه بوضوح، فقد كانت رسالة دبلوماسية عبر فيها عن احترامه وتأييده لدعوة آل سعود، ورغبته في أن يكون هو وآل سعود يدًا واحدة في نصرة دين الله، كما دعا في رسالته إلى المحافظة على الصداقة بين الأسرتين واستئناف الصلات الطيبة بينهما، إلا أنه ألمح إلى حق عسير في الاحتفاظ باستقلالها ضمن حدودها المعروفة. وكانت كثير من القبائل قد أعلنت تأييدها لابن سعود، من خلال الوفود والرسائل التي بعثت بها إلى القائد عبد العزيز بن مساعد.

تلقى الأمير عبد العزيز بن مساعد رسالة حسن بن عائض، فقرر أن يرسل إليه وفدًا للتباحث معه حول الدخول تحت الراية السعودية، وتعاقبت

(1) محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص30.

الوفود بين العاصمة أبها ومعسكر الإخوان في "القاعة" ثم في "الرهوة" بعد ذلك، وطال الوقت و لم تسفر كل الجهود عن حلّ يتم بموجبه تجنيب البلاد معضلة الحروب وفتنتها، وكان لظهور جناح متصلب من قبيلة بني مغيد – القبيلة التي ينتمي إليها الأمير حسن – دور في إشعال نار الحرب بعد أن كادت تنطفئ.

استعد الطرفان للحرب. وتقدمت جيوش ابن مساعد، والتقى الجمعان في "حجلاء" بين أبها وخميس مشيط، وكانت معركة عنيفة، بل إنها من أعنف المعارك التي شهدتها عسير، واستمرت يومين بين كر وفر وتنظيم صفوف، إلى أن انتهت المعركة بهزيمة حسن بن عائض. وتقدم الجيش السعودي إلى أبها ودخلها دون قتال. واستمر ابن مساعد في سيره حتى احتل السراء إلى حدود الأدارسة، الذين كانوا آنذاك قد أعلنوا ولاءهم لآل سعود[1].

ونادى منادي السلام فتقدم الناس أفواجًا لتقديم السمع والطاعة.

وبقي الأمير حسن معتصمًا بقمم الجبال الغربية عن أبها، إلى أن رأى وابن عمه محمد أن لا مناص من الاستسلام، وباستسلامهما سقط القطر العسيري في يد ابن مساعد، الذي أمّن آل عائض على أنفسهم وعائلاتهم وأموالهم. وأرسل الأميرين حسن وابن عمه محمد بن عبد الرحمن إلى الرياض لمقابلة السلطان عبد العزيز وإعلان طاعتهما له، حيث استقبلهما – يرحمه الله – بحفاوة بالغة، وخصص لهما عطاءات جزيلة، ثم عرض

(١) حسن حسن سليمان، الأمير عبد العزيز بن مساعد، ص٧٤ – ٨١.

على الأمير حسن إعادته إلى إمارة بلاده فاعتذر عن ذلك، ملمحًا بأنه سيكون على استعداد للوقوف والعمل مع من سيوليه عبد العزيز إمارة عسير، فوافق السلطان عبد العزيز وسمح له بالعودة إلى أبها ومعه ابن عمه، على الرغم من معارضة زعماء عسير وتوسّلهم إلى السلطان بعدم السماح لهما بالعودة إلى عسير، لما في ذلك من أخطار تهدد أمن المنطقة واستقرارها.

وكانت قد صدرت أوامر السلطان عبد العزيز إلى ابن مساعد بالعودة إلى الرياض، وذلك في ٤ صفر عام ١٣٣٩هـ[١]. وغادر ابن مساعد أبها متوجهًا إلى بيشة، دون أن يترك بأبها حامية تراقب أحوال المنطقة، بل جعل كل شيخ من مشايخ عسير أميرًا على بلدته وفقًا لتعليمات السلطان، ثم عين عظمة السلطان بعد ذلك شويش بن ضويحي المطيري أميرًا على عسير، وتلاه عبد الله بن سويلم، ثم فهد العقيلي.

أقام حسن بن عائض منذ عودته من الرياض في حصنه المنيع بالحرملة[٢]، وظهرت في الأفق بوادر عدم الرضا عن الطريقة التي كانت تدار بها الأمور من قبل عامل ابن سعود في أبها، فقد تذمر المواطنون من رجال الحامية السعودية، وساعدت بعض الأحداث التي وقعت في سوق الثلاثاء، السوق الأسبوعي لمدينة أبها، على اشتعال نار الفتنة وقيام الثورة ضد أمير عسير.

وقد قاد حسن بن علي وابن عمه محمد هذه الثورة، وحوصر قصر

(١) محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٤٣.

(٢) بلدة تقع على رأس جبل شامخ منيع عرف بوعورة طرقه ومناعته الطبيعية، حتى أن جيوش الدولة العثمانية لم تستطع قط بلوغ قمته.

شدا المنيع، حتى رحل عنه عامل ابن سعود ورجاله، حيث غادروا أبها إلى خميس مشيط في أوائل عام ١٣٤٠هـ. ولاحقهم حسن بن عائض، وداهم هو ورجاله خميس مشيط، وشددوا الخناق على القبائل المؤيدة لآل سعود بقيادة سعيد بن مشيط والشيخ عبد الوهاب بن محمد أبو ملحه، وهما من الأصدقاء المخلصين لآل سعود في المنطقة، وانتصر ابن عائض وتقدم جنوبًا لاحتلال بلاد رفيدة وقحطان[١].

وكان جلالة الملك عبد العزيز قد عاد إلى الرياض بعد سقوط حائل عام ١٣٤٠هـ، وراقب - يرحمه الله - وهو في الرياض ما يحدث في عسير بهدوء القائد العظيم، الذي كانت قوة إيمانه وتوكّله على الله هو الأساس في إعطاء العهود ووضع الثقة فيمن يأتي له مؤيدًا وناصرًا. لم يداخله الشك وهو يسمح لآل عائض بالعودة إلى عسير، ولكنه أيضاً أبقى باب احتمال الخديعة مفتوحًا كما تدل كلمته الخالدة التي قالها وهو يسمح لأمراء عسير بالعودة إلى بلادهم: "من خدعنا بالله انخدعنا له، والله حسبنا ونعم الوكيل"[٢].

وكان رد السلطان حاسمًا، فقد جهّز حملة بقيادة الأمير فيصل بن عبد العزيز نجله الثاني، اعتمادًا على ما أصبح يتحلى به هذا الأمير الشاب من الحكمة والشجاعة والذكاء. وسار فيصل في شوال من عام ١٣٤٠هـ[٣]، متوجهًا إلى بيشة، وبعث برسائل إلى القبائل المؤيدة لآل سعود، يحثهم فيها

---

(١) محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٤٤.

(٢) عبد الحميد الخطيب، الإمام العادل، صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، سيرته، بطولته، سر عظمته، ص٣٦.

(٣) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٣٠٢.

على الاستعداد والتهيؤ للانضمام للحملة. ولدى وصوله إلى "بيشة" اصطدم بقوة آل عائض هناك، واكتشف تمركز القوى المتحالفة مع ابن عائض من قبائل رجال الحجر وشنّ عليهم هجومًا مباغتًا وانتصر عليهم، ثم واصل زحفه إلى خميس مشيط عن طريق "تندحة" حيث تتمركز بعض الطلائع العسكرية، التي ما إن بلغها خبر مقدم الجيش السعودي حتى تراجعت باتجاه أبها. وكان محمد بن عائض مرابطًا بجيشه في خميس مشيط، فلما علم بدنوّ فيصل تقهقر إلى "حجلاء" ثم تراجع وجنوده إلى أبها. ودخل الأمير فيصل مدينة أبها دون قتال، ووجدها خالية من السكان لا يوجد بها سوى العجزة، وأعلن فور وصوله العفو عن الناس وكّف القتال، فهرعت القبائل إليه لتقديم الطاعة.

أما الأمير حسن فقد اعتصم في حصن "الحرملة" ثم فرّ بعد مهاجمة الإخوان للحرملة، بينما سافر محمد بن عبد الرحمن بن عائض إلى القنفذة، ومنها إلى الحجاز يستنجد بشريف مكة، وأرسل الأمير فيصل قوة بقيادة سلطان بن بجاد بعد فتح أبها مباشرة، لمحاربة جيش الشريف القادم من الحجاز لنجدة آل عائض[1].

وعدّ الأمير فيصل الأمر منتهيًا، واكتفى بتثبيت السلطة السعودية على أبها وما حولها، وعين عليها سعد بن عفيصان[2]، قبل عودته مضطرًا إلى الرياض في جمادى الأولى ١٣٤١هـ.

---

(١) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٣٠٢.

(٢) يظهر أن آل عفيصان عريقون في الولاء لآل سعود، مقربون منذ القدم منهم، جاء في تاريخ البحرين أنه عندما استنجد آل خليفة الإمام عبد العزيز بالدرعية على أهل الزبارة بقطر، أنجدهم بجيش يقوده ابن عفيصان (انظر: أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٣٠٣).

إلا أن الأمور لم تهدأ في عسير بعد حملة الأمير فيصل، إذ إن تلك الحملة لم تقض على زعماء الثورة، فهم لا يزالون متحصنين في أماكن مختلفة من جبال عسير العسيرة المرتقى، يعاونهم زعماء قبائل رجال الحجر، والقبائل القاطنة في شمال تهامة عسير، الذين زادت قوتهم بعد تقهقر جيش الإخوان بقيادة ابن بجاد.

وفوق ذلك كان شريف مكة متربصًا يؤازر الثوار، أما الإدريسي فقد كان مترددًا، يريد حينًا استثمار الثورة لصالحه، ويعلن أحيانًا أخرى صداقته في الظاهر للسلطان عبد العزيز.

وهكذا كان سعد بن عفيصان، حين تسلمه مهام الإمارة في عسير، محاطًا بظروف عصيبة، فقد تجمعت طلائع الجيش الحجازي في بارق متأهبة للوثوب على أبها بمعية الأمير حسن بن عائض وابن عمه محمد. كما تحزبت الأحلاف من رجال الحجر وقبائل تهامة، في وقت لم يكن مع ابن عفيصان إلا خمس مئة رجل تنقصهم الخبرة في حروب الجبال[1]. يضاف إلى كل هذا أن ابن عفيصان كان معروفًا بالشدة، مما أدى إلى تذمر الناس، بما فيهم الزعماء المخلصون لآل سعود في المنطقة مثل الأمير سعيد ابن عبد العزيز بن مشيط.

وإزاء كل هذه الصعوبات لم يجد ابن عفيصان بدًّا من تكوين جيش من حاميته الصغيرة بقيادة ابنه سليمان، يرافقه المحاربون من قبائل قحطان وشهران. ولم تمض مدة وجيزة حتى صعد جيش شريف مكة ومن معه

(١) محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٥٦.

من محاربي قبائل تهامة إلى السراة، حيث انضم إليه جيش رجال الحجر وتقدموا جميعًا إلى أبها.

ونشب قتال بين الجيش الحجازي والسرية السعودية، وكانت النتيجة مقتل سليمان بن عفيصان وهزيمته، كما قتل قائد جيش قحطان سالم بن محمد بن دليم، وواصل جيش الشريف زحفه إلى أبها، ونشب القتال بينه وبين الحامية السعودية المعتصمة بقصر شدا، واستسلمت أبها وبقي قصر شدا المنيع صامدًا أمام مدفعية الشريف، إلى أن وصلت نجدة من الرياض بقيادة ابن جامع ومحمد ابن جيفان أجبرت قوى الثوار على الانسحاب.

لم يجد آل عائض بدًّا من اللجوء، مرة أخرى، إلى حصونهم في "الحرملة"، في الوقت الذي توفي فيه سعد بن عفيصان أمير أبها في شعبان أو رمضان من عام ١٣٤١هـ[1].

عبد العزيز بن إبراهيم أميراً على عسير:

بادر السلطان عبد العزيز إلى تقويم الوضع في عسير، فالفوضى لا تزال مسيطرة على هذا الإقليم، الذي مزقته الفتن والحروب، ولا يكاد يخرج من محنة إلا وتتقاذفه أخرى. لقد أحاطت به الأطماع وطحنته الدسائس، ولم ينعم بعد بالدعة والسكون اللذين نعمت بهما أجزاء الجزيرة العربية المنضوية تحت لواء عبد العزيز بن سعود.

لقد أقبلت أقاليم الجزيرة مرحبة بعبد العزيز، الواحد تلو الآخر، فلا

(١) محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٥٨.

يكاد يسقط إقليم في يد عبد العزيز حتى تهدأ فيه الأمور ويستتب به الأمن، أما عسير فما زال بها من يزرع الفتن وينثر بذور الشر، وآن الأوان لأن تقتلع منها جذور الشر بعد أن جعل الأمير فيصل بن عبد العزيز إقليم عسير واحدًا من الأركان المهمة في بناء عبد العزيز الوحدوي الكبير.

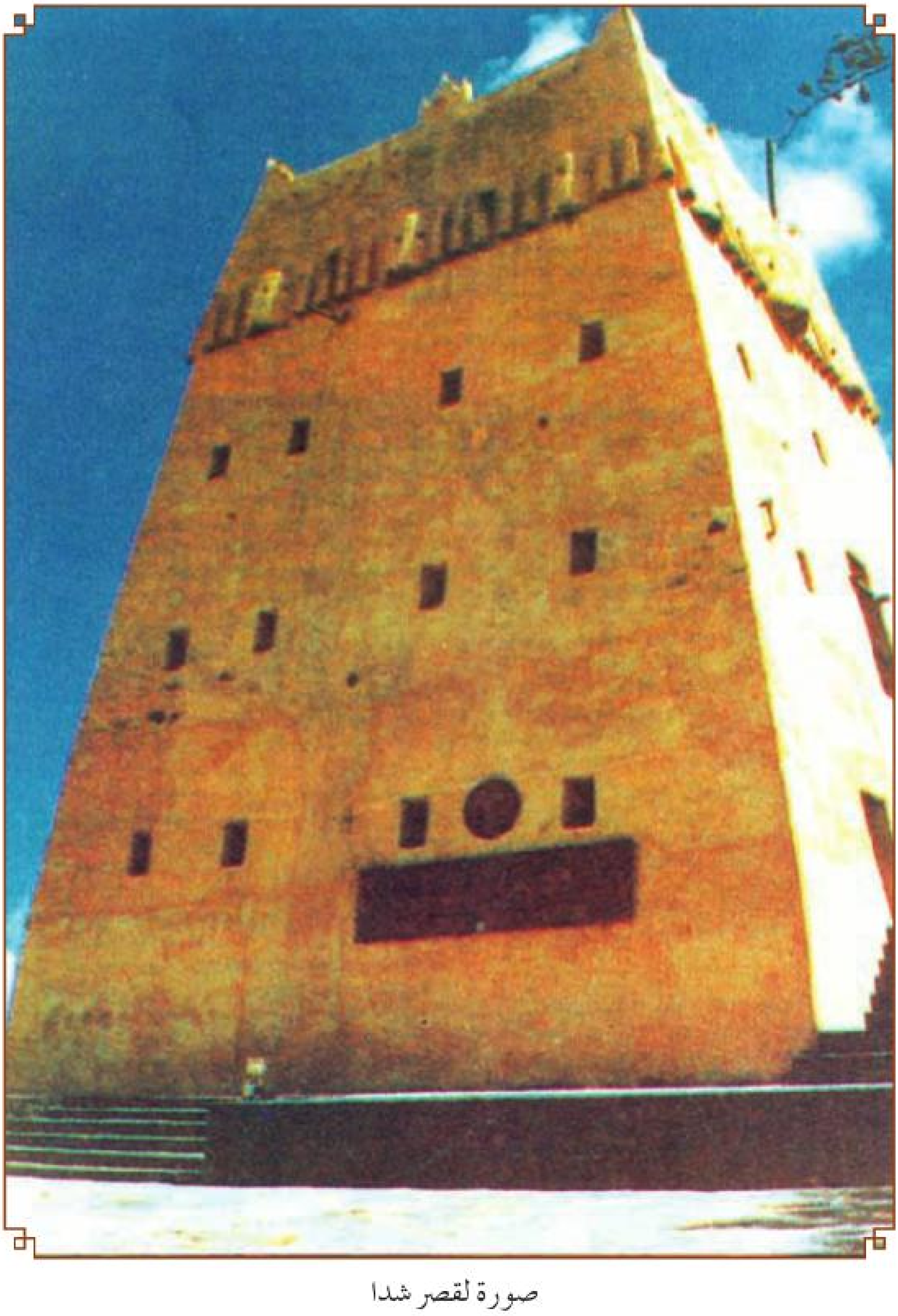
وعلى أثر وفاة الأمير ابن عفيصان، قام الشيخ عبد الوهاب بن محمد أبو ملحة[1]، أحد أبرز رجالات منطقة عسير، بجمع كبار القوم لاختيار أمير يحل محل الأمير المتوفى، إلى أن تصدر إرادة السلطان عبد العزيز بتثبيت من اختاروه أو تعيين من يراه، فتم اختيار محمد بن جيفان أميرًا بالوكالة. وكتب أبو ملحة إلى الملك عبد العزيز يخبره بوفاة ابن عفيصان واختيارهم ابن جيفان خلفًا له[2].

إلا أن الملك عبد العزيز كان قد وصله خبر وفاة الأمير سعد بن عفيصان، قبل وصول رسالة أبو ملحة إليه، فأصدر أمره بتعيين عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على عسير، وكتب إلى الشيخ أبو ملحة رسالة مؤرخة في ١٠ شوال عام ١٣٤١هـ، مكتوبة بخط اليد ومختومة بخاتم الملك عبد العزيز، يخبره فيها بعلمه بخبر وفاة سعد بن عفيصان وأنه اختار عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على عسير مكانه بعد أن أوصاه بما يلزم في جميع الأمور، وطلب

---

(١) عبد الوهاب بن محمد أبو ملحة، ولد عام ١٣٠٣هـ، في مدينة الخميس وتلقى قسطًا من التعليم وعرف القراءة والكتابة وامتهن الزراعة والتجارة وصار له مركز مرموق في أسرته وقبيلته، كما كان له إسهامات بارزة في مرحلة تأسيس المملكة العربية السعودية، عينه الملك عبد العزيز رئيسًا لمالية أبها حين كان عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على عسير (انظر الوثيقة القادمة)، وشارك الشيخ عبد الوهاب في إخماد بعض الفتن الداخلية، كما كان من أصدقاء الملك عبد العزيز في المنطقة.

(٢) محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٥٨.



صورة لقصر شدا

الملك عبد العزيز من أبو ملحة ألا يدّخروا مناصحته في جميع الأحوال العائدة مصلحتها للإسلام والمسلمين. وتمنى الملك أن يجعل الله به بركة، كما تمنى أن يوفق الله الجميع لما به الصلاح للإسلام والمسلمين[1].

ويذكر المؤرخون أنه قبيل وصول عبد العزيز بن إبراهيم إلى أبها، تقدمت سرايا جيش بادية قحطان بقيادة مترك بن عشق بن شفلوت نحو بلاد بللسمر لمحاربة رجال الحجر، ودارت في "حظوة" شمال بلا بللسمر معركة شرسة قتل فيها مئتا مقاتل من أتباع مترك بن شفلوت، ومع شدة وطأة هذه المعركة على الطرفين، إلا أنه كان من نتائجها فيما بعد دخول قبائل رجال حجر تحت الراية السعودية[2].

ووسط هذه الظروف المشحونة بالتوتر والترقب وعدم وضوح الرؤية، وصل عبد العزيز بن إبراهيم وتسلم مهام الإمارة، في وقت كان الناس فيه يشكون انعدام الأمن ويخافون شبح المجاعة الذي يخيم على البلاد، وكان على ابن إبراهيم القيام بإصلاحات تعيد للناس أمنهم، وتُهدّئ من روعهم، وتفتح أمامهم باب الأمل، ولن يتحقق شيء من ذلك إلا بإنهاء مشكلة آل عائض، الذين يطمعون في استرداد منطقة عسير من آل سعود بمعونة من شريف مكة.

وقد أورد الشيخ عبد الله بن محمد آل إبراهيم[3] عن فترة الأمير عبد العزيز

(١) من رسالة الملك عبد العزيز إلى عبد الوهاب أبو ملحة في ١٠ شوال عام ١٣٤١هـ.

(٢) هاشم النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص٢٥٩، و محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٥٩.

(٣) أكبر معمر من عائلة آل إبراهيم في الوقت الحاضر، وقد عاصر الشيخ عبد الله الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، ويحتفظ في ذاكرته بالكثير عن سيرته.

ابن إبراهيم في أبها، أنه عندما علم ابن إبراهيم بما يدبره آل عائض، ورأى أن قبائل عسير منقسمة بين مؤيد ومنكر، قرر أن يفشل خططهم، بالحكمة وبالسلم، دون اللجوء إلى الحرب التي اكتوى بنارها العسيريون طويلاً وبما عرف عنه - يرحمه الله - من الدهاء وحسن التصرف، فقد دعا مشايخ قبائل عسير إلى مقر الإمارة، كما دعا في الوقت نفسه أحد أقارب آل عائض ويدعى ابن مسلط[1]، وطلب منه الحضور إلى الإمارة في حضرة مشايخ القبائل، وأن عليه أن يقول: إن ابن عائض أرسله يطلب الصلح وإنهاء الفتنة.

ونفذ ابن مسلط ما تم الاتفاق عليه، فأجاب الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، والمشايخ يسمعون، بأنه يرحب بما جاء به رسول آل عائض لأن في ذلك حقنًا لدماء المسلمين.

ويمضي الشيخ عبد الله في روايته فيقول: ثم كتب عبد العزيز بن إبراهيم إلى حسن بن عائض كتابًا يشير فيه إلى ما طلبه رسوله ابن مسلط من رغبة آل عائض الدخول في الصلح وحقن دماء المسلمين، وأن ذلك الطلب مقبول، كما دعاه الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى الدخول تحت الراية السعودية، وطلب منه في آخر الكتاب إفادته بشروط آل عائض في الصلح لدراستها وإفادتهم برأيه فيها.

تسلم ابن مسلط الرسالة في مجلس الأمير بالإمارة، ومشايخ القبائل بين مستبشر ومتأثر، وفقًا لميولهم التي كان بعضها باتجاه آل سعود والبعض

(١) هو محمد بن مسلط كما ورد في كتاب محمود شاكر، شبه جزيرة العرب - عسير.

الآخر باتجاه آل عائض. وقد خطر ببال مشائخ القبائل، الذين كتب لهم ابن عائض يطلب المساعدة منهم في حربه لاسترداد عسير، بأن ابن عائض لم يطلب الصلح إلا نتيجة ضعفه، فأعادوا له كتبه وأخبروه بأنهم موالون للحكومة السعودية، وأنهم قد قطعوا صلتهم به.

وبهذا يكون الشق الأول من خطة ابن إبراهيم قد تحقق، وهو استمالة القبائل المؤيدة لآل عائض، وقطع صلتها به.

ويستطرد الشيخ عبد الله في ذكر تفاصيل دور عبد العزيز بن إبراهيم في إنهاء مشكلة آل عائض، فيذكر أنه عندما سلم ابن مسلط الرسالة إلى حسن ابن عائض تأمل الأخير الأمر ووجد أن الصلح قد يكون الخيار الأنسب له، فأبدى موافقته لابن إبراهيم، شريطة مقابلته له ومعه فرسانه للتفاهم والتوقيع على بنود الاتفاق التي عددها صاحب الرواية فيما يلي:

١- أن يكون مساعدًا لابن إبراهيم في إمارة عسير.

٢- ألا يرد طلبه إذا شفع في إطلاق أحد من السجن.

٣- أن يكون جباة الزكاة من أنصاره.

٤- ألا يرسله ابن إبراهيم إلى الرياض.

ومن الواضح أن ابن عائض تعمد تعقيد الأمور باشتراطه تلك الشروط الصعبة، وربما كان بذلك يختبر صدق نوايا الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، حيث إن استجابته لجميع الشروط ستجعل ابن عائص يوقن بأن ابن إبراهيم يخادعه ويكيد له، وحيث إن عبد العزيز بن إبراهيم لم يكن يرمي إلا إلى إنهاء الأمور بالطرق المحببة إلى النفس، فقد أجاب عن شروط ابن عائض



الشيخ عبد الوهاب.. الأول من اليمين وبعض أعيان المنطقة وبجواره تركي بن أحمد السديري يليه الشيخ سعد بن عبدالعزيز بن مشيط

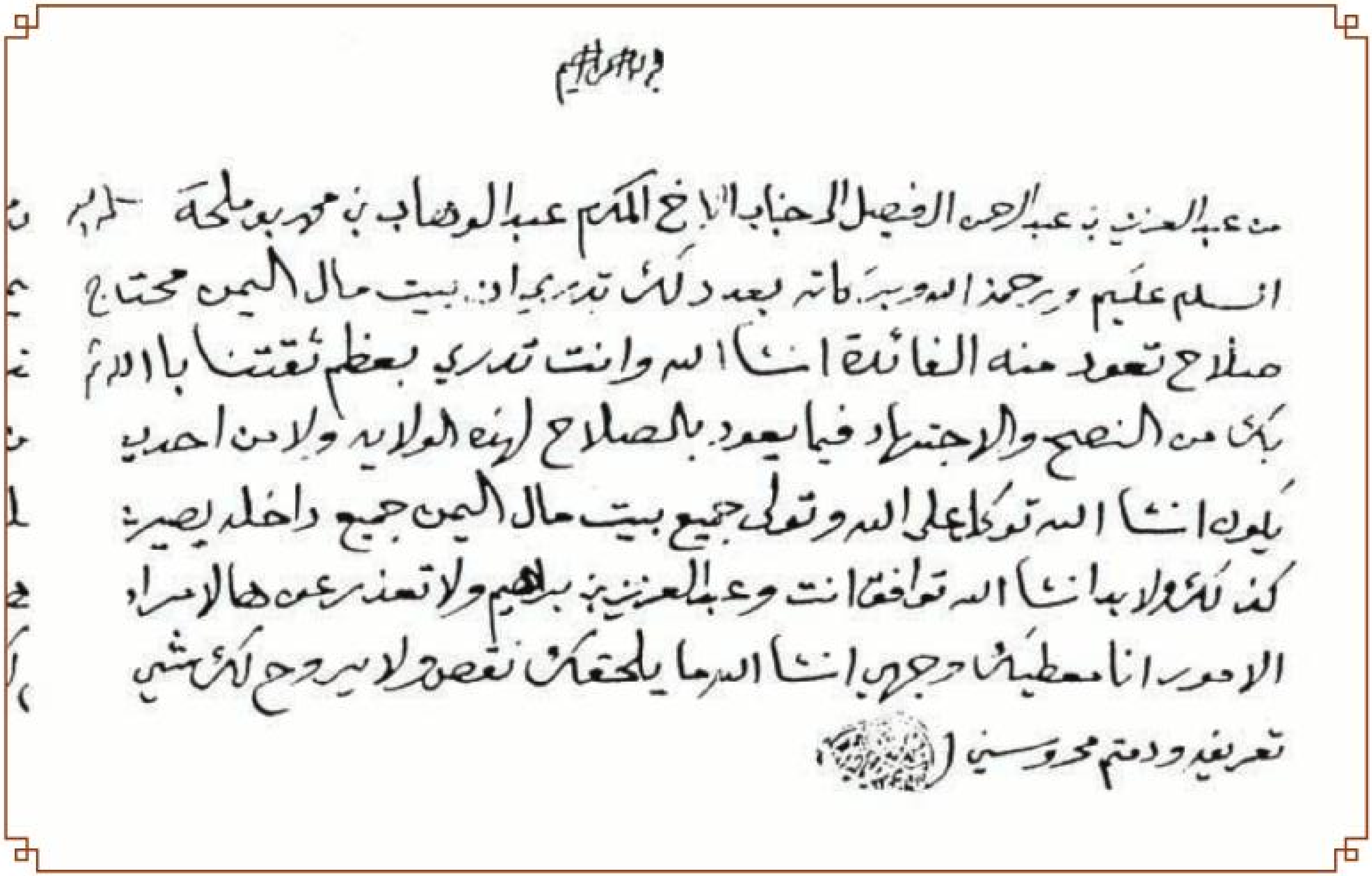
بواقعية وصدق، فلم يعطه عهدًا بعدم إرساله إلى الرياض، إذا ما صدرت أوامر السلطان عبد العزيز، ولم يوافق على تعيينه مساعدًا له.

أما الشروط الباقية فقد استجاب لها جزئيًا، كما أنه وافق على مقابلة ابن عائض على فرسه ولوحده، ولابن عائض اصطحاب جنده معه إذا أراد.

وصلت رسالة ابن إبراهيم إلى حسن بن عائض، الذي رد بكتاب يطلب فيه من ابن إبراهيم الأمان لجند الشريف حسين حتى عودتهم للشريف، فوافقه على طلبه.

وقدم الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بنفسه، واجتمع مع ابن عائض في قصره، وتم الصلح مع آل عائض الذين عادوا إلى أبها، وظلوا بها مكرمين معززين كما وعدهم عبد العزيز بن إبراهيم، واستقرت الأمور، وكتب ابن إبراهيم إلى عظمة السلطان عبد العزيز يطلعه على تفاصيل الصلح مع آل عائض، فما كان منه – يرحمه الله – إلا أن بارك جهود الأمير عبد العزيز ابن إبراهيم، وطلب منه أن يرسل آل عائض مكرمين إلى الرياض.

كما كتب الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة إلى السلطان عبد العزيز يطلعه على ما تم من صلح بين الأمير عبد العزيز بن إبراهيم وآل عائض، فأجابه الملك عبد العزيز برسالة بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣٤٢هـ. وقد ورد في تلك الرسالة: "عرفت عن مكاتبة حسن بن عائض ومن معه وطلبه الأمان وندمهم على ما بدر منهم وتأمين ابن إبراهيم لهم ومعاهدتهم إياه على السمع والطاعة وعدم المخالفة صار معلوم الحمد لله رب العالمين حنا ما لنا


بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب الأخ المكرم عبد الوهاب بن محمد بن ملحة سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك تدري أن بيت مال اليمن محتاج
صلاح تعود منه الفائدة إن شاء الله وأنت تدري بعظم ثقتنا بالأخ
بك من النصح والاجتهاد فيما يعود بالصلاح لهذه الولاية ولا من أحد يبي
يكون إن شاء الله توكل على الله وتولى جميع بيت مال اليمن جميع داخله يصير
كذلك لا بد إن شاء الله تتوافق أنت وعبد العزيز بن براهيم ولا تعذر عن هالأمر
الأمور أنا مطيعنا حريص إن شاء الله ما يلحقك نقص ولا يبرح لك شي
تعرفيه ودمتم محروسين

وثيقة تعيين الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة رئيساً لمالية أبها إبان إمارة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم على عسير

شيء من المقاصد بآل عائض ولا بغيرهم بل قصدنا وغايتنا هي أن تكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر، ودوام السكينة والراحة للرعية وكل الأمور التي مضت من سوء أفعالهم بأنفسهم، وإلا حنا ما قصدنا في شيء من الأمور والحمد لله عرفوا وقاسوا الأمور فإن عرفوا نعمة الله عليهم وشكروها وأحسنوا فلأنفسهم وإن أساءوا فعليها نسأل الله الهداية والتوفيق للجميع"[(١)].

وورد في سياق رواية الشيخ عبد الله البراهيم، أن آل عائض نقلوا إلى الرياض مكرمين معززين، حيث استقبلهم السلطان عبد العزيز، فأكرم وفادتهم وبذل لهم العطايا مرة أخرى، وقد تخلف من آل عائض، عائض ابن عبد الرحمن، حيث بلغ الأمير عبد العزيز بن إبراهيم خبره، فاستدرجه إلى العودة بأسلوب ينمّ عن دهاء وحكمة، لعلمه بأن البحث عنه في تلك الجبال الوعرة سيرهقه كثيرًا، ويضيع عليه وقتًا ثمينًا عليه أن يستغله لتأكيد الاستقرار في المنطقة، وعاد عائض بن عبد الرحمن فأرسله الأمير ابن إبراهيم إلى الرياض.

انتهت إمارة آل عائض، وبدأت في عسير مرحلة جديدة مشرقة تحت راية الدولة السعودية، شاع فيها الأمن ونظمت أمور الناس وعمّ الرخاء وتفرغ الناس لشؤونهم الخاصة، بعد أن شغلتهم الحروب ردحًا من الزمن.

يقول سمو الأمير سعود بن هذلول عن نهاية إمارة آل عائض، أن الأمير سعد بن عفيصان قد توفي بعد فك الحصار عن أبها بأيام قلائل فبعث عبد

---

(١) أورد هذا النص الدكتور محمد آل زلفة في كتابه: عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٦٣.

العزيز بن سعود، عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على مقاطعة عسير بعد وفاة ابن عفيصان، وكان هذا الأمير الجديد رجلاً حازماً قوي الشكيمة، شديد البطش، معه شيء من الدهاء وحسن التصرف، وكان فوق هذا كريمًا جوادًا بعكس من سبقه من أمراء هذه المقاطعة، ففاوض حسنًا، فطلب منه حسن أن يصل إليه في مقره في حرملة للمفاوضة، فلبّى ابن إبراهيم الطلب وذهب إلى حسن في حرملة وبذل ما اطمأن له حسن وجميع من معه من أسرة آل عائض وجاء بهم جميعًا إلى أبها، ثم رأى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أنه من المستحسن إبعاد حسن وذويه عن أبها إلى الرياض(١).

ويذكر أحمد عبد الغفور عطار – عن نهاية إمارة آل عائض – أن آل عائض "عرفوا أن ابن إبراهيم – أمير أبها الجديد – حازم لا هوادة عنده، فخافوا بطشه، وبعثوا إليه يطلبون الصلح فوافقهم على طلبهم، واشترط عليهم أن يكونوا تحت تصرف ابن سعود، فسلموا أنفسهم إلى ابن إبراهيم، ثم طلبهم ابن سعود، فبعثهم ابن إبراهيم معززين مكرمين.

ولقد قابلهم ابن سعود مقابلة حسنة وشملهم بعفوه وبره وكرمه، وشعر حسن ومحمد بشيء كثير من الحرج على سوء أعمالهما واعتذرا نادمين، فطمأنهما ومنحهما المال الجزيل، وأكرمهما أعظم الإكرام، وجعلهما من بطانته ورفقته المقربين"(٢).

أما الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي فيقول:

---

(١) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص١٤٩ – ١٥٠.

(٢) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الأول، ص٤٨٠.

"وكان الأمير فيصل قد أناب على أبها ابن عفيصان فتوفي فأبدل بعبد العزيز بن إبراهيم الذي تمكن من إرغام القوات الهاشمية على التراجع إلى محائل والقنفذة.

أما آل عائض فقد عادوا إلى حرملة، ومنها اتصلوا بالأمير عبد العزيز ابن إبراهيم، الذي زارهم في مقرهم في حرملة ثم استزارهم في أبها، ومنها رحّلهم إلى الرياض، وأبقوا على الرعاية والتكريم إلى أن وافتهم المنية"(١).

وقد ورد في كتاب "شبه جزيرة العرب – عسير" ما يلي:

"استطاع عبد العزيز بن إبراهيم أن ينزل الأمير حسن من حرملة إلى أبها وأن يزوره في قصره السقا، وتفاوض معه وانتهى الاتفاق بإرسال الأمير حسن إلى الرياض مع كبار أسرته ومنهم: الأمير محمد بن عبد الرحمن وناصر بن عبد الرحمن وعائض بن عبد الرحمن(٢)، وعبد الله بن عبد الرحمن وعائض بن عبد الله بن محمد وعائض بن علي بن محمد ومحمد بن ناصر بن عبد الرحمن ومحمد بن علي بن محمد وعائض بن عبد الله بن محمد ومحمد بن عبد العزيز الغامدي شيخ قبائل غامد، ومحمد بن مسلط الوصال.

حيث بقي الأمير حسن في الرياض حتى وافاه أجله عام ١٣٥٧هـ، وباستسلام الأمير حسن أصبحت عسير جزءًا من المملكة العربية السعودية"(٣).

(١) محمد بن أحمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ج٢، ص٧٤٢ – ٧٤٣.

(٢) عائض بن عبد الرحمن أرسل إلى الرياض من قبل الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بعد أن تخلف عن بقية آل عائض، إذ كان ينوي الهرب والبقاء في عسير.

(٣) محمود شاكر، شبه جزيرة العرب – عسير، ص٢٦٧.

أورد الزركلي في السياق نفسه قوله عن عبد العزيز بن إبراهيم أنه "تمكن من القضاء على آخر أمل ومعقل لآل عائض، فاستسلموا، فوجههم إلى الرياض ومنهم حسن ومحمد، فلم يجدوا من عبد العزيز غير الرعاية، وظلّل بعضهم في الرياض مكرمين، ككثير من أمثالهم"(١). ويذكر الزركلي أيضًا في مكان آخر، وفي خبر إنهاء إمارة آل عائض، أن الأمير حسن بن عائض انتهز فرصة عودة الأمير فيصل إلى الرياض وخلو الجو له "فجمع قوة وأعاد الكرَّة على الحامية السعودية وأميرها عبد العزيز بن إبراهيم، فقضى ابن إبراهيم على حملة الأمير حسن، وقبض عليه وأرسله ثانية إلى الرياض حيث عاش مكرمًا... بقية حياته"(٢).

أحوال عسير في فترة إمارة عبد العزيز بن إبراهيم:

جاء عبد العزيز بن إبراهيم إلى عسير بمهمة محددة من قبل السلطان عبد العزيز، تتلخص هذه المهمة فيما يلي:

١- وضع حد لتلاعب آل عائض، وعدم وفائهم بالعهود.

٢- إنقاذ عسير من الفتن والدسائس، وصرف اهتمام الناس إلى ما ينفعهم.

وكان السلطان عبد العزيز، وهو يحدد لابن إبراهيم هذه المهمة، يضع نصب عينيه - يرحمه الله - تحقيق هدفه الوحيد في عسير بصورة تعود بالنفع على أبناء هذا الإقليم الشامخ وقبائله، ذلك أن عبد العزيز، وهو يوحد

(١) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج١ - ٢، ص٢٥٢.

(٢) خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص٦٧ - ٦٨.

الجزيرة جزءًا جزءًا، لم يكن يرى ذلك إلا وسيلة للوصول إلى الهدف الأهم، وهو أمن الناس وراحتهم، تحت مظلة "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

إن المتتبع لتاريخ عسير حتى وصول الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، يلحظ سرعة تطور الأحداث وتقلب الظروف، وقد أشار إلى ذلك الدكتور محمد آل زلفة بقوله:

"ففي أقل من سنتين رفعت عدة أعلام لعدة أنظمة مختلفة فوق سواري قلاع مدينة أبها الصامدة، بدءًا بالعلم العثماني الذي قاومته في أطول مقاومة عرفها التاريخ العثماني في الشرق العربي، ولم تظفر حكومة استانبول بإخضاع أبها إلا على أشلاء آلاف من جحافل قواتها، وبعد أن أروى العسيريون تراب بلادهم بدماء أبنائها الطاهرة، ومرورًا بمحاولات إدريسية، وأخرى هاشمية، وأخيرًا العلم السعودي، علم التوحيد رمز الوحدة الوطنية الحديثة في الجزيرة العربية"[(١)].

وأمام هذه الحقيقة، فإن اندلاع الفتنة وتعاقب الرايات والسلطات على عسير أمر محتمل الحدوث، وعبد العزيز بن إبراهيم يبدأ فترة إمارته هناك، وقد أدرك - يرحمه الله - بتوصية من قائده الأعلى أن من الحكمة إنهاء الأمور وحسمها دون تأخير، وقد تحقق له ذلك برحيل آل عائض.

لقد مر على هذه المنطقة عدة أمراء وقادة، ولم تحسم الأمور إلا في عهد الأمير عبد العزيز بن إبراهيم الذي آثر تحقيق هذا الإنجاز دون إراقة دماء، وذلك بإتباع السياسة والدهاء، وتظل الحرب خيارًا أخيرًا إن لزم الأمر.

(١) محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٥٤.


بسم الله الرحمن الرحيم

جناب عالي الجناب الأشجع الغيور البطل الهمام والأسد الضرغام حضرت الإمام الأفخم والرئيس المقدم عبد العزيز ابن
عبد الرحمن آل فيصل دام بقاه وأيده ونصره على أعداه آمين يا رب العالمين
السلام عليكم ورحمت الله وبركاته ومغفرته ومرضاته على الدوام أدام الباري علينا وعليكم نعمت الإسلام
أحوالنا من كرم الله تعالى جميلة ولا نسأل إلا عنكم نرجو الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلكم [illegible] هذه
في أتم الصحة والعافية بعد ذلك أدام الله وجودكم نخبر جنابكم [illegible] من طرف محمد بن عبد الرحمن ابن عائض يا
علينا في أبها وذكرنا إلزامكم على آل عائض في جهت مواجهتهم حضرتكم فلا أجاب إلا بالسمع والطاعة فإذا
الإمام هو مشرد بالليل من بارق وهو [illegible] إن شا الله بعد أيام إليكم وأما حنا فلا
منه إلا [illegible] وهو متصحح مع الولاية واحنا بالذي نعرفك [illegible] محمد المذكور في الولاية جبنا أخباركم
نرجو الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير وأن [illegible] من طرف أحوال أهل اليمن إلى حال [illegible]
ما يجب [illegible] إليكم إلا دائم السلامة وأحوال أطرافنا [illegible] والله المحمود على ذلك هذا ما لزم [illegible]
ومن حبكم البلاغ السلام [illegible] الإمام والعيال والإخوان والمشايخ ودمتم محروسين
[illegible]
خادمكم
عبد العزيز

صورة خطاب موجه للملك عبد العزيز – طيب الله ثراه – من الأمير عبد العزيز بن إبراهيم حول إنهاء مشكلة آل عائض

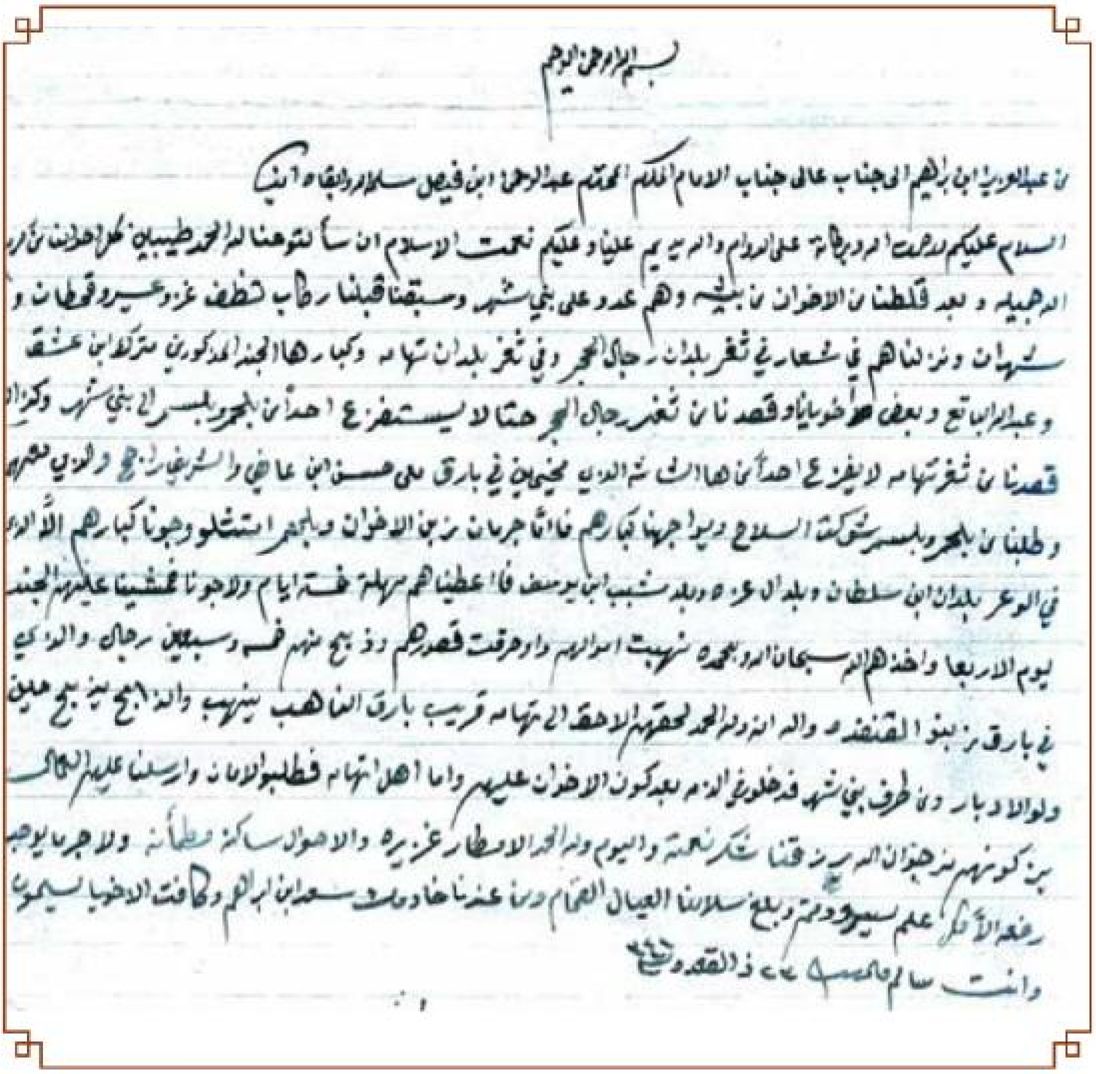
شرع الأمـير عبد العزيز بن إبراهيم عقب ذلك في إرساء قواعد الأمن، والضرب على أيدي العابثين والمستهترين بنظام الدولة وبحرمات وحقوق الآخرين، فتتبع اللصوص والمجرمين، ونفذ فيهم أحكام الشريعة الإسلامية.

ولعله من المناسب إثبات ما ذكره اثنان من المؤرخين البارزين من أبناء المنطقة عن عسير إبان إمارة ابن إبراهيم، يقول القاضي هاشم النعمي:

"وصل عبد العزيز بن إبراهيم أبها والفوضى ضاربة بجرانها والأمن غير مستتب ولكنه كان عاقلاً محنكًا أحكم السياسة في عسير وأحسن السيرة مع السكان، وقبض على زمام الأمور، ضرب على أيدي العابثين بيد من حديد فاستقامت الأحوال في المنطقة وهدأت الفتن إبان إمارته، وفي عهده استطاع استجلاب الأمير حسن بن عائض من قصره (الحرملة)إلى أبها وزاره في قصره (السقا) زيارة ودية، وتفاوض معه وانتهت المفاوضة باستسلام الأمير حسن وإرساله إلى الرياض وبرفقته بنو عمه، مرفقًا بسرية من الإخوان، وقد بقي في الرياض حتى وافته المنية عام ١٣٥٧هـ"[(١)].

أما الدكتور محمد آل زلفة فقد أورد في كتابه، بتفصيل أكبر، أن بداية عهد الأمير عبد العزيز بن إبراهيم حسب إجماع المصادر التي تناولت تاريخ منطقة عسير أثناء هذه الفترة "تعد هي البداية الحقيقية للوجه المشرق للعهد السعودي، حيث تمكن من تثبيت السلطة وإشاعة الأمن والاستقرار والقضاء على كل ما يعرقل مسيرتها، في وقت كان الناس في أمس الحاجة

(١) هاشم بن سعيد النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، الجزء الأول، ص٢٥٩ - ٢٦٠.



بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز ابن ابراهيم الى جناب عالي جناب الامام المكرم المحترم عبدالرحمن ابن فيصل سلمه الله وابقاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام [illegible] علينا وعليكم نعمت الاسلام ان سألتم عنا لله الحمد طيبين [illegible]

[illegible]

رسالة موجهة من الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم إلى الإمام عبدالرحمن الفيصل

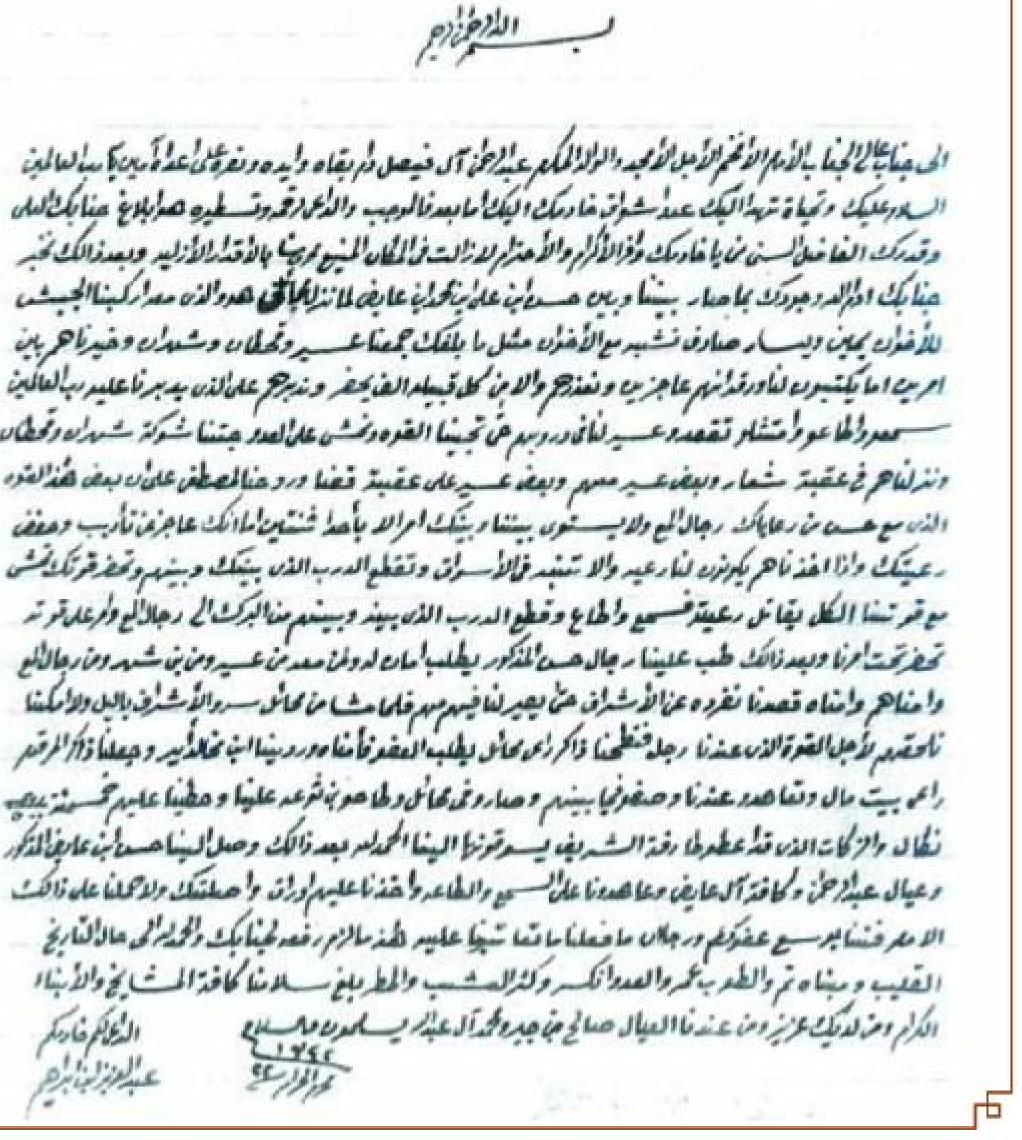
مؤرخة عام ١٣٤١ هـ يخبره فيها عن رحلته إلى عسير لتولي الإمارة فيها

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن إبراهيم إلى جناب عالي جناب المحترم عبد الرحمن بن فيصل سلمه وأبقاه إلينا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام والله يديم علينا وعليكم نعمة الإسلام إن سألتوا عنا لله الحمد طيبين كل أحوالنا بكرم الله جميلة وبعد قلطنا من الإخوان في بيشة وهم عدد على بني شهر وسبقنا قبلنا ركاب خطف غزو عسير وقحطان وشهران ونزلناهم في شعار في ثغر بلدان رجال الحجر وفي ثغر بلدان تهامة وكبار هالجند المذكورين مترك بن عشق وعبد الله الباتع وبعض أخويانا وقصدنا في ثغر رجال الحجر حتى لا يستفزع أحد من بلحمر وبلسمر إلى بني شهر وكذلك قصدنا في ثغر تهامة لا يفزع أحدا منها من الذين مخيمين في بارق على حسن بن عايض والشريف راجح والذي معهم وطلبنا من بلحمر وبلسمر شوكة السلاح ويواجهنا كبارهم فأما جرمان زبن الإخون وبلحمر امتثلوا وجونا كبارهم إلا الذي في الوعر بلدان ابن سلطان وبلد آل عزة وبلد مشبب بن يوسف فأعطيناهم مهلة خمسة أيام ولا جونا فمشينا عليهم الجند يوم الأربعاء وأخذهم الله سبحانه الله وبحمده نهبت أموالهم وأحرقت قصورهم وذبح منهم ٧٥ رجلا والذي في بارق زبنوا القنفذة والله أنه ولله الحمد لاحقهم اللاحق إلى تهامة قريب بارق الناهب ينهب والذابح يذبح حين ولوا الأدبار ومن طرف بني شهر فدخلوا في الذمة بعد كون الإخوان عليهم وأما أهل تهامة فطلبوا الآمان فأرسلنا عليهم العمال يزكونهم نرجو أن الله يرزقنا شكر نعمته واليوم ولله الحمد الأمطار غزيرة والأحوال ساكنة مطمئنة ولا جرى ما يوجب رفعه إلا كل علم خير ودمتم وبلغ سلامنا للعيال الفخام ومن عندنا خادمك سعد بن إبراهيم وكافة الأخوياء يسلمون وأنت سالم.

٢٣ ذو القعدة ١٣٤١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الى جناب عالي الجناب الإمام الأفخم الأجل الأمجد والوالد المكرم عبدالرحمن آل فيصل أدام بقاه وأيده ونصره على أعداه آمين يا رب العالمين
السلام عليك وتحياته تهدى اليك عدد شوائق خادمك اليك اما بعد فالموجب والداعي لتحريره وتسطيره هو ابلاغ جنابك العالي
وقدرك الفاضل السني عن احوال خادمك [illegible] والاكرام والاحترام لا زالت في المكان المنيع [illegible] بالاعتقاد الاكيد وبعد ذلك نخبر
جنابك ادام الله وجودك بالاحوال بيننا وبين حسن بن علي بن محمد بن عايض لما انزل [illegible] هو والذي معه ركبنا الجيش
للاخوان يمين ويسار صادف [illegible] مع الاخوان مثل ما بلغك جمعنا عسير وقحطان وشهران [illegible]
[illegible] اما يكتسبون لنا [illegible] عاجزين ونعذرهم والا من كل قبيلة الف يحضر وندرجهم على الذي يدبرنا عليه رب العالمين
[illegible] الطاعه [illegible] تقصده عسير [illegible] عن تجنبنا القوه ونحن على العدو جبتنا شوكة شهران وقحطان
ونزلناهم في عقبة شعار وبعض عسير معهم وبعض عسير على عقبة [illegible] على المصطفى على ان بعض هذه القوه
الذي مع حسن من رعاياك رجال ألمع [illegible] بيننا وبينك [illegible] عاجزين [illegible]
[illegible] واذا اخذناهم يكونون لنا رعيه والا [illegible] في الاسواق ونقطع الدرب الذي بينك وبينهم [illegible]
مع [illegible] الكل [illegible] والطاعه وقطع الدرب الذي بينه وبينهم [illegible] الى رجال ألمع [illegible]
[illegible] تحت امرنا وبعد ذلك [illegible] رجال حسن المذكور يطلب امان له [illegible] عسير [illegible] ومن رجال ألمع
[illegible] قصدنا [illegible] عن الاشراف [illegible] الاشراف [illegible]
[illegible] الذي عندنا رجله [illegible] يطلب العفو [illegible]
[illegible] بيت مال [illegible] عندنا [illegible] وصار [illegible] علينا [illegible] عليهم [illegible]
[illegible] الذي قد [illegible] الشريفه [illegible] الينا [illegible] بعد ذلك وصل الينا حسن ابن عايض المذكور
وعيال عبدالرحمن وكافة آل عايض [illegible] على السمع والطاعه واخذنا عليهم [illegible] على ذلك
الامر [illegible] عفوكم [illegible] عليهم [illegible] لجنابك والحمد لله [illegible] التاريخ
[illegible] والطرب [illegible] والعشب والمطر [illegible] سلامنا كافة المشايخ والابناء
الكرام ومن لدينا [illegible] عندنا العيال [illegible] يسلمون [illegible] والسلام

١٣٤٢

[illegible]

الداعي لكم خادمكم
عبدالعزيز ابن ابراهيم

رسالة موجهة من الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم إلى الإمام عبدالرحمن الفيصل مؤرخة عام ١٣٤٢هـ أي بعد حوالي سنة من توليه إمارة عسير يخبره فيها عن استقرار الأمور في المنطقة

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب عالي الجناب الإمام الأفخم الأجل الأمجد والوالد المكرم عبد الرحمن آل فيصل دام بقاه وأيده ونصره على أعداه آمين يا رب العالمين السلام عليك وتحيات تهدى إليك عدد أشواق خادمك إليك أما بعد فالموجب والداعي رقمه وتسطيره هو إبلاغ جنابك العلي وقدرك الفاضل السني من خادمك وافر الإكرام والاحترام لازلت في المكان المنيع محروسا بالأقدار الأزلية وبعد ذلك نخبر جنابك أدام الله وجودك بما صار بيننا وبين حسن بن علي بن محمد بن عايض لما نزل (بمحائل) هو والذي معه أركبنا الجيش للإخوان يمين ويسار صادف نشبه مع الإخوان مثل ما بلغك جمعنا عسير وقحطان وشهران وخيرناهم بين أمرين إما يكتبوا لنا ورقة أنهم عاجزين ونعذرهم وإلا من كل قبيلة ألف يحضر وندبرهم على الذي يدبرنا عليه رب العالمين سمعوا وأطاعوا وامتثلوا تقعدوا عسير لنا في دروبهم حتى تجينا القوة ونمشي على العدو جتنا شوكة شهران وقحطان ونزلناهم في عقبة شعار وبعض عسير معهم وبعض عسير على عقبة قضا وروحنا لمصطفى على أن بعض هذه القوة الذي مع حسن من رعاياك رجال ألمع ولا يستوي بيننا وبينك أمر إلا بأحد اثنين إما أنك عاجز عن تأديب وحفظ رعيتك وإذا أخذناهم يكونون لنا رعية وإلا تنبه في الأسواق وتقطع الدرب الذي بينك وبينهم وتحضر قوتك تمشي مع قوتنا الكل يقاتل رعيته فسمع وأطاع وقطع الدرب الذي بينه وبينهم من البرك إلى رجال ألمع وأمر على قوته تحضر تحت أمرنا وبعد ذلك طب علينا رجال حسن المذكور يطلب أمان له ولمن معه في عسير من بني شهر ومن رجال ألمع وأمناهم وأمناه قصدنا نفرده عن الأشراف حتى يصير لنا فيهم مهم فلما مشى في محائل سروا الأشراف بالليل ولا أمكنا نلحقهم لأجل القوة الذي عندنا رجل فنطحنا ذاكر راعي محائل يطلب العفو فأمناه وردينا ابن مخالد أمير وجعلنا ذاكر المرقد راعي بيت مال وتعاهدوا عندنا وصفوا فيما بينهم وصاروا في محائل وطاحوا بن ثومه علينا وحطينا عليهم خمسمئة ريال نكال والزكاة الذي قد أعطوها

طارفة الشريف يسوقونها إلينا الحمد لله بعد ذلك وصل إلينا حسن بن عايض المذكور وعيال عبد الرحمن وكافة آل عايض وعاهدونا على السمع والطاعة وأخذنا عليهم أوراق واصلتك ولا حملنا على ذلك إلا معرفتنا بواسع عفوكم ورجاء أن ما فعلناه ما تعاتبونا عليه هذا ما لزم رفعه لجنابك والحمد لله إلى حال التاريخ القليب ومبناه تم والطوب عمر والعدو انكسر وكثر العشب والمطر بلغ سلامنا كافة المشايخ والأبناء الكرام ومن لديك عزيز ومن عندنا العيال صالح بن جبر ومحمد آل عبد الله يسلمون والسلام.

٢٢ محرم ١٣٤٢هـ　　　　الداعي لكم خادمكم عبد العزيز بن إبراهيم

إلى سلطة مركزية تنظم شؤون البلاد وتستجيب لأهم متطلبات الإنسان ألا وهو الأمن، الأمن من تعديات الناس بعضهم على بعض باسم (مواليًا ومعاديًا وخائنًا ومرتدًا) وأمن الناس من تعديات السلطة عليهم وتنظيم علاقة حضارية بينهم وبين السلطة.

وما كان يحدث في عسير قبل مجيء ابن إبراهيم يذكرنا تمامًا بما قاله سليمان شفيق كمالي باشا متصرف عسير ١٩٠٨ - ١٩١٢م عن الأوضاع في عسير عشية قدومه إليها في عام ١٩٠٨م: (بأن الناس "في عسير" يرون أنهم لا حكومة لهم، وأنهم مسلوبو الراحة والأمن العام، وهم ينتظرون الفرج، بظهور رجل مصلح يتولى فيهم أمر الحكم) ويختم كلامه بقوله: (إذن فالعسيريون لم يكونوا يشتكون من الحكومة بل من عدم وجود حكومة).

قدم ابن إبراهيم إلى أبها في أواخر شهر شوال عام ١٣٤١هـ[1]، والفوضى ضاربة أطنابها، والأمن معدوم، وشبح المجاعة يخيم على البلاد، زاد من شدة الوطأة قلة الأمطار في السنتين الماضيتين، والبدو يعيشون في بلاد الحاضرة، ويكفرون الناس لكي يسلبوا الناس أموالهم من غير رادع يردعهم، فابتدأ حكمه بالضرب بيد من حديد على أيدي العابثين بالأمن ومنتهكي الحرمات ومرتكبي السرقات، وفي عهده نفذ ولأول مرة حكم الشرع بقطع يد أحد اللصوص، وجدع أنف رجل أخذ أموالاً من الناس مدعيًا بأنه جاب للضرائب بتكليف من الحكومة.

(١) وقع هاشم النعمي، ص٢٥٩، في خطأ حين قال: إن قدوم ابن إبراهيم إلى أبها كان ١٣٤٢هـ، وكذلك علي عمر عسيري في كتابه: أبها في التاريخ والأدب، ص٧١.

تناقلت أخبار شدته في الحق الركبان فكتب إليه الشيخ هيف الفوية، وديرة الفوية أقرب إلى بيشة منها إلى أبها، يشتكي من بعض مرتكبي السرقات، فأجابه بقوله: (تذكر من طرف السرقان أن عندكم سرقان فإذا سرق على أحد من رعايانا شيء ركايبنا تاصله وإذا هو عليكم فابن ثنيان[1]، عندكم)[2].

... "ومع ما اتصف به من شدة في الحق فإنه كان ذا حنكة في سياسة التعامل مع الناس، وتقريبهم إليه والسماع إلى قضاياهم، والمسارعة في حلها، ولعل مما توج به أعماله أثناء فترته القصيرة في أبها، هو حسن تصرفه في استمالة آل عائص وإقناعهم بالدخول في مفاوضات تضمن لهم سلامتهم، وبالتالي سلامة الإقليم من القلاقل والفتن، فاستجابوا لدعوته، فضمن لهم الأمان، وتعهدوا لحكومة جلالة الملك بالطاعة، وبذلك قضى على أسباب الفتن"[3].

وقفة تاريخية:

تشير المصادر - كما مر بنا سابقًا - إلى أن سرايا جيش بادية قحطان، الموالية لآل سعود، بقيادة مترك بن عشق بن شفلوت، كانت قد تقدمت باتجاه بلاد رجال الحجر لمحاربتهم وإدخالهم تحت الراية السعودية[4].

كان ذلك قبيل وصول الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى أبها في أواخر

(١) ابن ثنيان أمير بيشة وأول أمير لها في العهد السعودي.

(٢) رسالة من الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى هيف الفوية بتاريخ ١٢ من صفر ١٢٤٣هـ.

(٣) محمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٦٠ - ٦٣.

(٤) هاشم النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص٢٥٩، ومحمد آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٥٩.

عام ١٣٤١هـ، أي في موسم الحج من ذلك العام، وفي هذه الأثناء وصل محمل حجاج اليمن إلى مدينة أبها، وهو المحمل المسمى بمحمل الكبسي، وفيه تعرض الحجاج للقتل خطأ على يد الإخوان.

ومع أنه ورد في كتاب "تاريخ اليمن" للواسعي، وكتاب "تاريخ العلاقات السعودية اليمنية" لفتوح الخترش، وكتاب "رحلة في بلاد العرب السعيدة" لنزيه العظمه، أن محمل الحجاج اليمنيين وصل لتأدية فريضة الحج من عام ١٣٤٠هـ، حين كان عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على عسير، إلا أن الروايات الأرجح[1]، تشير إلى أن وصول المحمل اليمني كان في عام ١٣٤١هـ، وقد دعم تلك الروايات الدكتور آل زلفة حيث أشار إلى أن عام ١٣٤١هـ، هو في الأرجح العام الذي وصل فيه المحمل اليمني لسببين:

١- أن ابن إبراهيم لم يباشر مهام منصبه أميرًا على عسير إلا في أواخر عام ١٣٤١هـ.

٢- أن ما حدث بين الإخوان والحجاج اليمنيين لم يكن ليحدث في عام ١٣٤٠هـ، لأن الإخوان لم يكونوا متواجدين بالقرب من موقع الحادثة في بلاد بني شهر في ذلك العام، وإنما كانوا هناك يشددون الخناق على رجال الحجر بقيادة ابن شفلوت في الفترة ما بين شوال وذي الحجة من عام ١٣٤١هـ.

نعود إلى موضوع الحجاج اليمنيين ومحمل الكبسي الذي وصل، كما ذكرنا، إلى أبها في عهد أميرها عبد العزيز بن إبراهيم "الرجل

(١) عصام ضياء الدين السيد، عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية، ص٦٧٨.

المعروف بحنكته وحزمه فاستقبل محمل الحجيج الاستقبال الحسن وأكرم وفادته"(١).

وقد كان من الطبيعي أن يرشد الأمير عبد العزيز بن إبراهيم الحجاج إلى الطريق الأنسب والأكثر أمانًا إلى مكة، ولأن الإخوان في ذلك الوقت كانوا مشتبكين مع رجال الحجر وقوات ابن عائض المدعمة بالعناصر الحجازية(٢)، فقد نصح ابن إبراهيم أمير موكب الحج اليمني بألا يسلك الطريق الذي يمر عبر مناطق الاشتباك هذه، بل عليه أن يسلك الطريق الآخر الذي هو بعيد عن الخطر، بيد أن رئيس المحمل لم يستمع، رغم ترديد ابن إبراهيم لنصيحته، ورغم تأكيده على ما يحفّ بهم من مخاطر في حالة عبورهم مناطق الاشتباك بين الجيش السعودي والهاشمي، فما كان من ابن إبراهيم، أمام إصرار رئيس المحمل، إلا أن أخذ منه وثيقة خطية تتضمن ما يشير إلى أنه يسلك هذا الطريق بمحض إرادته وعلى مسؤوليته، وأن الحكومة السعودية غير مسؤولة عن أي أذى أو خطر يحيق بالحجاج اليمنيين، ثم لم يكن بعد ذلك بد من أن يسمح لهم أمير عسير بسلوك الطريق الذي اختاروه لأنفسهم، والذي كان – يرحمه الله – يتخوّف عليهم منه.

وكان عدد الحجاج في المحمل يقدر بثلاثة آلاف يحمل بعضهم أسلحة نارية، غادروا أبها عبر السراة إلى بلاد بني شهر. وفي وادي تنومه، حيث

(١) محمد بن أحمد العقيلي، أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث، ص١٩٢.

(٢) عصام ضياء الدين السيد، عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية، ص٦٥.

كان الجيش السعودي، مر موكب الحجيج اليمني شاقًّا طريقه في أرض المعركة، ولما رأى الجيش السعودي هذا الجمع أمامهم دون سابق إنذار، لم يكن هناك وقت للتفكير، فالمسألة مسألة حياة أو موت، وظن الإخوان أن هذا الجمع يمثل جزءًا من الجيش الهاشمي المعادي، وماذا عسى القائد السعودي أن يفعله وقد فوجئ، وهو يخوض معركته الأساسية، بحشد يعد بالآلاف يتحرك في ساحة المعركة من الممكن أن يكونوا عونًا لمناوئيه؟

لقد اشتبك جيش الإخوان مع محمل الحجاج، ودار القتال الذي أسفر عن إبادة أكثر الحجاج، وقيل إنه لم ينج منهم إلا أشخاص قليلون.

كانت تلك حادثة مؤسفة، لم تكن لتقع لو استمع رئيس الحجيج اليمني لنصيحة أمير عسير، الذي كان يخشى عليه ومن معه من الحجاج إن هم سلكوا طريق المعارك بين السعوديين وشريف مكة، وهي طريق محفوفة بالمخاطر يتربص فيها كل فريق بالآخر، وحدث ما كان متوقعًا، فقتل الحجاج خطأ، والقتل الخطأ أثناء المعارك أمر واقع لا مفر منه، حتى مع تقدم تقنيات المعارك الحربية ووصولها إلى مستوى علمي عجيب.

لقد حدث في معارك حربية حديثة أن قتل الجنود بفعل نيران أسلحة جيوشهم لا بفعل نيران العدو، فالحرب لا ترحم وميادينها تعج بالغبار وتضج بأصوات الطلقات، ولا وقت هنالك للتريث والتفكير، إذ إن الفرق بين الحياة والموت قد لا يكون أكثر من ثوانٍ معدودة.

كانت هذه أول حادثة تقع بين الطرفين السعودي واليمني، ومع أنها حدثت بصورة غير مباشرة، إلا أن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم سارع

بإرسال خطاب إلى الإمام يحيى، يشرح فيه ملابسات الحادثة مع صورة من التعهد الذي كتبه رئيس المحمل اليمني، الذي يقر فيه أنه هو وأصحابه يتحملون مسؤولية سلامتهم أثناء سلوكهم ذلك الطريق إلى مكة، وأن الحكومة السعودية بريئة من تبعات ونتائج أي حدث يحدث لهم[1].

كما بعث جلالة الملك عبد العزيز بن سعود برسالة إلى الإمام يحيى، يعرب فيها عن أسفه وحزنه لما وقع، وأنه أمر بنقل جميع مخلفات وأمتعة الحجيج إلى ديارهم. وقد أورد الأستاذ العقيلي أن الإمام يحيى رد "ردًا جميلاً على رسالة الملك عبد العزيز بن سعود وعامل أبها عبد العزيز بن إبراهيم، وشكرهما، إلا أنه في أواخر رسالته للملك، طلب أن يكون حكمًا في الحادث المؤسف"[2].

وقد وصلت فعلاً أمتعة الحجاج اليمنيين إلى صنعاء، وأسدل الستار على حادثة لم يكن لأحد مصلحة في حدوثها، إلا أنها على أي حال حادثة مؤسفة، فهم كما ذكر الأستاذ العقيلي "إخوان لنا في العروبة والإسلام، تغمدهم الله بواسع رحمته وغفر لمن غرر بهم أو من تحمل تبعة سلوكهم الطريق المحظور"[3].

---

(١) محمد بن أحمد العقيلي، أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث، ص١٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٩٣.

(٣) المرجع السابق؛ ص١٩٣.

نهاية فترة إمارة عبد العزيز بن إبراهيم في عسير:

حقق عبد العزيز بن إبراهيم في المدة القصيرة التي قضاها أميرًا على عسير إنجازات كبيرة تحت توجيه قائده ومليكه عبد العزيز بن سعود، ومهما يكن الأمر فإنه يصعب حقيقة المواءمة بين ضخامة الإنجاز الذي حققه الأمير عبد العزيز بن إبراهيم وقصر المدة التي قضاها أميرًا على عسير، لقد تحقق في تلك الفترة حلم كان يراود العسيريين منذ أمد بعيد، فقد طال بهم ليل النزاع والشقاق والفتن، وتلاعبت بمصالحهم أطماع الأمراء والدول، شهدوا المعارك وقاتلوا واستبسلوا، وضحوا بالكثير أملاً في الوصول إلى نهاية يسعدون بها، ولكنهم مع مضي الوقت أدركوا أن فترات الهدوء التي تخيم على عسير لم تكن بالنسبة لهم أكثر من استراحة محارب، ولكنهم هذه المرة، بعد أن أزاح عنهم عبد العزيز بن إبراهيم تحت راية ابن سعود، الهم الثقيل الذي جثم على صدورهم جراء النزاع الدموي المستمر على السلطة، وبعد أن وضع حدًا لإمارة آل عائض، أيقنوا أن عهدًا جديدًا قد فتح بابه لهم،وأنهم أصبحوا جزءًا من المشروع الوحدوي الكبير الذي بدأه الموحد الفذ، والذي أوشك آخر فصوله على الاكتمال.

انتهت إمارة آل عائض جنوبًا، كما انتهت قبلها إمارة آل الرشيد شمالاً، وكان عبد العزيز بن إبراهيم هناك كما كان هنا، كان في حائل رسول سلام يقنع ابن الرشيد بالانصياع للأمر الواقع، ويأخذ منه خاتمه ليوقع بالنيابة عنه على استسلام آل الرشيد لابن سعود، وكان في أبها أميرًا يفاوض آل

عائض ويدعوهم أيضًا، ومرة أخرى، للانصياع للأمر الواقع والاستسلام لابن سعود.

وفي حائل وأبها كان - يرحمه الله - رغم ضعف المستسلمين وقلة حيلتهم، يؤمّن سلامتهم ويهتم بمصيرهم، فقد علم أن عبد العزيز بن سعود - يرحمه الله - يراعي الكرامات، ويجبر الخواطر، ويقيل العثرات، فاتخذ ابن إبراهيم من ذلك أساسًا للاطمئنان على مستقبل آل الرشيد بعد حائل، وآل عائض بعد أبها.

وكما اطمأن عبد العزيز بن إبراهيم على نهاية الفتنة بعد رحيل آل عائض، فقد اطمأن أيضًا على أمن مواطني هذا الإقليم، فوضع قبل أن يودع أبها إلى الرياض، أسسًا للتعامل مع الخارجين عن النظام والعابثين بالأمن الذي كان في أعلى قائمة أولويات الملك عبد العزيز، وكان أساس التعامل الذي فرضه ابن إبراهيم في عسير على هؤلاء مستمدًا من الشريعة الإسلامية، كان، يرحمه الله، حازمًا معهم لأن حياة الناس وأمنهم لا يقدران بثمن، وبعد ذلك عمل جهده في إعادة الناس إلى حياتهم الطبيعية؛ إلى مزارعهم وتجارتهم وأعمالهم الخاصة، لتبدأ في عهده مؤشرات الرخاء والعيش الرغيد بعد القحط والجوع والحرمان، وكان عبد العزيز بن إبراهيم ينفذ في كل ذلك السياسة التي رسمها الملك عبد العزيز، رحمهما الله، وأوصاه بها وهو يكلفه بإمارة عسير.

وقد مر بنا كيف أن ابن إبراهيم كان يعز عليه فراق مسقط رأسه الرياض إلى الجنوب، وهو لم يهنأ بعد بعودته إليها من الشمال، فطلب من الملك

عبد العزيز إعادته إلى الرياض فور إنجاز ما هو مطلوب منه.

والآن، وقد تحقق في عسير ما تحقق وجّه الملك عبد العزيز أميره على أبها بالعودة إلى الرياض، حيث عين بديلاً عنه، وكان ذلك في أوائل عام ١٣٤٢هـ[1].

(١) تشير بعض المصادر إلى أن عبد العزيز بن إبراهيم مكث أميرًا على عسير ستة شهور، وحيث إن تعيينه كان في شهر شوال عام ١٣٤١هـ، يكون انتقاله إلى الرياض في شهر ربيع الثاني من عام ١٣٤٢هـ، وقد ورد في مصدر آخر أن انتقاله كان في ٢٢ جمادى الأولى عام ١٣٤٢هـ.

الفصل الخامس

عبد العزيز بن إبراهيم
«أول أمير سعودي على الطائف»

محتويات الفصل الخامس

عبد العزيز بن إبراهيم

«أول أمير سعودي على الطائف»

- عبد العزيز بن إبراهيم في الرياض مرة أخرى.
- مؤتمر الكويت.
- مؤتمر الرياض.
- حالة الحجاز.
- فتح الطائف.
- نتائج فتح الطائف.
- عبد العزيز بن إبراهيم في معية السلطان.
- الطائف قبل الملك عبد العزيز.
- عبد العزيز بن إبراهيم أميراً على الطائف.
- ذو الخلصة.
- نهاية فترة إمارة عبد العزيز بن إبراهيم للطائف.

الفصل الخامس

عبد العزيز بن إبراهيم
«أول أمير سعودي على الطائف»

عبد العزيز بن إبراهيم في الرياض مرة أخرى:

استقر المقام بالأمير عبد العزيز بن إبراهيم في الرياض العاصمة، مركز الإشعاع السياسي السعودي، وكانت حينئذ مدينة لا تهدأ، تصنع فيها القرارات، وتؤمها الوفود، بين مسلم يعلن دخوله تحت الراية السعودية، ومجدد يؤكد الولاء والعهد، ورسول يبلغ عظمة السلطان بالجديد في الأحداث.

وقد تزامنت عودة ابن إبراهيم من عسير مع أحداث سياسية مهمة، تكونت من خلالها توجهات جديدة لبسط النفوذ السعودي إلى نواحٍ أخرى، كانت تنتظر دورها للانضمام إلى المشروع الوحدوي الكبير.

وتجدر الإشارة إلى أن الأحوال السياسية لم تتغير كثيراً منذ مغادرة ابن إبراهيم إلى عسير، وحتى عودته إلى الرياض، إذ ما زالت البلاد تعاني من نتائج معاهدات العقير التي لم تعالج أصل المشكلة القائمة بين السلطان عبد العزيز والدول المجاورة من الشمال، والتي تكاد تنحصر في عدم اطمئنان نجد إلى جيرانها في العراق والأردن، وعدم وثوقها من إخلاصهم وحسن نيتهم. لقد ظل ابن سعود يجابه هذا التوتر على الحدود ببعد نظر وحكمة، وينتظر الفرصة للتخلص من قيود المعاهدات التي لم تلتزم بها الأطراف الأخرى[1].

(١) أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص١٢٩، ومحمد منير البديوي، المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود، ص٢٠٠.

ومن جهة أخرى كانت العلاقة بين السلطان عبد العزيز في نجد والملك الحسين بن علي في الحجاز تتوتر وتسوء يومًا بعد يوم، جراء ما وصلت إليه الحال بالملك الحسين من سوء الإدارة والتخبط في التنظيم(١)، إضافة إلى أنه لم يستطع نسيان ما جرى له ولجيشه في موقعة تربة(٢)، على أيدي القوات الموالية للسلطان عبد العزيز بن سعود.

وفوق ذلك كله انضمت حائل وعسير إلى نجد، وبسط ابن سعود نفوذه عليهما، واتجهت كل الأنظار إلى الرياض مركز صناعة الحدث السعودي، الذي بات يشغل بال حكومات العراق والأردن والحجاز، ووسط هذه الأحداث كانت بريطانيا تحاول استرضاء العرب والاحتفاظ بنفوذها في بلادهم.

هذه صورة مجملة للوضع السياسي الذي كان يعيشه السلطان عبد العزيز ورجاله في تلك الفترة التي انتهت فيها إمارة عبد العزيز بن إبراهيم على عسير، لقد عاد ابن إبراهيم إلى الرياض ليشهد هذه الأحداث، ولتتاح له الفرصة، مرة أخرى، للوقوف على تفاصيل ومفردات مشروع وحدة البلاد الذي يديره السلطان بعبقرية وذكاء.

وأضحت الحجاز في بؤرة الأحداث، إذ كانت في هذه الفترة تحتل الجزء الأكبر من تفكير ابن سعود، الذي يتشوق لاستقرار الأحوال فيها، وانتشار

---

(١) عبد الحميد الخطيب، الإمام العام صاحب الجلالة الملك عبد العزيز: ج١، ص٤٢.

(٢) تربة بلدة تقع على مسافة ٧٥ ميلاً جنوب جبل "حضن" الحد الفاصل بين نجد والحجاز، وكان أمير الخرمة وتربة الشريف خالد بن لؤي قد أعلن العصيان ضد الملك الحسين واستنجد بالسلطان عبد العزيز بن سعود الذي أمده بقوة على رأسها سلطان بن بجاد لنجدة ابن لؤي في الدفاع عن تربة والخرمة، وكان الملك حسين قد سير جيشًا قويًا زوده بكل ما غنمه من الأتراك وما حصل عليه من الإنجليز من الذخيرة والعتاد، ودارت معركة تربة في شعبان ١٣٣٧هـ، وانتهت، بإبادة الجيش الهاشمي بعدته وعتاده.

الفكر الديني السليم في ربوعها، بعيدًا عن تسلط الحكام وطمع الولاة، ويشاء الله أن تقوده الأحداث إلى الحجاز، فيفتح الطائف ويدخل مكة وجدة والمدينة، ليتعانق الحجاز ونجد، ولتُبْنَى هنا وهناك الحضارة والمجد.

لقد كانت تنتظر عبد العزيز بن إبراهيم مهمات قيادية جديدة في الوجهة الجديدة (الحجاز)، في الطائف أولاً ثم في المدينة، وبعد ذلك في مجلس الوكلاء بمكة، ليكتب له - يرحمه الله - الإسهام الإيجابي في وحدة البلاد السعودية تحت قيادة الملك عبد العزيز شمالاً وغربًا وجنوبًا.

ومن المناسب هنا ذكر تفاصيل الأحداث منذ انتهاء إمارة ابن إبراهيم على عسير، وحتى توليه مهمته الجديدة في الطائف، تلك المدينة الحضارية التي كانت على الدوام جزءًا مهمًا من الحجاز، والتي كان فتح ابن سعود لها نقطة الانطلاق نحو ضم بقية الحجاز إلى الدولة السعودية الجديدة.

مؤتمر الكويت:

كانت بريطانيا تفكر في طريقة للتوفيق بين سلطان نجد وجيرانه الثلاثة في العراق والأردن والحجاز، فاستقر الرأي على عقد مؤتمر في بلد محايد، يجتمع فيه مندوبو الحكومات الأربع لطي صحف الخلاف ونشر أعلام الوفاق، واختيرت الكويت مكانًا لعقد المؤتمر برئاسة المندوب البريطاني في البحرين الكولونيل "نوكس" وأرسلت الدعوات للحكومات ليكون جمادى الأولى عام ١٣٤٢هـ موعدًا لانعقاد المؤتمر(١).

(١) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص٣١٨.

وكان للسلطان عبد العزيز شرط لاشتراكه في المؤتمر أقره الإنجليز، وهو أن تدور المفاوضات بين مندوبه ومندوب كل حكومة أخرى على انفراد، دون تدخل مندوبي الحكومات الباقية.

وبدأ المؤتمر بحضور وفود كل من نجد والعراق والأردن، ولم يحضر وفد الحجاز، فقد اشترط الحسين لاشتراكه في المؤتمر تنازل ابن سعود عن جميع فتوحاته التي قام بها في السنوات الأخيرة، وهو شرط يدخل في عداد المستحيلات.

ومع أن الغاية الأولى من عقد المؤتمر كانت حل الخلاف بين حكومتي الحجاز ونجد، إلا أن المؤتمر تابع جلساته، وقدمت مطالب كل وفد من الآخر، وطال الجدل ولاحت في الأفق نذر فشل هذا المؤتمر، بعد أن انتهكت الوفود الأخرى الشرط الأساسي لابن سعود للاشتراك في المؤتمر، وهو عدم قيام حكومة من الحكومات بالاشتراك في بحث ما يتعلق بالحكومات الأخرى، واضطر رئيس المؤتمر إلى تأجيله، ليتلقى كل وفد استشارة من حكومته حول مسائل الخلاف.

بدأت الجولة الثانية للمؤتمر، ولم يحضر مندوبو الحجاز هذه المرة أيضًا، رغم ما بذله الإنجليز من جهود لإقناع الحسين بإرسال وفده، وبحثت بعض المشكلات إلا أنه توجب أيضًا تأجيل المؤتمر مرة أخرى.

وفي الجولة الثالثة اقتصر الحضور على مندوبي نجد والأردن، وتخلف مندوبو العراق، ولم يحضر أي ممثل للحجاز كما هي العادة، وتقدم وفد الأردن بمقترحات غير منطقية، من ضمنها إعادة إمارة آل الرشيد في حائل،

وإمارة آل عائض في عسير، وتخلي الحكومة السعودية عن جميع الأراضي الحجازية، ولم يكتف مندوب نجد بطبيعة الحال برفض ذلك الطلب، بل احتج عليه وعدّه تدخلاً في شؤون نجد الداخلية ووسيلة لعرقلة المساعي التي تبذل في سبيل الصلح والسلام.

وتوقفت على أثر ذلك المحادثات، وعاد كل وفد إلى بلاده في رمضان ١٣٤٢هـ[١]، وكان ذلك إيذانًا بفشل مؤتمر الكويت.

كان الملك عبد العزيز يتابع أخبار المؤتمر من الأحساء[٢]، ويوجه وفده بموقف حكومته الواضح، وعلى الرغم من فشل المؤتمر، إلا أن ابن سعود استطاع أن يثبت أمام الرأي العام الإسلامي رغبته الأكيدة في السلام.

يقول محمد البديوي: "ولئن كانت نتائج مؤتمر الكويت سلبية بالنسبة للسلطان عبد العزيز آل سعود، فقد أطلقت يده بالعمل لا بالنسبة لدولتي الحجاز وشرقي الأردن فقط، بل بالنسبة للإنجليز أنفسهم أيضًا بعد أن أدهشهم باعتداله ومرونته وحسن تقديره"[٣].

وكان من النتائج الإيجابية لفشل مؤتمر الكويت، اجتماع علماء نجد وعشائرها حول عبد العزيز عقب عودته إلى الرياض، في المؤتمر الشهير الذي عرف بمؤتمر الرياض[٤].

---

(١) ورد تاريخ انتهاء المؤتمر في كثير من المراجع (أمين سعيد، البديوي، أحمد عبد الغفور عطار) على أنه رمضان ١٣٤٣هـ، وهذا يتناقض مع تسلسل الأحداث التاريخية التي سبقت وتلت المؤتمر والتي يستنتج منها أن نهاية المؤتمر، كانت في رمضان ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م)، والأرجح أن يكون هذا خطأ مطبعيًا، إلا أنه يستغرب تكرره في أغلب المراجع التاريخية المعروفة، وقد أدى ذلك إلى تحديد خاطئ لتاريخ انعقاد مؤتمر الرياض (صلاح الدين المختار، أمين الريحاني).

(٢) صلاح الدين مختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج٢، ص٢٦٨.

(٣) محمد منير البديوي، المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود، ص٢٠٦.

(٤) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الثاني، ص٦٩٠.

مؤتمر الرياض:

دعا السلطان عبد العزيز علماء نجد، وأمراءها، ورؤساء عشائرها، ورؤساء الإخوان، وبعض شيوخ تربة والخرمة، للاجتماع في الرياض في شهر ذي القعدة ١٣٤٢هـ[١]، وانعقد المؤتمر برئاسة الإمام عبد الرحمن الفيصل، وتداول المجتمعون ما وصل إليه الأمر بالملك الحسين، وتضييقه على الحجاج، ونشره الدعايات السيئة عن ابن سعود والدعوة السلفية.

وقد أثيرت في المؤتمر فكرة غزو الحجاز، من قبل بعض زعماء القبائل، الذين دفعهم إلى ذلك الحماس والغضب، بسبب منع الحسين النجديين من الحج، ولكن الملك عبد العزيز لم يتجاوب مع اندفاعهم وحماسهم، لأنه كان يؤمن أن الصبر هو الوسيلة المثلى ما دام هناك مجال للصبر، وانتهى المؤتمر بضرورة التحرك إلى الحجاز لا للاستيلاء عليه[٢]، ولكن ليكون للمسلمين عامة، وليجد الحجاج في رحابه الأمن والطمأنينة.

حالة الحجاز:

كانت الأحوال السياسية آنذاك ملائمة للتحرك العسكري السعودي نحو الحجاز، فقد أعلن الملك حسين بن علي نفسه خليفة للمسلمين، وأميرًا للمؤمنين، وفترت علاقته ببريطانيا، التي لم تنجح في إقناعه بتحسين علاقته مع جيرانه، وخاصة السلطان عبد العزيز، وقد كان لإعلانه تنصيب نفسه خليفة للمسلمين أثره في إغضاب مسلمي الهند ومصر وأكثرية العا لم

(١) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الثاني، ص٦٩٠.

(٢) المرجع السابق، ص٦٩٠.

الإسلامي، وفوق ذلك فقد ناصب نجدًا وسلطانها العداء، بعد أن ذاق مرارة نزالهم في تربة، فمنعهم من أداء فريضة الحج.

كانت هذه أسبابًا كافية لتحرك السعوديين إلى الحجاز، في جو سياسي ملائم، مكنهم من تحقيق أبعد مما كان يهدف إليه السلطان عبد العزيز بن سعود.

فتح الطائف:

انتظر السلطان عبد العزيز بن سعود حتى انتهى موسم الحج من عام ١٣٤٢هـ، وهل هلال المحرم من سنة ١٣٤٣هـ، ثم بدأ يعد العدة لغزو الطائف والوقوف عنده، لعل الملك حسين يرجع إلى رشده، وقرر في تلك الأثناء إرسال قطع من قواته إلى الشمال صوب الحدود العراقية وإلى الشمال الغربي باتجاه حدود شرقي الأردن، لمواجهة أي احتمال من جانب الملك فيصل والأمير عبد الله، وتحويل الأنظار عن هدفه الحقيقي(١).

بدأت تلك الحملات زحفها، وكان على الحملة الأساسية الموجهة إلى الحجاز أن تبدأ هجومها حول "الخرمة" بقيادة خالد بن لؤي وسلطان بن بجاد، وهما اللذان هزما حملة عبد الله بن الحسين، وقضيا على جيشه وعتاده في تربة عام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م)(٢).

تلقى خالد بن لؤي، وهو في تربة، أمر الغزو وخطته من الرياض، فبدأ زحفه ومعه ستة عشر لواء، على كل لواء أمير، ويدأ الهجوم أولاً على مخفر

(١) داكوبرت فون ميكوش، عبد العزيز، ص١٨٤، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص١٤٩.
(٢) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج٢، ص٢٠٩.

"كلاخ"، وهو المخفر الأمامي للحكومة الهاشمية من ناحية نجد، فاستولى عليه ابن بجاد ورجاله، وواصل تقدمه ليستولي على مخفر "الأخيضر" شرقي الطائف، ليفتح أمام جيش ابن سعود الطريق إلى الطائف[١].

لم يعلم أحد في حكومة الملك حسين بتحرك الجيش السعودي من تربة إلا بعد أن أناخ الجيش بالحوية، التي لا تبعد عن الطائف أكثر من خمسة وعشرين كيلومترًا، (التقت اليوم الحوية بالطائف نتيجة المد العمراني الذي شهدته المنطقة في العهد السعودي الميمون)، وكان ذلك في أول صفر ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م)[٢].

ولما علم الملك حسين بالنبأ لم يكترث له، وأمر وزير حربيته صبري باشا بإرسال حامية تنظم الدفاع عن الطائف، بالاتفاق مع الشريف شرف ابن راجح قائمقام الطائف[٣]، إلا أن تلك الحامية لم تنجح، فتراجعت وتقهقرت، بعد أن دارت معركة حامية في الحوية.

وكان بالطائف الكثير من المصطافين من أهل مكة، ومن بينهم الشريف عبد الله بن محمد وزير داخلية الملك حسين، وقد هب المصطافون للرحيل إلى مكة، لولا أن الحكومة هدأت من روعهم ومنعتهم من الرحيل، وأرسل الحسين قوة للدفاع عن الطائف بقيادة ابنه علي.

غادر الشريف علي بن الحسين مكة على رأس قوة أتى بها معه من المدينة في موسم الحج، مزودة بالمدافع والرشاشات، وانضمت إليه قوة إضافية

(١) عبد الحميد الخطيب، الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز، ص٤٥.

(٢) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج١ - ٢، ص٣٣٠.

(٣) محمد منير البديوي، المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود، ص٢١٥.

من البدو، ولما بلغ الشريف على الطائف تمركز داخلها منتظرًا قوة نظامية في طريقها إلى الطائف من مكة، وعرف الإخوان بوصول علي وقواته، فأحاطوا بتلك القوات وحاصروها، وأيقن الشريف علي أن بقاءه داخل السور لا يفيد، فذهب إلى وادي المحرم للاجتماع بالقوة النظامية هناك، ولحق به بعد ذلك اللواء صبري باشا وقائمقام الطائف، فخلت المدينة من قائد يقود الدفاع عنها. خلت المدينة وتدفق جيش خالد بن لؤي وابن بجاد إلى الداخل، كما تدفق معهم الأعراب الذين انضموا إليهم، فاختلط الحابل بالنابل، وانتهز ضعاف النفوس فقدان السلطة من البلدة وانتشار الاضطراب فيها، فنهبوا وقتلوا.

وبلغ السلطان عبد العزيز بن سعود الخبر، فبعث إلى قائديه سلطان وخالد، يستنكر ما حدث أثناء دخول الطائف، ويأمرهما بوضع حد لكل ما يسيء للمدنيين والأبرياء، وعدم قتال غير المحاربين.

وعقب سقوط الطائف، أقام الشريف علي خطًّا دفاعيًا في منطقة "الهدا" حيث تتابعت النجدات له من مكة وأطرافها جندًا وقبائل، وفي مساء يوم ٢٦ صفر ١٣٤٣هـ حمل الإخوان على معسكر الأمير علي في "الهدى" ودارت معركة حامية انتهت بتفرق الجيش الهاشمي وهزيمته، وتوقف زحف الجيش السعودي في الطائف والهدى، وأرسل ابن بجاد وابن لؤي إلى الملك عبد العزيز يخبرانه بما تحقق، وينتظران إذنه بمواصلة السير إلى مكة[1].

(١) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الثاني، ص٧١٧ - ٧١٩، وخير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج١ - ٢، ص٣٣٢.

نتائج فتح الطائف:

اضطربت الحالة في الحجاز، وعاد علي بن الحسين إلى مكة، فوجد أباه ثابت الجنان يحدوه الأمل في قهر القوات السعودية، دون تقدير لمدى قوة ابن سعود وصدق عزيمته.

وقد أشار المؤرخون إلى أن الحسين فقد ما كان يوصف به من دهاء وحذق وفطنة وذكاء، حينما بدأ التعامل مع الملك عبد العزيز في ساحة الحرب، واستغرق في أمانيه وأحلامه، يفكر في وسيلة يدفع بها جموح القوات السعودية.

وفي تلك الأثناء، اجتمع ابنه علي في جدة مع أعيانها في ربيع الأول ١٣٤٣هـ[1]، واتفق المجتمعون على أن يوجهوا برقية إلى الملك الحسين يطلبون نزوله عن عرش الحجاز لابنه علي، وقد قبل الحسين بعد مداولات ومحاورات، ونودي بالأمير علي – في جدة – ملكًا على الحجاز في ٥ ربيع الأول ١٣٤٣هـ[2].

ولم يؤد تنازل الحسين وبيعة ابنه علي إلا إلى مزيد من الفوضى والاضطراب، إذ تهيأت أجواء مناسبة لنهب أموال الأمة، ووجد العابثون فرصة للسلب والنهب والعبث، ويذكر أحمد عبد الغفور عطار أن تنازل الحسين لابنه علي يُعَدّ خدمة مرموقة لابن سعود، حيث قام أعضاء الحزب الوطني بإنزال "خصمه العنيد القوي ليرفعوا بدله خصمًا وديعًا مسالمًا

(١) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج٢، ص٣٠١.
(٢) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج١ – ٢، ص٣٣٢.

لا نفوذ له ولا ثقل في الميزان كأبيه، ووضعوا في وجه ابن سعود القوي خصمًا لا يستطيع أن يكون له ندًا، فابن سعود يستطيع أن يقضي عليه سريعًا بإرهاقه بالمفاجآت ويضنيه بالحصار ويجبره على التنازل"(١).

لقد كان الحزب الوطني، أو الحكومة الحجازية، يعتقد أن بقاء الحسين في داخل المملكة هو سبب عدم نجاح الحكومة الحجازية، ولهذا تضافرت الجهود لإخراجه، غير أن خلفه على العرش وجد نفسه أمام حقيقة لم يستطع مقاومتها، وهي أن ابن سعود، بعد احتلال جيشه للطائف، لم يكن ليرضى بصلح مع الحكومة الحجازية، ما لم ينص ذلك على تحرير بلاد الحجاز، ليتقرر مصيرها بعد ذلك على يد المسلمين في جميع أقطار العالم الإسلامي.

كان الإخوان قد تلقوا أمرًا من ابن سعود بألا يتقدموا عن حدود الطائف والهدى، إلا إذا وجدوا الطريق مأمونة إلى مكة، فليدخلوها محرمين دون قتال، وذلك لخوفه – يرحمه الله – من أن يتعرض المسلمون لأذى الحرب وويلاتها كما حدث بالطائف، ونفذ الإخوان، بقيادة ابن لؤي وابن بجاد، توجيهات السلطان ورابطوا في "الزيمه" التي تبعد عن مكة نحو (٣٠ كيلومترًا).

أيقن الملك علي بن الحسين أنه لا قبل له بمواجهة ابن سعود، وأنه غير قادر على الدفاع عن مكة، فما كان أمامه إلا أن غادرها إلى جدة ليلاً، بما عنده من قوى على حين غفلة من أهلها في مساء يوم الثلاثاء ١٥ ربيع

(١) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الثاني، ص٧٣٠.

الأول ١٣٤٣هـ، ونتيجة لذلك دبت الفوضى في مكة، وانتشرت حوادث السلب والاعتداء، ولما علم خالد بن لوّي وسلطان بن بجاد، هرعا إلى مكة ودخلاها بجيشيهما صبيحة يوم الخميس ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ (١٦ أكتوبر ١٩٢٤م)، محرمين ملبين(١). وأقبل أهل مكة يقدمون الطاعة للسلطان عبد العزيز، الذي شدد على القائدين بضرورة توخي الحذر وعدم المساس بأمن الناس وممتلكاتهم.

لقد تتابعت الأحداث بسرعة مذهلة، منذ أن عقد مؤتمر الرياض، وبدأت الأمور تتعقد، و لم يعد بمقدور السلطان عبد العزيز البقاء في الرياض بعيدًا عن مسرح الأحداث الحجازية، فقرر التوجه إلى مكة بصحبة كبار رجاله وقادة جيشه، وانطلق موكب الرحلة الملكية إلى الحجاز.

عبد العزيز بن إبراهيم في معية السلطان:

مكث عبد العزيز بن إبراهيم سنة كاملة في الرياض بعد عودته من عسير، كان خلالها من المقربين إلى عظمة السلطان، وممن يعدون محل ثقته، وحينما أزمع السلطان عبد العزيز – يرحمه الله – التوجه إلى الحجاز، كان ابن إبراهيم ممّن وقع عليهم الاختيار لمرافقته في الرحلة الملكية المشهورة.

بدأت رحلة الملك عبد العزيز من الرياض في يوم ١٣ ربيع الآخر ١٣٤٣هـ (١١ نوفمبر ١٩٢٤م)(٢)، وسط جمع غفير من المودعين الذين خاطبهم – يرحمه الله – بقوله:

(١) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج٢، ص٣١٠.

(٢) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج١ – ٢، ص٣٣٥.

"إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم عنها، إني مسافر إلى مهبط الوحي، لبسط أحكام الشريعة، ولن يكون في مكة بعد الآن سلطان لغير الشرع، سأجتمع بوفود العالم الإسلامي هناك وأتبادل معهم الرأي في كل الوسائل التي تجعل بيت الله بعيدًا عن شهوات السياسة، وتحفظ راحة قاصدي حرم الله"(١).

وانطلق الموكب وخلفه ومن حوله جمع كبير، وقد سمى يوسف ياسين، أحد مرافقي جلالته في تلك الرحلة ومدون الرحلة الملكية(٢)، كبار من كان في الركب وهم:

١- الأمير محمد بن عبد الرحمن (حضر احتلال الرياض مع أخيه جلالة الملك عبد العزيز ورافقه في جميع الغزوات)(٣).
٢- الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (شهد معظم الغزوات مع أخيه الملك عبد العزيز).
٣- الأمير محمد بن عبد العزيز (حصل على يديه دخول المدينة المنورة، وتسلمها في ٢٠ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ).
٤- الأمير خالد بن عبد العزيز آل سعود.
٥- ناصر بن سعود بن إبراهيم بن عبد الله بن فرحان بن سعود (توفي سنة ١٣٥٨هـ).

(١) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج١ - ٢، ص٣٣٥.
(٢) نشرت على حلقات في صحيفة أم القرى سنة ١٣٤٣هـ، ثم رأت وزارة المعارف السعودية إتحاف القراء بها فأمرت بجمعها من أعداد الصحيفة وكلفت الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ بتنقيحها والتعليق على بعض ما ورد فيها.
(٣) انظر ترجمته في الجزء السابع من الأعلام لخير الدين الزركلي، الطبعة الثانية، ص٢٠١.

٦- مشاري بن سعود بن جلوي بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود (توفي سنة ١٣٤٦هـ).

٧- الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، قاضي جيش الإمام عبد العزيز، وإمامه في الصلاة (تولى فيما بعد رئاسة قضاء المملكة سنة ١٣٤٦هـ إلى أن توفي ١٣٧٨هـ).

٨- عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الرحمن آل إبراهيم (تولى قبل هذه الرحلة إمارة عسير، ثم تولى بعدها إمارة الطائف، فوكيلاً للمدينة ثم عين أخيرًا عضوًا بمجلس الوكلاء بمكة المكرمة وتوفي عام ١٣٦٥هـ).

٩- الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (توفي سنة ١٣٦٦هـ).

١٠- محمد بن عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ (كان يلقب بالصحابي لورعه).

١١- الشيخ عبد الله العجيري.

١٢- الشيخ حمد الخطيب (حمد بن محمد أبي عوف، من أهل مدينة حائل، تولى القضاء بمكة وتوفي فيها سنة ١٣٤٤هـ).

١٣- الشيخ عبد الرحمن النفيسة، ويلقب بالخطيب.

١٤- أخوه حسين النفيسة (له ديوان نظم مطبوع في الهند).

١٥- مساعد بن سويلم.

١٦- عبد الرحمن بن مشاري بن سويلم.

١٧و١٨ – فهد وسلطان، من آل رشيد.

١٩– إبراهيم السبهان (من آل سبهان).

٢٠– محمد بن عبد الكريم السبهان.

٢١– فهد العبد الله السبهان.

٢٢– عبد الله الدملوجي (الدكتور).

٢٣– حمزة غوث، من أهل المدينة (ثم عين سفيرًا للمملكة في إيران).

٢٤– الدكتور محمود حمدي حمودة.

٢٥– محمد النحاس، من رجال المالية والوطنية بسورية.

٢٦– بشير الأمين، من رجال المال.

٢٧– جمال الغزي.

٢٨– عبد الله بن سعد السديري.

٢٩– محمد بن حوبان (من كتّاب الديوان).

٣٠– عمر بن ربيعان (أمير لواء هجرة الداهنة) على رأس جندها.

٣١– عبد الله بن زاحم، قاضي هجرة الداهنة: وهو عبد الله بن عبد الوهاب ابن زاحم، من أهل القصب (إحدى قرى الوشم) ينتسب إلى قبيلة البقوم المعروفة في تربة وحضن، تفقه في أشيقر والرياض، وعين قاضيًا في الداهنة، ثم نقل بعد سنوات إلى قضاء الرياض، فرئاسة قضاء المدينة، وتوفي وهو في هذا المنصب سنة ١٣٧٤هـ، ودفن في البقيع.

٣٢– الزغيبي، أمير لواء هجرة دخنة، ومعه عدد من جنده.

٣٣– زبن بن جديع، أمير لواء هجرة الدليمية، على ثلة من جندها.

٣٤- سعيد الذكري، أمير لواء هجرة مسكة، ومعه بعض جنده.

٣٥- محمد بن معدل، أمير لواء هجرة البدع، ومعه بعض جنده.

٣٦- تركي الضيط، أمير لواء هجرة نفي، وبعض جنده.

٣٧- هندي الذويبي، أمير لواء هجرة الشبيكية، وجمع من جنده.

٣٨- عجب بن حفيظ، أمير لواء شريفة، وفريق من جنده[١].

وحضر في معية جلالته من آل عساف حسين وولده سليمان وعساف الحسين آل منصور[٢].

واتبع الملك عبد العزيز - يرحمه الله - في هذه الرحلة أسلوب الأناة، فكان يطوي البيد في سير وئيد يستطلع أخبار الحجاز وما تحمله له رسله من مفاجآت، ومن بين أهم ما كان يتطلع إلى معرفته موقف الدول الأجنبية بعد دخول الإخوان إلى مكة، ونزوح الملك علي إلى جدة، وقد اطمأن على هذا الجانب حين علم أن معتمدي الدول بجدة، وفي مقدمتهم المعتمد البريطاني، قد أبلغوا قائديه ابن لؤي وابن بجاد في مكة بالتزام حكوماتهم الحياد في الحرب القائمة.

وقبل وصول موكب الرحلة إلى ميقات الإحرام للقادمين من نجد "قرن المنازل" أو ما يسمى اليوم بالسيل الكبير، استدعى الملك عبد العزيز - يرحمه الله - عبد العزيز بن إبراهيم وأمره بعدم الإحرام، وكلفه بمهمة إمارة الطائف[٣].

---

(١) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج١ - ٢، ص٣٢٦ - ٣٢٨.

(٢) يوسف يس، الرحلة الملكية، طبعة وزارة المعارف، ص٢٤.

(٣) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

الطائف قبل عهد الملك عبد العزيز:

تقع مدينة الطائف جنوب شرقي مكة المكرمة على بعد (٧٥) كم منها، وهي إحدى المدن الحجازية المهمة، وإن كان البكري، في معجمه (معجم ما استعجم)، قد اعتبرها من المدن الحجازية (النجدية)، إذ أنها تقع على السفوح الشرقية لجبال السراة، التي هي الحد الفاصل بين نجد والحجاز، ويكتسب الطائف أهميته من ثلاث ميزات هي: اعتدال مناخه، وخصوبة أرضه، وتوسط موقعه. ولهذا كانت هذه المدينة من أقدم أقطار الجزيرة العربية عمرانًا، فهي تجذب الناس إليها للسكنى والاستقرار[١]، وقد سكن الطائف من الأمم البائدة بنو مهلائيل ابن قينان قبل الطوفان، وجاء بعدهم بنو عبد بن ضخم من عاد الأولى، ثم ثمود قبل سكناهم الحجر، وتلك أمم لا يعرف عنها إلا ما أورده بعض الشعراء القدامى أمثال ذي الأصبع العدواني الذي قال:

كلا الحَيَّيْن قد هلكا سفاهًا كما هلك ابن مهليل بـ "وَجّ"
عدا بالخيل من "جلدان" رهوًا يجوب الأرض فجّا بعد فجّ[٢]

(وج وجلدان من أودية الطائف المعروفة).

أما بعد انتشار القبائل العدنانية، فقد سكنت الطائف قبائل ثقيف، وهي قبائل يمنية، عرفت في العهد الجاهلي بالنشاط في مختلف أوجه العمران، من تجارة وزراعة وصناعة. ولما جاء الإسلام انقادت ثقيف، وأبلت بلاءً حسنًا،

(١) مناحي القثامي، الموجز في تاريخ الطائف قديمًا وحديثًا، ص٩.
(٢) مجلة العرب، المجلد الثاني، ص١.

وبرز منهم رجال كانت لهم مواقف حميدة. "وعرف من أهل الطائف رجال امتازوا بالدهاء والحكمة، قال الأصمعي: دهاة العرب أربعة معاوية، وعمرو بن العاص، والسائب بن الأقرع، والمغيرة بن شعبة، وكلهم ولدوا في الطائف"(١).

وبقي للطائف منزلة عالية في نفوس الخلفاء، فكان الخليفة يولّيها رجلاً من عنده، ولا يجعل ولايتها إلى صاحب مكة، أما في العصر الأموي فإن الوالي على مكة من قبل الخليفة هو الوالي على الطائف(٢).

وكان الطائف منذ القدم مصيفًا من أجمل المصايف، مما دفع الأغنياء وذوي الجاه والسلطان القديم إلى التملك فيه، وكان لزبيدة زوج هارون الرشيد حائطان عظيمان فيه وفق رواية الهمداني، ويصف الشاعر الثميري زينب أخت الحجاج بالنعمة والرفاهية فيقول:

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف

وفي عهد الدولة العثمانية احتفظت الطائف بأهميتها، وكان الأشراف يتولون شؤونها كبقية المدن الحجازية.

وعندما بدأت الدعوة السلفية تسطع بأنوارها على نواحي الجزيرة، في عهد الدولة السعودية الأولى، كانت الطائف تابعة لشريف مكة، وقد حدثت مجابهات بين زعماء الدولة السعودية الأولى والأشراف فيما يتعلق بالحجاز، وخصوصًا حينما انضمت بعض العشائر الحجازية إلى الدعوة،

(١) مجلة العرب، المجلد الثاني، ص١.

(٢) محمد سعيد كمال: الطائف، مجلة العرب، المجلد الرابع، ص٢١.

ويذكر ابن بشر في حوادث سنة ١٢١٣هـ، أن الشريف غالب صاحب مكة اضطر لمصالحة عبد العزيز بن محمد بن سعود، إلا أن ذلك الصلح انتقض عام ١٢١٧هـ، مما حدا بوزير الشريف غالب، عثمان بن عبد الرحمن المضايفي، أن يترك الشريف وينابذه ويبايع الإمام عبد العزيز على دين الله ورسوله والسمع والطاعة[1]، ثم عاد من الدرعية إلى بلدته "العبيلاء" (القرية المعروفة بين تربة والطائف)، واجتمع عليه مؤيدون من أهل الحجاز وغيرهم، ووقع القتال بينه وبين الشريف غالب؛ فاستنجد المضايفي بجيرانه من حضر وبادية، وكانت المواجهة الحربية في الطائف، حيث هزم الشريف، وغادر إلى مكة، وأصبحت الطائف تابعة للدولة السعودية، وظلت كذلك حتى أتى الأتراك إلى الحجاز في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز، حيث أخرجوا المضايفي من الطائف، ثم تمكن الشريف غالب من قتله عام ١٢٨٨هـ.

ومرت الأيام، وقيض للطائف أن تعود سعودية كما كانت، حين فتحها جنود الملك عبد العزيز - كما مر بنا - لتبدأ مرحلة جديدة من الاستقرار والنمو والازدهار للطائف وأهله.

عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على الطائف:

كان تعيين الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على الطائف في يوم ٢٨ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ، بعد فترة قصيرة من دخول خالد بن لؤي

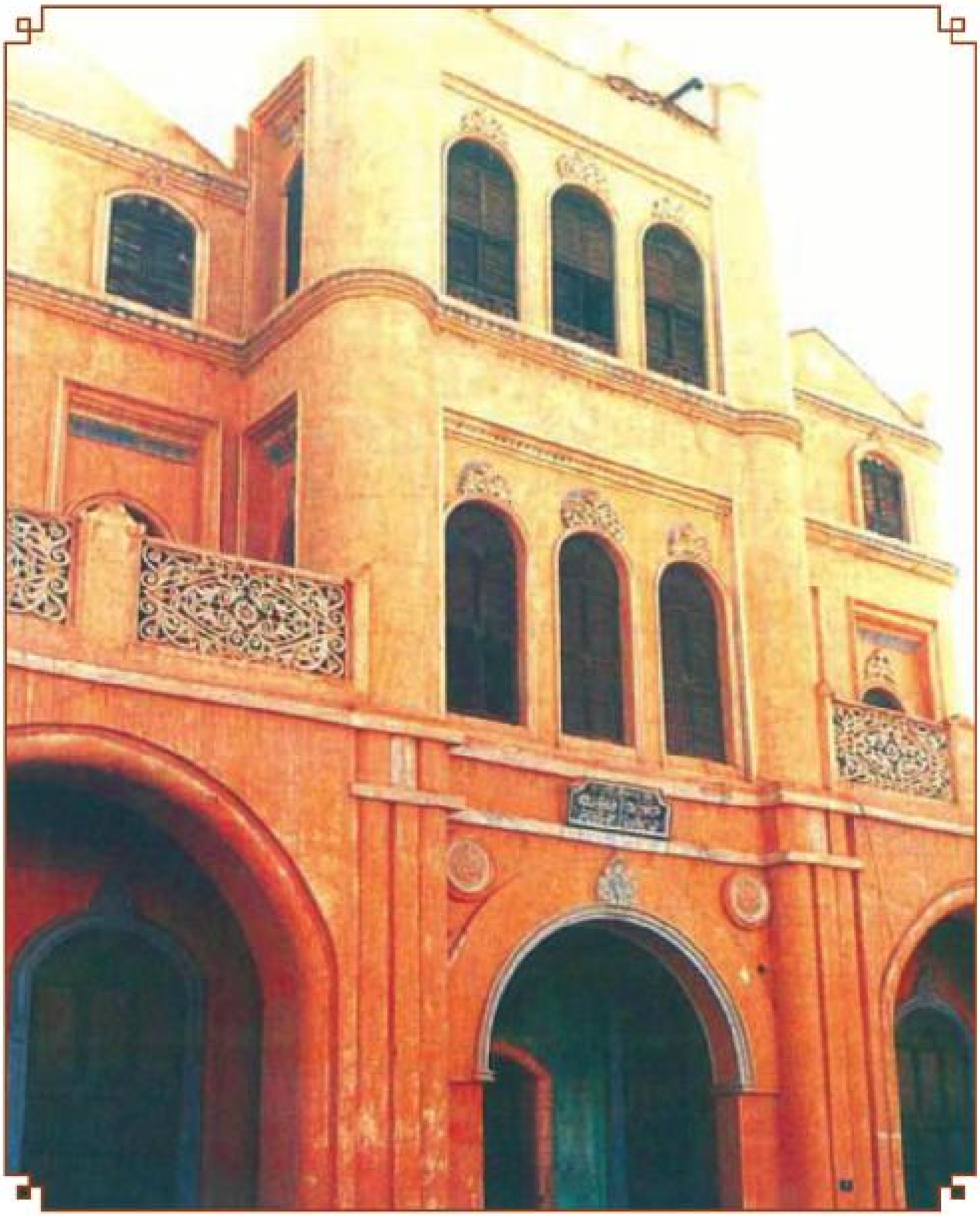
(١) عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، ص٢٥٩.

وسلطان بن بجاد هذه المدينة، وضمها إلى الدولة السعودية في عهدها الجديد، وهذا يعني أن ابن إبراهيم كان أول أمير للطائف في عهد الدولة السعودية الثالثة(١).

وصل أمير الطائف الجديد ابن إبراهيم وأهل الطائف ما يزالون يعيشون الترقب والخوف من الوضع الجديد، خصوصًا وأنه قد ألّم بهم ما آلمهم أثناء معارك فتح الطائف من قبل بعض قبائل البادية، الذين انضموا إلى جيش ابن سعود، لا لشيء إلا للسرقة والعبث والتسلط، وهو الأمر الذي أثار غضب ابن سعود، ودفعه إلى ضرورة اتخاذ الإجراء المناسب لتأمين الناس في الطائف وما حولها على أنفسهم وأهليهم وممتلكاتهم، وبهذا يتضح أن المهمة الأولى للأمير عبد العزيز بن إبراهيم، وهو يبدأ فترة إمارته في الطائف، تتركز حول الأمن وإرساء دعائم الاستقرار وإحلال النظام محل الفوضى. والحقيقة أن مهمة كهذه لابد وأن تكون من الصعوبة بمكان، ذلك أن الناس هنا، شأنهم شأن بقية سكان الجزيرة العربية، قد اعتادوا حياة لا استقرار فيها، ولا أمان، فتولدت لديهم الطباع والأساليب التي تتولد عند أي إنسان تدفعه غريزة البقاء إلى التكيف مع الظروف المحيطة. ومعروف أن تغيير الطباع والعادات لدى الناس مسألة تتطلب من المسؤول جهدًا مضاعفًا، يستخدم فيه كل ما أوتي من أساليب الحكمة والتبصر في الأمور.

وكانت مسؤوليات ابن إبراهيم، وهو يتسلم إمارة الطائف، تشمل

(١) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ.



سكن آل إبراهيم في الطائف والمعروف ببيت الكعكي

جميع القبائل المحيطة بالطائف حتى بلاد زهران وغامد جنوبًا، وكان عليه أن يتعامل مع مشايخ هذه القبائل، الذين يختلف كل منهم عن الآخر، في طريقة التفكير وكيفية معالجة المشكلات وإدارة الأمور داخل القبيلة. كان على ابن إبراهيم أيضًا أن يتثبت من موالاة هذه القبائل للحكومة الجديدة، وأن يوضح للجميع الهدف الأسمى للدولة السعودية، وهو رفع كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وما تتضمنه من معانٍ سامية تدعو إلى نبذ البدع والخرافات، وسد ذرائع الشرك وأبوابه، وملء النفوس بالإيمان الذي يعصمها من الوقوع في سقطات الجريمة والعبث.

ولم تكن أمام ابن إبراهيم مهمة إنهاء إمارة أو حكومة، كما كان عليه الحال حينما تولى - يرحمه الله - إمارة عسير، فقبائل الطائف كانت كلها تتبع الأشراف في علاقة واهية غير واضحة، وقد ذهب الأشراف الآن، فلا مكان لغير الراية السعودية.

هكذا كانت طبيعة مهمة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في الطائف، وهي في واقع الأمر تتناسب مع تجاربه وخبراته السابقة، إضافة إلى ما جمع من صفات الشدة والحزم ولطف المعشر والكرم، يوجهها دهاء وحكمة وبعد نظر.

ولهذا فإن الملك عبد العزيز - يرحمه الله - لم يجد صعوبة في اختيار أول أمير له على الطائف، وهو يرى ابن إبراهيم في معيته في الطريق إلى مكة، فقد خبر عنه كل المقومات التي يتطلبها النجاح في تحقيق أهداف الدولة السعودية، في منطقة تعيش الفوضى وفقدان الأمان، تلك المنطقة

التي يصفها أحد أبناء مشايخ إحدى القبائل التابعة للطائف آنذاك بقوله[1]: "كانت القرية تحارب القرية والقبيلة تحارب القبيلة، واستمر هذا الحال حتى جاء العهد السعودي، فاستتب الأمن ومشى الناس في أمان والحمد لله"[2].

استهل الأمير عبد العزيز بن إبراهيم فترة إمارته في الطائف بالعمل على ثلاثة محاور:

١- توطيد الأمن في الطائف والطرق المؤدية إليها وفي كل القبائل التابعة لها.

٢- قيادة الحملات العسكرية وإرسال المندوبين لإخضاع القبائل المجاورة للحكومة السعودية.

٣- تبصير الناس بأمور دينهم وإزالة كل ما ينافي العقيدة الإسلامية الصحيحة.

توطيد الأمن ومكافحة الجريمة:

فعلى صعيد الأمن ومكافحة المجرمين، وخاصة اللصوص وقطاع الطرق، اتبع - يرحمه الله - سياسة الحزم والشدة، لأنه لا سبيل لإنهاء مثل هذه الممارسات المشينة إلا باتخاذ موقف واضح ومحدد، يفهمه الجميع ويرونه مطبقًا أمامهم، فكان ذلك الموقف هو الأخذ على يد المجرم، أنَّى

(١) الشيخ عبد الله بن عبد المجيد بن رقوش، شيخ قبائل زهران وكان جده راشد بن جمعان بن رقوش (١٣١٢ - ١٤٠٩هـ) شيخ زهران كافة في السراة وتهامة حينما كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على الطائف.

(٢) عبد الرحمن السبيت وآخرون، رجال وذكريات مع عبد العزيز، ج٢، ص٢٠٥.

وجد، في حزم وقوة وحسم، وفي حدود ما رسمته شريعة الله الغراء وسنة نبيه الكريم محمد عليه أفضل الصلوات والتسليم.

وقد تجسد موقف ابن إبراهيم الحازم مع العابثين بالأمن في حوادث يومية كان يباشرها في مقر إمارته بمدينة الطائف ويتعامل معها بأسلوب فريد يكشف به شخصيات مرتكبي الجرائم، ويتعرف عليهم ويسجل اعترافاتهم، يساعده في ذلك ما يملكه من ذكاء فطري وإلهام وتوفيق، كما أشار إلى ذلك الشيخ على الطنطاوي في برنامجه التلفزيوني "نور وهداية"(١)، وقد أدى أسلوب الكشف عن الجريمة الذي اتبعه الأمير ابن إبراهيم إلى أن تولدت له – يرحمه الله – هيبة في قلوب المجرمين، وأدى هذا بالتالي إلى توقف ممارسات الإجرام والقضاء على مرتكبيها، ويصف أحد مؤرخي الطائف(٢)، ذلك بقوله: إن ابن إبراهيم "تعقب أصحاب الجرائم وقطاع الطرق وقضى عليهم، حتى أصبح الإنسان يرى الضالة في الطريق فلا يقربها، وإنما يبلغ عن مكان وجودها فيذهب لها رجال الإمارة"(٣).

ولعل من المناسب التطرق باختصار إلى بعض الحوادث والشواهد التي تدل على أسلوب الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في تعامله مع الخارجين على الأمن ومنها:

---

(١) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ.

(٢) هو الشيخ محمد سعيد كمال.

(٣) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ.

حادثة اختطاف الحجاج الهنود:

علم ابن إبراهيم أن البدو اختطفوا اثنين من حجاج الهند وقتلوهما، وأخذوا أمتعتهما، فأمر بإحضار كبراء القبيلة التي حصل على حدودها الحادث، وعند حضورهم أعطاهم مهلة ثلاثة أيام لإحضار ما سرق من الحجاج، والإرشاد عن جثتي القتيلين الهنديين، وأقسم لهم ليبيدن القبيلة بأسرها إذا انقضى الأجل المضروب دون تنفيذ ما طلبه منهم. وما هي إلا أيام قبل انقضاء الميعاد حتى أحضر رجال القبيلة المسروقات، وأرشدوا إلى جثتي القتيلين اللتين وجدوهما مطمورتين في كهف أحد الجبال. وعقب استكمال إجراءات التعرف على القتيلين أرشده رؤساء القبيلة إلى الجناة، وكانا اثنين اعترفا بجريمتهما وأقر اعترافهما شرعًا، ثم أمر بتنفيذ حد القصاص عملاً بتوجيه الله تعالى في كتابه العزيز، و لم تستغرق هذه القضية أكثر من أسبوع واحد منذ أن تم إبلاغ الإمارة بها، ويذكر أن الملك عبد العزيز – يرحمه الله – كتب إلى ابن إبراهيم عندما سمع بالحادثة يشكره وينوّه بحكمته في كشف الحقائق، وتطبيقه العدل والإنصاف في الأحكام، كما يتمنى – يرحمه الله– أن يرى كثيرًا من رجاله وعماله في البلاد ممن يملكون هذه الصفات[1].

(١) عبد العزيز بن محمد الأحيدب: ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص٦٥ – ٦٦.



نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة الملك المعظم سيدي عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل سلمه الله من النار ومن كيد الفجار السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك روحنا ضيفت سيدي مع دخيل الجويزي وتعدى لعشيرة ما صار فيه بركة ينصا السيل تقدم لكم برقيات وخط ذكرنا لكم أن عابد الفقيه من كبار بني عفيف جانا يذكر بني عفيف معاهدينه أن يواجهون البيرق وأن يوحدون عايش وجونا بني ثابت أهل الجايزة ابن ثواب وعطية السمري وصالح بن سالم يبون أمان بقي ابن حماد اللي تغدوا في بيته ولا ثار في وجهه وأيضا جانا خط من ابن تويم يذكر ولد ابن فاضل جاينا يمن وحال التاريخ ما وصل وزهران وغامد الحضر نزلوا عرده والمكي على قفاهم والرعايا اللي عندنا والمه نستنا الدبرة هذا لزم بيانه بلغ السلام الاخوان والأولاد ودمت محروس والسلام.

٩ ربيع الأول ١٣٤٥هـ **خادمك عبد العزيز بن إبراهيم**

رسالة من الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم لجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن مؤسس المملكة العربية السعودية مؤرخة عام ١٣٤٥ هـ خلال توليه إمارة الطائف يشرح فيها بعض الحوادث المتعلقة بالمنطقة وجهود التوحيد وإزالة الفتن

باعة السم:

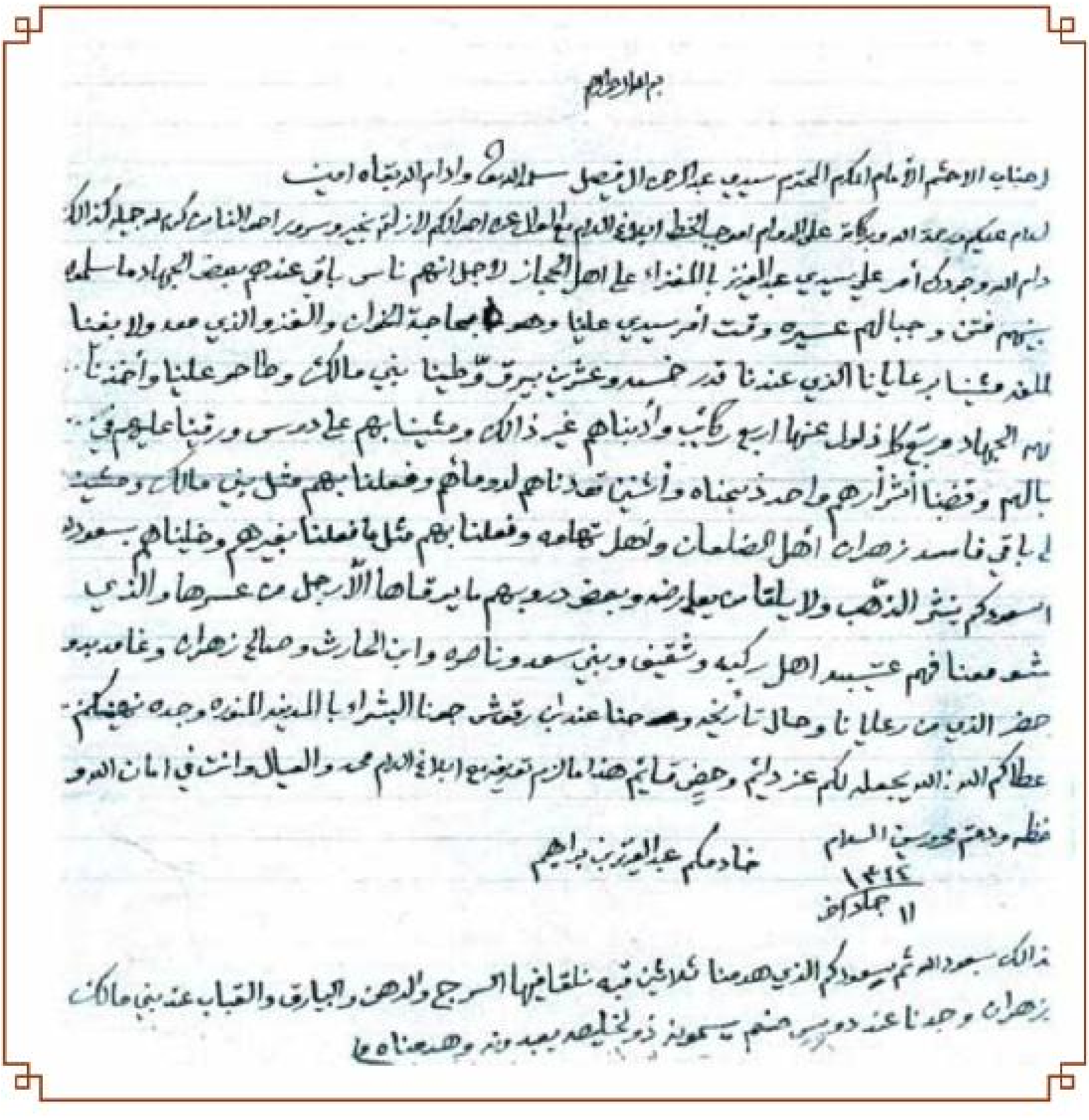
اعتاد (الجمالة) الذين كانوا ينقلون البضائع والمنتجات الزراعية على التجمع والمبيت في مكان أعدوه لراحتهم وتهيئة طعامهم، وحدث ذات يوم أن مات أحد هؤلاء نتيجة وضع السم في أكله.

وبدأ التحقيق في الأمر، واحتار المحققون في الوصول إلى واضع السم، وبلغ الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أمر حيرة المحققين، فأرسل من يحضر باعة السميات في سويقة (السوق الرئيس بالطائف آنذاك)، ولما حضروا سألهم الأمير إن كان أحد في مدة وفاة الرجل قد اشترى منهم سمًّا، فأوضح أحدهم بأن رجلاً قد اشترى منه سمًّا في تلك الفترة وذكره باسمه، وكان أحد أولئك الجمالة، وحينما جيء به إلى الأمير اعترف المجرم بجرمه الذي ارتكبه، لمنع المقتول من أن يتزوج فتاة يتطلع هو إلى الزواج منها[1].

إخضاع القبائل المجاورة للحكومة السعودية:

وفيما يتعلق بجهود الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في إخضاع قبائل الطائف للحكومة السعودية (المحور الثاني) قام – يرحمه الله – بإرسال الرسل والمندوبين إلى مشائخ القبائل، يطلب منهم دفع أموال الزكاة للحكومة، أسوة بالقبائل السعودية الأخرى. ولم يكتف ابن إبراهيم بانتظار أخبار رسله ومندوبيه، بل قاد بنفسه حملات موجهة لبعض القبائل كبني مالك وقبائل زهران للقضاء على الفتن، وللتحقق من ولاء تلك القبائل لحكومة ابن سعود.

(١) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ.



بسم الله الرحمن الرحيم

لجناب الأفخم الإمام الأكرم المحترم سيدي عبدالرحمن آل فيصل سلمه الله تعالى وأدام الله بقاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام أما بعد فالخط ابدية الدعاء مع الاطلاع عن احوالكم لا زلتم بخير وسرور احوالنا ما يسركم بحمد الله جملة لكن الله

دام الله وجودك أمر علي سيدي عبدالعزيز بالغزاة على أهل الحجاز لأجل أنهم ناس باقٍ عندهم بعض الجهاد ما سلمه

بينهم فتن وجبالهم عسيرة ووقت أمر سيدي علينا وهم بمحاجبة الخوان والغزو الذي معه ولا بغنا

للغزو مشينا برعايانا الذي عندنا قدر خمسة وعشرين بيرق ووطينا بني مالك وطاحوا علينا وأخذنا

لأهل الجهاد من تبع كلا ذلول عنها أربع ركايب وادبناهم غير ذلك ومشينا بهم على درس وردفنا عليهم في

بالهم وقضينا أشرارهم واحد ذبحناه واثنين تحدناهم لروماهم وفعلنا بهم مثل بني مالك وكذلك

الباقي فاسد زهران أهل الضلعان وأهل تهامه وفعلنا بهم مثل ما فعلنا بغيرهم وخليناهم بسعود

سعودكم بنثر الذهب ولا يلقاه ما يعلم ضده وبعض جموعهم ما يبقاها الأرجل من عشرها والذي

شع معنا فهم عتيبة أهل ركبه وشقيف وبني سعد وناصره وابن الحارث وصالح زهران وغامد بعد

حض الذي من رعايانا وحال تاريخه وصحنا عند ابن رقعش جانا البشراء بالمدينة المنورة وجده نهنيكم

عطاكم الله الله يجعله لكم عز دائم وحض قائم هذا ما لزم تعرفونه وأبلغوا السلام محمد والعيال والعائلة في أمان الله و

حفظه ودمتم محروسين والسلام

خادمكم عبدالعزيز بن براهيم

١٣٤٢

١١ جماد آخر

ذلك بسعود الله ثم بسعودكم الذي هدمنا ثلاثين قبة ثلاث منها السرج والدهن والبارق والقباب عند بني مالك

زهران وجدنا عند دوس صنم يسمونه ذو الخلصة يعبدونه وهدمناه ع

رسالة للإمام عبدالرحمن الفيصل من الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم حينما كان أميراً على الطائف توضح غزواته في مناطق الحجاز (بني مالك – زهران – بني سعد – بالحارث – غامد) وتشير إلى هدم الصنم المشار اليه في نص الكتاب الذي كان يسمى «ذو الخلصة»

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب الأحشم الإمام المكرم المحترم سيدي عبد الرحمن آل فيصل سلمه الله لنا وأدام بقاءه آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام موجب الخط إبلاغ السلام مع السؤال عن أحوالكم لازلتم بخير وسرور أحوالنا من كرم الله جميلة كذلك أدام الله وجودك أمر علي سيدي عبد العزيز بالغزاء على أهل الحجاز لأجل أنهم ناس باقي عندهم بعض الجهاد ما سلموه بينهم فتن وجبالهم عسيرة وقت أمر سيدي علينا وهو بحاجة الاخوان والغزو الذي معه مشينا برعايانا الذي عندنا قدر خمس وعشرين بيرق وطينا بني مالك وطاحوا علينا وأخذنا منهم الجهاد مربع كل ذلول عنها عن أربع ركايب وأدبناهم غير ذلك ومشينا بهم على دوس ورقينا عليهم في بالهم وقبضنا أشرارهم واحد ذبحناه واثنين قدناهم لدمائهم وفعلنا بهم مثل بني مالك ومشينا إلى باقي فاسد زهران أهل الضلعان وأهل تهامة وفعلنا بهم مثل ما فعلنا بغيرهم وخليناهم بسعود الله ثم سعودكم ينثر الذهب ولا يلقا من يعارضه وبعض دروبهم ما يرقاها إلا رجل من عسرها والذي مشوا معنا فهم عتيبة أهل ركبة وثقيف وبني سعد وناصرة وابن الحارث وصالح زهران وغامد بدو وحضر الذي من رعايانا وحال تاريخه حنا عند ابن رقوش جونا البشراء بالمدينة المنورة وجدة نهنيكم عطاكم الله: الله يجعله لكم عز دايم وحظ قايم هذا ما لزم تعريفه مع إبلاغ السلام محمد والعيال وأنت في أمان الله وحفظه ودمتم محروسين السلام.

١١ جمادي آخر ١٣٤٤هـ خادمكم عبد العزيز بن إبراهيم

كذلك بسعود الله ثم سعودكم الذي هدمنا ثلاثين قبة نلقا فيها السرج والدهن والبيارق والقباب عند بني مالك وزهران وجدنا عند دوس صنم يسمونه ذو الخلصة يعبدونه وهدمناه.


بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل سلمه الله من النار ومن كيد الفجار

خادمك
عبدالعزيز بن ابراهيم

٢٣ ربيع اول ١٣٤٥

رسالة للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل مؤسس المملكة من الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم حينما كان أميراً على الطائف يشرح تنفيذه لتوجيهات الملك ومنها توزيع المؤون على أهل الخرمه وتربه وبالحارث

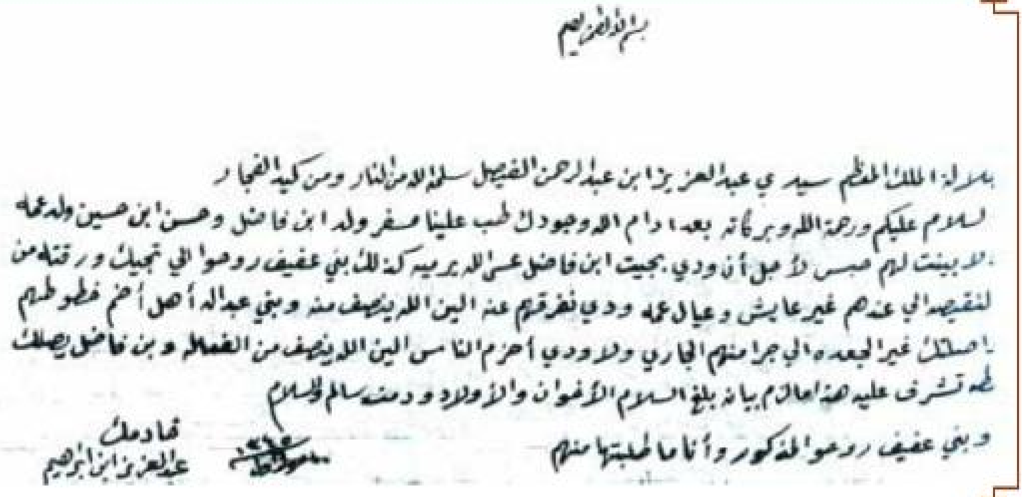
مؤرخة عام ١٣٤٥هـ

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل سلمه الله من النار ومن كيد الفجار السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الخط المكرم وصل وسلمنا لخالد ثلاث أميه والتالي فرقنا على جميع اللي حضر أهل الخرمة وأهل تربة ورعايا بالحارث ورعايانا ما أعطينا منهم أحد أمرناهم يأخذون زهاب شهر وغيره والاخوان كل ثمانية كيس رز وثلاثين كيلة مكة طحين وأربعة أقات سكر وثلاثة أقات قهوة وكيس قهوة وكيس سكر وتنكتين دهن أربع أقات بهار وأقتين شاهي وزود طحين واللازم قمنا به والشيخ وعياله كثر اللي جاه والأمر اللي غيره لازمهم دهن وبهار زود سكر ورز وشاهي وجميع كبير زودناه دون منهم نصف اللي جاهم وعشر بنادق سلمناها أيد رجاجيلي والرحلة أخذنا لهم ثلاثين واللي نلقا غيرها نأخذ واللي تطمع به رز وشاهي لا يصير لهم عذر فإن الله سد الأمور من دونه فلا نتعرض ترى اللي أخذنا من ابن عقل دفعتين منكم ستين كيس رز وأخذنا زود عشرة أكياس سكر وعشرة أكياس قهوة ندور اللي يستر منهم ونبي زود جنبخان يقعد في الطائف تحت الطلب هذا ما تم بيانه بلغ السلام للأولاد والاخوان والأخوياء يسلمون وحنا خلينا علي آل عايد في مكاني ودم سالم.

٢٣ ربيع الأول ١٣٤٥هـ خادمكم عبد العزيز بن إبراهيم



نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة الملك المعظم سيدنا عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل سلمه الله من النار ومن كيد الفجار السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد أدام الله وجودك طب علينا مسفر ولد ابن فاضل وحسن بن حسين ولد عمه ولا بينت لهم حبس لأجل أن ودي بجيت ابن فاضل عسى الله يرميه كذلك بني عفيف روحوا اللي تجيك ورقته من النقيصة اللي عندهم غير عايش وعيال عمه ودي نفرقهم عنه إلين الله ينصف منه وبني عبد الله أهل أضم خطوطهم واصلتلك غير الجعدة اللي جرى منهم الجاري ولا ودي أحزم الناس إلين الله ينصف من الضالة وابن فاضل يصلك خطه تشرف عليه هذا ما لزم بيانه بلغ السلام الاخـوان والأولاد ودمت سالم والسلام وبني عفيف روحوا المذكور وأنا ما طلبتها منهم.

ربيع الأول ١٣٤٥هـ | **خادمكم عبد العزيز بن إبراهيم**

رسالة موجهة لجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن مؤسس وموحد المملكة العربية السعودية من الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم حينما كان أميراً على الطائف تتحدث عما سمي فتنة بن فاضل في ذلك الوقت وما اتخذه من إجراءات لمعالجة الوضع مؤرخة عام ١٣٤٥هـ



نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب الإمام المكرم سيدي عبد الرحمن آل فيصل سلمه الله من النار ومن غضب الجبار وأسكنه الفردوس مع الأبرار آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد السلام نخبركم أنا وصلنا الطائف بالسلامة معنا أهل الشد ربطاء، بن مطير الجعيد ومهوس كبير العصمان اللي بناء على بلاده الجميع في الحبس بسعود الله ثم سعودكم والرعايا لله الحمد ساكنه والأسعار رخيصة والأمطار في محل دون حمل هذا ما لزم بيانه بلغ السلام للأولاد والمشايخ ومن عندنا خادمكم سعد وإبراهيم يسلمون ودمتم محروسين والسلام.

٤ جماد أول ١٣٤٥هـ

خادمكم عبد العزيز بن إبراهيم

رسالة موجهة للإمام عبدالرحمن الفيصل من الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم تخبره بوصوله الطائف وعن أحوال الإمارة وفيها بعض الأخبار عن أحوال المنطقة حيث يشير إلى الأسعار والأمطار وغيرها والرسالة مؤرخة في ٤ جماد الأول عام ١٣٤٥هـ

وإضافة إلى الحملات التي قادها الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى بلاد بني مالك وزهران، وإرساله الرسل والمندوبين وعمال الزكاة إلى القبائل التابعة للطائف، أنشأ - يرحمه الله - علاقة عمل رسمية واضحة بينه، بصفته الأمير الرسمي للطائف وقبائلها، وبين مشايخ القبائل الذين يعدون المسؤولين المباشرين لكل ما يحدث داخل حدود قبائلهم، وحرص - يرحمه الله - وهو ينشئ تلك العلاقة على الإبقاء على مكانة المشايخ لدى قبائلهم، إلا أنه، ومن موقع مسؤوليته، عمل في الوقت ذاته على إشعار الناس بأن السلطة النهائية لم تعد بيد شيخ القبيلة وأن أمور الحل والعقد باتت - في ظل دولة ابن سعود الفتية - بيد السلطان، وفي هذا الإطار كانت لابن إبراهيم مراسلات مع مشائخ القبائل، تدور حول القواعد النظامية والجوانب الإجرائية لحل ما يطرأ من مشكلات وقضايا فردية كانت أو جماعية.

ويُعَد الشيخ جمعان بن رقوش شيخ قبائل زهران في تهامة والسراة، من أبرز المشايخ الذين كانت تربطهم بأمير الطائف مراسلات مستمرة ومشاورات دائمة حول مختلف الأمور في قبائل زهران (نماذج من رسائل الأمير عبد العزيز ابن إبراهيم إلى الشيخ جمعان بن رقوش في الصفحات القادمة).

نشر الوعي الديني السليم:

أما جهود الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في نشر الوعي الديني في القبائل التابعة لإمارته فكانت واضحة ومستمرة. فقد كان من مهماته، كما أشرنا سابقًا، بصفته أمير الطائف تبصير الناس بأمور دينهم، وتقوية عقيدة التوحيد

الصحيحة في نفوسهم (المحور الثالث)، ولعل العمل الذي يبرز في هذا السياق هدمه - يرحمه الله - لذي الخلصة الشهير بقبيلة دوس بزهران، إضافة إلى ما قام به في منطقة زهران من إخماد للفتن وردع الخارجين على الدولة، ولأهمية ما قام به في هذا الجانب فقد خصصت الصفحات المتبقية من هذا الفصل لرحلة أمير الطائف إلى بلاد زهران، وما قام به من جهود في تثبيت دعائم الدولة وإزالة أسباب الفرقة، والقضاء على ذريعة خطيرة من ذرائع الشرك.

ذو الخلصة:

أورد الشيخ حمد الجاسر في كتابه "في سراة غامد وزهران، نصوص، مشاهدات، انطباعات" الذي طبع سنة ١٣٩١هـ، أن الخلصة وادٍ في بلاد دوس يقع غرب ظهر غُدَا - وتقع قرية رمس على جانبه الشرقي، وهو في فرعه دوس، وسيله ينزل إلى وادي الشعراء في تهامة من أعالي وادي عليب، وعلى ضفته الغربية تقع أكمة مطلة على تهامة، كان صنم ذي الخلصة مبنيًا فوقها، وقد ورد اسم هذا الموضوع في خبر أم شريك الدوسية[1].

أما علي بن صالح السلوك الزهراني مؤلف كتاب "المعجم الجغرافي للبلاد العربية" (بلاد غامد وزهران)، فقد أورد في كتابه أن ذا الخلصة، بفتح الخاء واللام والصاد بعدها هاء تأنيث، والخلص نبت يتعلق بالشجر له حب كعنب الثعلب، وهو موجود بكثرة وخصوصًا في المرتفعات.

(١) حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص١٥٨.

والخلصة وادٍ في بلاد دوس بسراة زهران أسفل وادي ثروق من جهته الشمالية، ويقال: إن معبدًا كان بالقرب من هذا الوادي يسمى "ذا الخلصة" أزال بقايا بنائه الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، عندما وصل إلى بلاد زهران عام ١٣٤٣هـ، منتدبًا من الملك الراحل عبد العزيز آل سعود – يرحمه الله –[١].

ويرى الشيخ حمد الجاسر أن اسم ذي الخلصة يطلق على أصنام متعددة، أشهرها ذو الخلصة الذي أحرقه جرير بن عبد الله البجلي، وكان في تبالة في بلاد خثعم، أما ذو الخلصة الموجود في بلاد دوس، فقد هدم حينما هدمت أصنام دوس بعد إسلامهم، وقبل إحراق جرير لذي الخلصة الذي في تبالة[٢].

وقد أورد الشيخ حمد الجاسر تفصيلاً لقصة ذي الخلصة نوردها هنا كما جاءت في كتابه في "سراة غامد وزهران":

"عن مروان بن قيس الدوسي[٣]، قال ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، الكهانة، وما كان من خبرها عند مخرجه، فقلت يا رسول الله صلى الله عليك: عندنا من ذلك شيء، فقد كانت عندنا جارية حسّانة

(١) علي صالح السلوك، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد غامد وزهران)، ص٩٣.

(٢) حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص٣٣٩ – ٣٤٠.

(٣) أورد الشيخ حمد الجاسر اسمه مروان – وقد ورد في كتب أخرى مرداس، ومن الكتب التي أوردت اسم مرداس كتاب (الإصابة لابن حجر)، وكتاب (أسد الغابة لابن الأثير). وقد سألت الشيخ حمد الجاسر عن صحة الاسم فأفادني بأنه نقل الاسم من مخطوطة أمالي ابن دريد "النسخة المغربية" وفيها (مروان) ولكنه أفاد بأنه لا يستبعد أن يكون تصحيفًا وأن الاسم (مرداس) إذ إن المخطوطة ليست مصححة بوساطة عالم مختص، وقد ورد الاسم في كثير من كتب التاريخ (مرداس) ولا يستبعد أن يكون هو الصواب.

ظرافة يقال لها الخلصة، و لم نعلم عليها إلا خيرًا، وإذا هي قد جاءتنا في مجلس لنا، فقالت: يا معشر دوس[1]، هل علمتم علي إلا خيرًا؟

---

(١) دوس قبيلة من قبائل زهران – ويكاد اسمها يطغى على أسماء قبائل الأزد، وأرجع الشيخ الجاسر في كتابه "في سراة غامد وزهران" ذلك إلى أمور عدة، منها أن دوسًا كانوا يسكنون قمة السراة في بلاد منيعة حصينة، أو كما قال المتقدمون في وصف بلادهم (حصن في رأس جبل، لا يؤتى إلا من مثل الشرك) فاكتسبت بذلك قوة وتماسكًا وبقاء، بخلاف إخوتهم فقد نزلوا في سفوح جبال، وعلى ضفاف أودية متصلة بها يجاورها اتصالاً سهلاً، ومنها أن دوسًا انتشرت خارج بلادها، فانتقل منها أناس إلى الإطراف الشرقية من الجزيرة، عمان والحيرة، فأسسوا هناك إمارتين اشتهرتا منذ العهد الجاهلي، فأضفت شهرتهما على دوس ما ارتفع به ذكرها، ومن عادة القبائل العربية أن اسم الفرع الصغير من القبيلة إذا عرف واشتهر انتسبت إليه الفروع الأخرى كما هو معروف الآن، ومنها أن دوسًا سارع بعض رجالها في قبول الدعوة الإسلامية، فنالوا مكانة سامية في صدر الإسلام مما زاد في رفع منزلة القبيلة، كما عرف من رجالها من برز في جانب من جوانب المعرفة كالصحابي الجليل أبي هريرة (رضي الله عنه) الذي يعد من أكثر الصحابة – إن لم يكن أكثرهم – حفظًا للحديث النبوي، وكالخليل بن أحمد أول من وضع معجمًا للغة العربية، وكمسدد بن مسرهد أول من صنف مسندًا للحديث في مدينة البصرة، وابن دريد العالم اللغوي الأديب وغيرهم.

يضاف إلى ذلك ما عرف من إخلاص كثير من رجال دوس وصدقهم في تلقي الدعوة الإسلامية، كما سيمر بك في تراجم بعض الصحابة منهم، وما امتاز به هؤلاء من شجاعة وإقدام في الفتوحات الإسلامية الأولى، ونكتفي بالإشارة إلى موقفهم في وقفة اليرموك بين المسلمين وبين الروم ثلاث عشرة للهجرة كما وصفه أحد مؤرخي الأزد، قال: (وثبتت الأزد، وقاتلت قتالاً شديدًا لم يقاتل مثله أحد من تلك القبائل، وقتل منهم مقتلة لم يقتل مثلها "من" قبيلة أخرى.

وأقبل يومئذ عمرو بن الطفيل ذي النور وهو يقول: يا معشر الأزد لا يؤتين المسلمون من قبلكم، وأخذ يضرب بسيفه متقدمًا عليهم وهو يقول:

قــد علــمــت دوســـــ وشـَـــكْــر تعلم أني إذا الأبــيــضُـــ يــومًــا مُــظــلــمْ

وغـــــرْدَ الــنــكـــــ وقـــر الأبْــهَــم أني غُــفْــر في الـــوقـــاع ضــيْــغَــمُ

وقاتل قتالاً شديداً وقتل من أشدائهم تسعة، ثم قتل – يرحمه الله – وقاتل جندب بن عمرو بن حممة ورفع رايته (وقال):

يا معشر الأزد إنه لا يبقى منكم ولا ينجو من الاثم والعار إلا من قاتل، ألا إن المقتول شهيد، والخائب من هرب اليوم، ثم أخذ يقول:

– يا معشر الأزد إحتذاذ الأفيال

– هيْهاتَ هيهاتَ وقوف للحالْ

– لا يمنعُ الراية إلا الأبطالْ

وقاتل قتالاً شديداً حتى قتل – يرحمه الله –.

ونادى أبو هريرة: يا مَبْرُور!! يا مَبْرُور!! فأطافت به الأزد فقال: تزينوا للحور العين، وأرغبوا في جوار ربكم في جنات النعيم، فما أنتم إلى ربكم في موطن من مواطن الخير أحب إليه منكم في هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم.

قال: وأطافت به الأزد، ثم اضطربوا هم والروم، فوالذي لا إله إلا هو لرأينا الروم وإنها لتدور بهم الأرض =

قلنا: لا والله! قالت: بينا أنا في غنمي اليوم إذ غشيتني ظلمة، وقد وجدت لحس الرحل مع المرأة، وقد حسبت أني أكون قد حملت، فاستمرت حاملاً فولدت غلامًا، أغضف، له أذنان كأذني كلب، فمكث حتى إذا كان غلامًا فبينا هو يلعب مع الصبيان، إذ ألقى إزاره، ووثب وصاح: يا ويليه، يا ويل غنم وويل فهم، من قابس النار أتى الدهم. بقتل همدان وقتل نهم، يا ويليه، يا ويليه، الأجلاب نزلوا والله بالمعشبة المحطاب، الخيل والله وراء القنة، نقيبة كالجنة، يا ويليه! فركبنا واستلأمنا. وقلنا: ويلك ما ترى؟ فقال: هل من جارية طامث لم يلعب معها صبي؟ قلنا: وكيف لنا بها؟ فقال شيخ من الحي: عندي والله عفيفة، عفيفة الأم، رأيت أنها نبذت في فراشها البارحة. فقال: عجلها! فأتت الجارية، فطلعت الخيل، فقال: اطرحي ثوبك واعدي في وجوههم، واسعوا إثرها، يا أحمر أني حابس عليك أول فارس، قال: فطعن أول رجل منا يقال له أحمر أول عادية القوم فصرعهم، وغنمناهم، قال فبنينا عليه بيتًا وسميناه ذا الخلصة، فكان لا يقول شيئًا إلا وجدناه كما يقول، حتى قال لنا يومًا: يا معشر دوس نزلت بنو الحارث بن كعب والجيش عفاس (؟) فاركبوا فاستلأمنا وركبنا فقال: اجعلوا الخيل وراء الجبل، وسيروا كأسراب الحجل، وألقوا القوم غدية، واشربوا الخمر عشية. فلقيناهم فهزمونا وفضحونا. فقلنا: ويلك مالك؟ وما صنعت بنا؟ واغتفرناها له، فمكثنا ما

= - وهم في مجال واحد كما تدور الرّحاء فما برحوا ولا زالوا، وركبهم من الروم أمثال الجبال، فما رأينا موطنًا قط أكثر قحفًا ساقطًا، أو معصمًا نادرًا أو كفا طائحة، من ذلك الموطن، وقد - والله - أوحلناهم شرًا وأوحلونا، فنحن في مثل ذلك وكان جل القتال في الميمنة، وإن القلب ليلقون مثل ما نلقى، ولكن حمة القوم وحدهم وحردهم وحنقهم علينا، وكنا في آخر الميمنة، فقد لقينا من قتالهم ما لم يلق مثله أحد، فوالله إنا لكذلك نقاتلهم، وقد دخل عسكرنا منهم عن عشرين من ورائنا، فعصمنا الله من أن نزول.

شاء الله فإذا هو يقول: يا معشر دوس هل لكم في غزوة تهب لكم عزًا؟ فقلنا: ما أحوجنا إليها، فقال: اركبوا، فركبنا. قال ائتوا بني الحارث، أو مسلية، فاجعلوها بيه، ثم قال عليكم بفهم، كلا ليس لكم فيها دم، عليكم بنصر وجُشم، رهط دريد بن الصمة، كلا قليل الحنث وفي الذمة، عليكم بكعب بن ربيعة، فإنهم أهل فجيعة، فلتكن بهم الوقيعة، قال: فخرجنا فلقيناهم فهزمونا وفضحونا، قلنا: ويلك ماذا تصنع بنا؟ فقال: ما أدري أكذبني الذي صدقني، امكثوا عني ثلاثًا ثم ائتوني، فلما مضت الثلاث خرج إلينا فقال: يا معشر دوس حُرست السماء، وحل القضاء، وخرج خاتم الأنبياء، قلنا: أين؟ قال: مكة بكة، أنا ميت لثلاث، فادفنوني في رأس جعوٍ(؟) – اسم موضع – فإني سوف أضطرم نارًا فلا أكونن عليكم عارًا فقولوا عند ذلك: باسم اللهم رب النار، وارموني بثلاثة أحجار ففعلنا ذلك فطفئت النار، ورجع إلينا الحاج، فأخبرونا بمخرجك يا رسول الله"[1].

أما الأستاذ رشدي صالح ملحس، محقق "أخبار مكة" للأزرقي، فقد جاء فيما كتبه أن ذا الخلصة الصنم المعروف، والذي كان يدعى "الكعبة اليمانية"، كان بهذا المكان في دوس، واعتمد على عدة مصادر منها "معجم البلدان" و"لسان العرب"، وإذا أخذنا في الحسبان أهمية ثروق في القديم استطعنا الإثبات أن ذا الخلصة في بلاد دوس، لأن وادي الخلصة المار الذكر يقع في وادي ثروق الذي كانت به ثروق البلدة[2].

---

(١) حمد الجاسر، في سراة غامد وزهران، ص٣٣٩ – ٣٤٠.

(٢) علي صالح السلوك، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ص٩٢.

وقد أورد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الزهراني[1] في رسالة إلى مؤلف هذا الكتاب أن ذا الخلصة وردت فيه روايات متعددة ومتباينة منها روايات تقول: إنه كان بأسفل مكة، ورواية تقول: ببلاد فارس، ورواية تذكر أنه كان بعسفان بين مكة والمدينة، وروايات تذكر أنه كان بتبالة في بلاد خثعم، ورواية تقول: إنه كان لدوس بزهران، والروايات باختصار كما يلي:

١- قال ابن الكلبي في كتاب "الأصنام": كان ذو الخلصة مروة بيضاء، منقوش عليها كهيئة التاج، وكانت بتبالة بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة، وكان سدنتها من باهلة ابن أعصر، وكانت تقطنها قبائل خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن أقاربهم من بطون العرب.

٢- قال ياقوت الحموي في "معجم البلدان": هو بيت من ديار دوس وهو اسم صنم وكان ذو الخلصة يسمى بالكعبة اليمانية... وقال الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب": ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة. وقال ابن منظور مثل قول الهمداني، إلا أنه قال: والخلص شجر طيب الريح، ونقل عن أبي حنيفة قال أخبرني أعرابي أن الخلص نبات يتعلق بالشجر وهو طيب الرائحة.

وقال الأستاذ رشدي صالح ملحس في تحقيق "أخبار مكة": إنه لما اضطرب الأمن في جزيرة العرب في العصور الأخيرة وساد الفقر والجهل

---

(١) من أهالي بلدة المندق بزهران، مؤلف كتاب "معجم رواة الحديث الأماجد من علماء زهران وغامد"، ويقع في عشرة مجلدات تزيد صفحاتها على أربعة آلاف صفحة وما زال مخطوطًا، وهو من المهتمين بعلوم التاريخ والتراجم.

انقلب أغلب قبائل العرب إلى عوائد الجاهلية وسادت البدع ونسي العلم واستحكمت الخرافة، عاد الناس إلى التمسح بالأحجار والأشجار، وكانت دوس ومن يجاورها من القبائل عادوا إلى ذي الخلصة للتمسح به وطلب البركة منه، ولما استولى الملك عبد العزيز - يرحمه الله - على الحجاز عام ١٣٤٣هـ، عين الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم أميرًا على الطائف، وانتدبه لقيادة حملة على قبائل زهران وما جاورها، وخرجت تلك الحملة في شهر ربيع الثاني عام ١٣٤٤هـ، وكان موقع الصنم المذكور في دسكرة ثروق، فوجدوا آثار بنيان ذي الخلصة لا تزال قائمة فهدموا ما تبقى منه إلى الوادي، فمحي رسمها وانقطع أثرها.

والموقع على قمة جبل عالٍ يشرف على تهامة، ونقل الأستاذ رشدي أن الذين رافقوا حملة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم قالوا: إن بنيان ذي الخلصة كان بنيانًا ضخمًا بحيث لا يقوى على زحزحة الحجر الواحد أقل من أربعين شخصًا، وهذا دليل على قوة ومهارة من بناه، وقال: إن أحد شيوخ قبائل زهران قال لهم: إن بنيان الخلصة كان قائمًا لما استولى الإمام سعود الكبير على عسير في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فهدم قسمًا منه وبقيت جدرانه قائمة إلى عام ١٣٤٤هـ.

وقد أورد الدكتور إبراهيم محمد الزيد في بحثه عن الأمير عبد العزيز ابن إبراهيم آل إبراهيم، أنه عندما بدأ الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم حملته على قبائل الطائف، وقبيلة زهران تابعة إداريًا للطائف في ذلك الوقت، ووصل إلى قبيلة دوس الزهرانية، استبقى مشايخ القبائل لديه

في مقر إقامته ولم يسمح لأحد بالمغادرة لأنه علم أن القبيلة سوف تقاوم هدم "ذي الخلصة"، وأمر قواته فتسلقت الجبل وواجهت بعض المقاومة، لكنها استطاعت الوصول إلى موقع الصنم، فهدموه وأبعدت الصخور عبر منحدرات الجبال إلى تهامة، وبقيت صخرة كبيرة لم يستطع أحد زحزحتها، فاكتفى الجنود برمايتها بالبنادق حتى تكسرت وأحرقت شجرة "العبلاء" التي بجوار الصنم فعفى رسم هذا الصنم وانقطع أثره(١).

وقد قام كاتب هذه السطور بزيارة إلى قبيلة دوس بزهران، واجتمع بعدد من أعيانها، ومن كبار السن، من الذين عاصروا زيارة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم للمنطقة في عام ١٣٤٤هـ، أو عاصروا من عاصروه عن قرب، ومنهم الشيخ عيسى بن مسفر بن عبد الله الزهراني، الذي سكن الأمير في منزل والده الشيخ مسفر بن عبد الله الزهراني، والشيخ عبد ربه بن فرحة بن علي الزهراني، وغيرهما من الأشخاص الموثوق بهم في علمهم ومعلوماتهم، وقد أجمعوا على أن زيارة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم للمنطقة كانت بتكليف من الملك عبد العزيز آل سعود - يرحمه الله - حيث بلغه ما كان سائدًا في المنطقة من فتن وقلاقل وإخلال بالأمن، فانتدبه للقيام بمهمة تثبيت دعائم الأمن والاستقرار في المنطقة، حيث كان عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على الطائف، وكانت قبائل غامد وزهران تابعة لإمارة الطائف، ولما يعرفه الملك عبد العزيز من حزم وعزم

(١) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

ابن إبراهيم. وقد وصل الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إلى بني مالك، حيث قابله فيها مشايخ وأعيان قبائل زهران الذين رافقوه في طريقه إلى بلادهم، وحين وصوله إلى بلاد دوس، التي سبقت الإشارة إليها، أقام فيها فترة من الزمن، قيل: إنها كانت حوالي ثلاثة أشهر، عمل خلالها على تثبيت الأمن في ربوع المنطقة ومعاقبة المجرمين والمفسدين والمخلين بالأمن، وقد ألقى القبض على أشهر مخلين بالأمن وأقام عليهما الحد الشرعي بقتلهما تعزيزًا، وكان هذا الإجراء رادعًا قويًا لجميع المخلين بالأمن، واستطاع خلال فترة وجيزة أن يثبت دعائم الأمن والاستقرار في ربوع المنطقة، كما قام بهدم بقايا صنم ذي الخلصة، ورمى بقايا أحجاره في تهامة وأزال كل أثر له كما سبق ذكره. وروى لنا الشيخ عبد ربه أنه بعد إزالة بقايا ذي الخلصة أقيمت عرضة بحضور الأمير وقد أنشدهم فيها هذين البيتين من الشعر، واللذين يوضحان حرصه على عدم العودة للفتن والقلاقل وإلا فسيكون العقاب شديدًا:

الفتنة لا تعود في القرن والرمس[1]
فاحك عود عود وأولع القبس[2]

وأفراد قبيلة دوس من المشهود لهم بالشجاعة والإقدام، كما أن جيشه كان قليل العدد والعدة، لذلك فقد وضع خطة ذكية لإيهام الأهالي بكثرة قواته، فقام بتوزيع جنوده في أماكن متفرقة من الموقع وطلب منهم انتظار

(١) القرن والرمس، أسماء لموقعين بمنطقة دوس بزهران.

(٢) يشير إلى أنه سيقوم باستئصال شأفة من يقوم بإشعال الفتن أو يعمل على عودتها.

إشارته فإذا أطلق الرصاصة الأولى تبدأ الفرق في الإطلاق واحدة تلو الأخرى، على أن يكون الإطلاق في الهواء، وقد نفذت الخطة كما وضعها الأمير، وحينما سمع الأهالي كثرة أصوات البنادق وتعدد أماكنها، وكان الوقت ظلامًا، حيث نفذت الخطة بعد صلاة الفجر، ظنوا أن هناك جيوشًا كبيرة تهاجمهم، فاتجه معظمهم إلى تهامة، حيث إن معظم أهالي دوس لهم أملاك في السراة وفي تهامة، أو ما يسمونه (الأصدار)، وتقدم الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بعد ذلك مع جنوده وبعض الأهالي نحو الموقع، وقاموا برمي بقايا الأحجار الموجودة في المكان من أعلى الجبال إلى تهامة حتى لم يبق أي أثر في الموقع، وقد زرت الموقع فلم أجد أي أثر فيه، وقد أجمع كل من التقيت بهم من الأهالي وأعيان ومشايخ القبائل أن زيارة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم للمنطقة في ذلك الوقت كان لها أثر كبير في استتباب الأمن في ربوع المنطقة والقضاء على الفتن والقلاقل، كما أثنوا على حزمه وعزمه وحرصه على حقوق المواطنين، ومعاقبة كل من تسول له نفسه إيذاءهم أو الاعتداء على حقوقهم، وكان يسأل الناس عن مشكلاتهم ويعمل على حلها، كما كان يتقصى عن المجرمين والمخلين بالأمن ويعاقبهم عقابًا شديدًا، حتى ساد الأمن والاستقرار ربوع المنطقة وتحقق له ما قاله في بيت الشعر بأن لا تعود الفتن إلى تلك الأماكن.

نهاية فترة إمارة عبد العزيز بن إبراهيم للطائف:

مكث الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على الطائف أكثر من ثلاث سنوات، كانت حافلة بالعمل والجهد، فلم يكن نشر الأمن في منطقة مثل الطائف بالأمر الهيّن، إذ كان الناس غير آمنين في حلهم وترحالهم، يعانون من طيش اللصوص والقتلة، الذين كثروا في الطائف وما حولها، في ظل غياب السلطة القوية القادرة على كبح جماح العابثين بالأمن والمستهترين.

ولقد كان على ابن إبراهيم، وهو يتولى الإمارة في بيئة مثل الطائف، أن يتبع أسلوب الشدة والحزم مع أخذ زمام المبادرة في كل الحوادث، والوقوف على كل ما يجري في المناطق التابعة لإمارته أولاً فأولاً، ولقد نتج عن أسلوبه هذا انحسار موجة الخوف وشعور الناس بالطمأنينة بعد القلق، وبالراحة بعد التعب، ولم ينس ابن إبراهيم العقيدة ومبادئها، لعلمه أن نشر الأفكار الدينية السليمة هو السبيل إلى تعميق إيمان الناس وبالتالي أمانهم.

ولا غرو فإن أسلوب ابن إبراهيم الإداري الحازم، ومباشرته حل المشكلات، وعدم قبوله التسويف والتأجيل، لم يكن على الدوام يلقى القبول لدى بعض مشايخ وأعيان القبائل، الذين تعودوا أسلوبًا إداريًا متناقضًا وضعيفاً قبل مجيء حكم ابن سعود، وحيث إن ابن إبراهيم قد حقق الأهداف التي كان يرمي إليها السلطان من وراء تعيينه أميرًا على الطائف، والتي أشرنا

إليها سابقًا في سياق الحديث عن المحاور الثلاثة لأعماله - يرحمه الله - في الطائف، فقد رأى السلطان عبد العزيز نقل الأمير عبد العزيز بن إبراهيم من إمارة الطائف إلى المدينة المنورة، وهو نقل تكريم وتشريف، فما من ثرى أكرم من ثرى طيبة الطيبة بعد مكة المكرمة، ناهيك عن الأهمية القصوى لإمارة المدينة المنورة، للخصوصية التي تمتاز بها مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

وبعد انتهاء إمارته على الطائف عين الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على المدينة المنورة في العاشر من ربيع الثاني عام ١٣٤٦هـ[1].

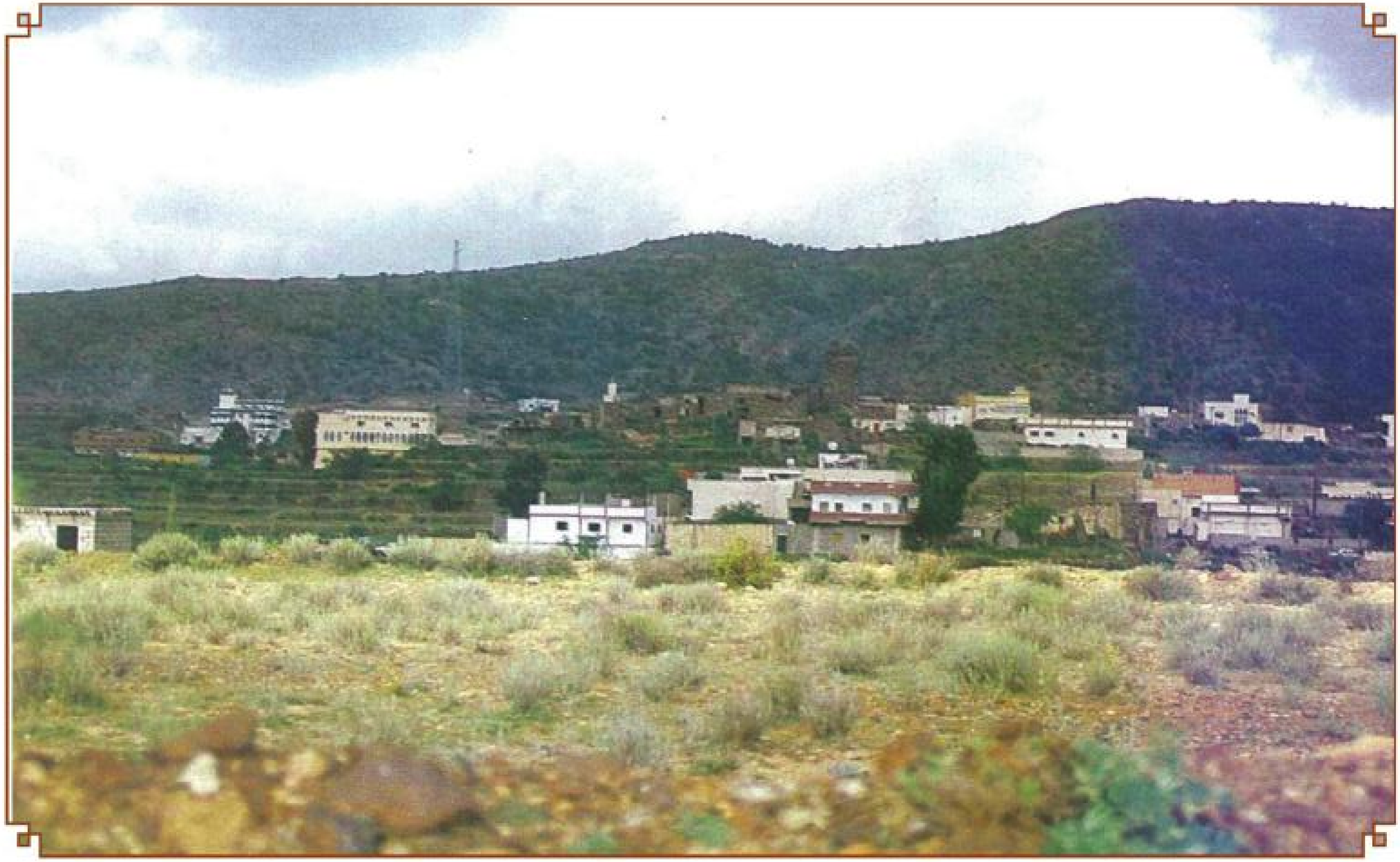
(١) حافظ وهبة، خمسون عامًا في جزيرة العرب، ص٢٧١.





جوانب متعددة من موقع منطقة ذي الخلصة حيث أصبحت مزارع ومراعي

للأغنام و لم يعد بها أي أثر للصنم القديم



القرية التي نزل فيها الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم في منطقة دوس بزهران



البيت الذي نزل فيه الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم في منطقة دوس بزهران





صورتان لمنحدرات تهامة التي قام الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم برمي صخور ذي الخلصة فيها

الفصل السادس

عبد العزيز بن إبراهيم
أميرًا على المدينة المنورة
وعضوًا في مجلس الوكلاء

محتويات الفصل السادس

عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على المدينة المنورة وعضوًا في مجلس الوكلاء

- المدينة المنورة تحت الحصار.
- أول أمير سعودي على المدينة المنورة.
- المدينة المنورة في التاريخ.
- أمراء المدينة المنورة.
- ابن إبراهيم أميرًا على المدينة المنورة.
- مرسوم التعيين... ومنهاج جديد للعمل.
- المدينة المنورة في عهد ابن إبراهيم.
- ابن إبراهيم وملحمة التوحيد
- أول مشروع عمراني بالمدينة المنورة.
- إنجازات في أكثر من مجال.
- الملك عبد العزيز يزور المدينة المنورة.
- حياة ابن إبراهيم في المدينة المنورة.
- استقالة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم.
- عبد العزيز بن إبراهيم عضوًا في مجلس الوكلاء.
- وفاة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم.

الفصل السادس

عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على المدينة المنورة وعضوًا في مجلس الوكلاء

المدينة المنورة تحت الحصار:

بينما كانت الخطة التي رسمها الملك عبد العزيز، لإرساء دعائم الأمن وتثبيت سلطة الدولة في الطائف والمناطق التابعة لها، تسير في خطها المرسوم، من خلال الأسلوب الأمني والإداري الناجح الذي انتهجه الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، أول أمير سعودي للطائف في عهد الدولة السعودية الثالثة، كان الملك عبد العزيز مشغولاً جدًا باتخاذ التدابير لاستكمال توحيد الأجزاء المتبقية من الحجاز، وقد أخذ يلقن قبائلها المتمردة بعض الدروس القاسية، لإقناع عقولهم المتشككة بأن السلام الذي يدعو إليه لا يمكن مقارنته بحالة الفوضى التي كانت سائدة أيام حكم الأشراف. وكان هنالك مشكلتا المدينة المنورة وجدة البارزتان اللتان يتوجب عليه معالجتهما: مشكلتان تتطلبان مزيجًا من الحكمة والحزم مع القوة[1].

لقد أطلق مؤتمر الرياض ١٣٤٢هـ يد السلطان عبد العزيز في اتخاذ ما يراه ملائمًا من التدابير لصيانة حقوق نجد، ودفع أذى خصومها وأعدائها،

(١) سنت جون فيلبي، تاريخ نجد، ص٤٥١.

وفتح طريق مكة أمام أبنائها لأداء فريضة الحج، التي حال الشريف الحسين دون أدائهم لها، وكانت الخطة التي رسمها الملك عبد العزيز للمرحلة الجديدة تقوم على الاستعانة بالقوة لحل المشكلات المعلقة، وصيانة حقوق نجد، وتمزيق شبكة الدسائس التي تحاك حولها[1].

و لم يضيع السلطان عبد العزيز وقتًا؛ فعكف بعد دخوله مكة محرمًا، إثر استسلامها في ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٤٣هـ، على العناية بشؤون سكانها، وبإقامة نظام حكم لإدارتها، في الوقت الذي أخذ يعد فيه العدة للزحف إلى جدة. وعلى الفور بدأت قوات الإخوان تتجه صوب جدة، منذ أوائل شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٤٣هـ، أي بعد ثلاثة أسابيع فقط من وصول الملك إلى مكة، فاستولت على حداء والشميسي وعلى المناطق المجاورة، ووصلت طلائعها إلى أسوار جدة صباح ٩ منه، وكانت التعليمات التي لديها تقضي بالاكتفاء بتطويقها برًا، وبعد أن أتمت هذه المهمة، واستولت على النزلة اليمانية ونزلة بني مالك والرويس، حفرت الخنادق وحصنتها وراحت ترمي خط الدفاع الهاشمي بالمدافع ورصاص البنادق[2].

وفي هذه الأثناء كان الملك علي بن الحسين ومستشاروه يبنون سياجًا من الأسلاك الشائكة الضعيفة حول المدينة، وقد عززوها بحقول الألغام المشكوك في جدواها التي وزعوها على أبعاد متفاوتة[3].

---

(١) أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج٢، ص١٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٥.

(٣) سنت جون فيلبي، تاريخ نجد، ص٤٥١.

وشعر الملك علي بالخطر يكتنفه في معقله الأخير "جدة"، وحيال هذه الحالة الدقيقة تألّف وفد من عشرة وجهاء من جدة حيث غادروها في الثاني من ربيع الآخر سنة ١٣٤٣هـ، إلى مكة لمفاوضة القائدين السعوديين ابن بجاد وابن لؤي في شروط الصلح، وعلم الملك علي بذلك فلم يعترض، وعاد الوفد من مكة حاملاً شروط الصلح، وتتلخص في "خلع الملك علي وإخراجه من البلاد أو إصراره على الخروج من جدة للحرب"[١].

و لم يقنع الملك علي بهذين الشرطين ورفضهما، وغير رأيه في الطريقة التي كان يسلكها مع سلطان نجد، فكتب إلى عظمته يقول: إنه مستعد للحرب... وإنه يمكن إخراج جنود نجد من مكة إذا رفضت حكومة نجد الصلح نهائيًا. وأرسل سلطان نجد جوابه المعلوم الصريح قائلاً: "إن الحسين مسؤول عن الحالة، ويجب إخلاء الحجاز من أولاد الحسين وانتظار حكم العالم الإسلامي الذي له الحق في الفصل في أمر الأماكن المقدسة وطريقة إدارتها"[٢].

خلال الصيف بدأت الاستعدادات من أجل استئناف العمليات القتالية في الخريف، وعندما قَدِمَ الأمير فيصل بن عبد العزيز من نجد على رأس جيش كبير مجهز تجهيزًا جيدًا، اتجه قسم منه إلى المدينة المنورة بقيادة شاب آخر من أبناء السلطان هو الأمير محمد بن عبد العزيز، وقد أصبح الوضع في كلتا المدينتين بائسًا لا أمل فيه، فالطعام والماء لم يكونا كافيين لطوائف

(١) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج٢، ص٣٢٠.

(٢) المرجع السابق: ج٢، ص٣٢١.

ازداد عددها إلى حد كبير بالعديد من اللاجئين الذين جاؤوا من المناطق المجاورة، وفي كلتا الحالتين منع ابن سعود بشدة القيام بأي هجوم على المراكز الدفاعية الضعيفة[1].

وأمام الحصار القوي الذي فرضته القوات السعودية على مدينة جدة، لم يكن أمام علي بن الحسين إلا التفكير في الاستسلام، فقد استمر في المقاومة لمدة عام وأكثر بذل خلاله كل ما يستطيع، وأنفق كل ما كان يملك ويدخر، بما في ذلك حلي زوجه ومجوهراتها، فجاء مساء يوم الثلاثاء ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ، إلى دار المعتمد البريطاني في جدة يطلب منه بذل الوساطة لدى السلطان للتسليم، فأبرق هذا إلى حكومته يستأذنها في أداء هذه المهمة، مهمة الوساطة، فردت بالموافقة[2]، لتنتهي المفاوضات التي دارت بين السلطان عبد العزيز والملك علي بن الحسين بوساطة المعتمد البريطاني إلى استسلام جدة في ٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ، ولتُطوَى باستسلامها، بعد استسلام المدينة المنورة التي سبقتها، صفحة من التاريخ، ولتبدأ صفحة جديدة من التاريخ السعودي الحديث.

أما بالنسبة للأوضاع في المدينة المنورة، فلم يكن حرص السلطان عبد العزيز على دخولها بسلام أقل من حرصه على ما يصنع في جدة. أرسل إليها من يدعوها إلى التسليم، وامتنعت حاميتها[3]، وكان الجيش السعودي الذي يطوّق المدينة المنورة بقيادة فيصل الدويش شيخ مطير، أحد كبار

(١) سنت جون فيلبي، تاريخ نجد، ص٤٥١ - ٤٥٣.

(٢) أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص١٧٧.

(٣) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج١ - ٢، ص٣٤٦.

الإخوان المتحمسين، الذي ما زال في أعماق نفسه لا يدرك كنه تصرفات ابن سعود في سياسته العليا، فإن الحصار الطويل الأمد، والانتظار الممل، وكذلك معاملة ابن سعود للحجازيين لما يناقض آراء الدويش، فلم يكن غريبًا أن يخرق الأوامر الصادرة إليه، فيهاجم قرية "العوالي"، على مقربة من المدينة، وينهبها ويقتل الرجال من سكانها، وكان ينوي إنهاء القضية بسرعة رغم إرادة ابن سعود، مما أدى إلى حدوث سوء تفاهم بين الاثنين، فلما رفض الدويش الرضوخ للأوامر عزله ابن سعود من القيادة، فانسحب مع قسم من جماعته الذين ظلوا على ولائهم له إلى هجر "الأرطاوية"، وقد امتلأ قلبه بالحقد والغضب الشديدين(١).

كان حصار السلطان عبد العزيز للمدينة المنورة حصارًا تكتيكيًا، وهو أسلوب تكرر من قبل في حائل، وفي جدة، حتى أصبح استراتيجية عامة ينتهجها القائد، وهي استراتيجية تعكس رغبته في إنهاء الوضع بسلام ودون إراقة قطرة دم واحدة. فقد أمر ابن سعود جنده الذين يحاصرون المدينة المنورة تحت قيادة صالح بن عذل ووكيله إبراهيم النشمي ألا يدخلوا المدينة المنورة ولو فتحت أبوابها إلا بعد استئذان القيادة السعودية العليا، فبقيت محاصرة من قبل الجيش السعودي، ثم أمر ابن عذل أن يجعل الحناكية مركزه، فانتقل إليها مع الجنود البدو، ولبث النشمي مع جنوده الحضر ليؤكد لأهل المدينة طيب نيته وسلامة مقصده، إلا أن قلم الدعاية في حكومة جدة – التي لم تكن قد سقطت بعد – طيّر إلى العالم الإسلامي

(١) داكوبرت فون ميكوش، عبد العزيز، ص٢٠١ – ٢٠٢.

أن المدينة المنورة – بلد خير الأنام ومنزل الوحي والقرآن والهدى ومثوى جثمان النبي وكثير من صحبه الكرام– أمست في خطر محدق من الوهابيين المتوحشين الذين يستهدفون بمدافعهم بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجده الشريف والقبة الخضراء وجيران الرسول الكريم.

وأذاعت هذا الخبر وكالة رويتر للأنباء في العالم، ونقلت عنها الصحف الفرنسية، وتبعتها بعض الصحف العالمية، كما أن جريدة المقطم نشرت برقية من قائد الحامية بالمدينة المنورة يستغيث فيها بالعالم الإسلامي، زاعمًا أن بلد الرسول الكريم مستهدف للخطر الجسيم، وأن الوهابيين أخذوا يطلقون عليه وعلى القبة الخضراء رصاصهم بلا انقطاع، ولم يبالوا حرمة المدينة ولا قداستها، ولا من بها عليه الصلاة والسلام(1).

ويسهب أحمد عبد الغفور عطار(2)،في وصف حالة القلق التي شعر بها المسلمون نتيجة لانتشار هذه الأخبار، التي وجدت من يروّجها في مصر والشام والعراق والهند وإفريقية وفي كل بلاد الإسلام، فانتشرت بينهم، وكان لرويتر في ذلك فضل كبير، وضج الزعماء لهذا العمل الشنيع، ولم يطق الملك فؤاد السكوت عندما سمع بهذا الحادث الجلل الذي لا يستطيع أن يصبر عليه مسلم "عادي" فكيف بمسلم كبير بل بملك، فأبرق إلى ابن سعود في ١١ صفر سنة ١٣٤٤هـ (٣ أغسطس ١٩٢٥م) هذه البرقية:

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الثاني، ص٨٦٣، ٨٦٤.

(٢) المرجع السابق، ص٨٦٤، ٨٦٥.

"عظمة السلطان عبد العزيز سلطان نجد:

إن الحرب القائمة حول المدينة المنورة قد أقلقت خواطر المسلمين قاطبة لما عساه يحدث عن تأثيرها في الأماكن النبوية المقدسة التي نجلها جميعًا، ونحافظ على آثارها الكريمة، ولا يخفى على عظمتكم ما لهذه الأماكن من الحرمة التي توجب أن تكون بعيدة عن كل أذى رغم ما يقتضيه أي نزاع أو خلاف، ولكن ما نعتقده في شديد غيرتكم الدينية لمما يطمئن قلوبنا والمسلمين على صيانة الحرم النبوي الشريف وآثار السلف الصالح في المدينة المنورة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

وتسلم الملك فؤاد في ١٣ صفر سنة ١٣٤٤هـ، برقية من الملك علي ابن الحسين دارت حول الموضوع نفسه، ورددت الأخبار نفسها التي أشاعتها وكالة رويتر للأنباء، فقلق الملك فؤاد قلقًا عظيمًا من أن تكون هذه المشاعر الدينية المقدسة هدفًا لهؤلاء (الغزاة)، وانتظر جواب برقيته إلى سلطان نجد بفارغ الصبر، فتلقاه في ١٦ صفر ١٣٤٤هـ، وكان نصه كالتالي:

"حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم الملك فؤاد دامت معاليه.

إني أشكركم من صميم فؤادي على غيرتكم الدينية، وإني أقدر ما شرحتموه في برقيتكم حق قدره، إن حرم المدينة كحرم مكة نفديه بأرواحنا وكل ما نملك، وأن ديننا يحمينا عن الإتيان بأي حدث في المدينة المنورة، وسنحافظ على آثار السلف الصالح وكل ما هو في المدينة مما يهم كل مسلم المحافظة عليه.

العدو يحاول أن يشوه وجهة جهادنا بما يفتريه من الكذب والبهتان، ويحاول أن ينال بالبهتان ما عجز فيه بالسنان، ولكن الحق أبلج، والله مؤيد دينه، وآخذ بنصرة أهله ولو كره المبطلون.

هذا وأرجو أن تقبلوا تحياتي واحتراماتي"[1].

واستمر حصار الجيش السعودي للمدينة المنورة، لكن الحامية العسكرية الهاشمية كانت تصر على عدم التسليم، رغم الحال السيئة التي أصبح عليها سكان المدينة، ومع ذلك فقد كانت أوامر السلطان تقضي بعدم مهاجمة المدينة والاكتفاء بحصارها عن بعد، لكن هذا الحصار لم يكن شاملاً، مما أطال أمد الحرب، ووجد السلطان أن ترك المدينة بدون تدبير مرتب يطيل الأمر، فبعث قوة تجاه المدينة تمنع وصول الأرزاق لحاميتها، وأرسل لأهلها أن يخرجوا من البلدة، وأمَّنهم على أرواحهم وأموالهم، واستقبلهم أحسن استقبال وسد عوزهم، وحمل قسمًا منهم إلى مكة وأكرم مثوى الباقين[2].

ولم يكن ممكنًا أن يصبر الأهالي داخل المدينة أكثر مما صبروا، كما لم يكن معقولاً أن تظل الحامية الهاشمية تتمسك بعنادها وإصرارها على عدم التسليم وهي تفتقد أبسط مقومات البقاء، بعد أن بدأ حصار السلطان عبد العزيز يؤتي ثماره، فانقطع وصول الأرزاق، وبدأ أفراد الحامية يشعرون لأول مرة أنهم يحاربون وحدهم، فأبرقت قيادة الحامية إلى القيادة العامة الهاشمية بجدة وإلى الملك علي نفسه في الخامس من شهر جمادى الأولى

---

(١) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص١٧٤ - ١٧٥.

(٢) عبد الله العلي الزامل، أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود، ص١٧٩.

تقول: "الذي يهمنا الأرزاق للجند، وعدتمونا بإرسال الدراهم المتيسرة بالطيارة، وإلى الآن لم نر أثرًا لها. دبروا وأرسلوا لنا دراهم ولو ببيع إحدى البواخر فتروا منا ما يسركم".

وأرسلت قيادة الحامية برقية أخرى إلى الملك علي بجدة في ١٣ من الشهر نفسه كان نصها كالتالي: "انقضى الأمر" ولم يبق في اليد حيلة، الجنود ما عندهم أرزاق إلا لثلاثة أيام، إذا لم تصل الطيارة عند الظهر سنفاوض العدو".

وتلقت قيادة الحامية جوابًا من جدة يقول: "يستحيل إرسال الطيارة قبل عشرة أيام لعدم وجود البنزين"(١).

أول أمير سعودي على المدينة المنورة:

في هذه الأثناء، وعندما كان السلطان عبد العزيز بجدة، جاء من المدينة المنورة رسول خاص، اسمه أحمد مصطفى عبد العال، يحمل كتابًا من أمير المدينة الشريف شحات يعرض فيه التسليم، شريطة تأمين الأهلين والموظفين على أرواحهم وأموالهم، ويطلب إرسال أمير سعودي لتسلم المدينة(٢)، فأجاب السلطان بالقبول وأمر ابنه محمدًا، وكان في الرابعة عشرة من عمره، وغادر مكة إليها في ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٤٤هـ، يرافقه بعض خاصة أبيه وكبار آل سعود، ولكن الحامية أبت التسليم لأنها كانت تنتظر المدد من جدة، فما كان من الأمير محمد، الصغير في سنه الكبير بعقله

(١) صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج٢، ص٣٨١.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٣٨٠.

وشجاعته، إلا أن يشدد الحصار عليها ليضطر الحامية إلى التسليم[1].

ومرت الأيام الثلاثة الأولى من المهلة التي حددتها جدة لإرسال المدد، وصبر جنود الحامية ثلاثة أيام أخرى، وليس عليهم وعلى قيادتهم لوم ولا تثريب. لقد قاموا بشرف الدفاع العسكري على أتم وجه، ولكن للمحافظة على هذا "الشرف" حدودًا نفدت مع نفاد الأرزاق[2]، فبعث القائد عبد المجيد ومدير الخط الحديدي عزت ورئيس ديوان الإمارة عبد الله عمير إلى سمو الأمير محمد بن عبد العزيز كتابًا يطلبون منه أن يجيبهم إلى مقابلة اثنين منهم، فبعث إليهم بالموافقة، وأرسل قسمًا من الخيالة لاستقبال من يأتيه، ومثل عبد المجيد وعزت بين يدي الأمير محمد، فاحتفى بهما احتفاء كريمًا واستقبلهما استقبالاً طيبًا، وفاوضاه في التسليم، على شرط إعطاء الأمان لجميع الجنود والضباط والأهلين، وإعلان عفو عام عن كل أحد بالمدينة، وقبل الأمير محمد ابن عبد العزيز ما عرضاه عليه[3].

عاد قائد الحامية العسكرية عبد المجيد باشا ومعاونه عزت باشا من مقابلة الأمير محمد بن عبد العزيز، لتبدأ بعدها مباشرة الاستعدادات لتسليم المدينة، وبُلّغ الضباط والجنود بالقرار، وطُلب منهم تجهيز المواقع والمستودعات لتسليمها للقوات السعودية.

ويصف الدكتور عبد الباسط بدر[4]، مراسم تسليم المدينة المنورة للأمير

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الثاني، ص٨٦٦، ٨٦٧.

(٢) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، ج٢، ص٣٨٢.

(٣) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الثاني، ص٨٦٧، ٨٦٨.

(٤) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص١٦١ - ١٦٣.

محمد بن عبد العزيز، فيذكر أنه في يوم السبت التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٤هـ، خرجت مجموعة صغيرة من ضباط الحامية وخيالتها إلى المعسكر السعودي، وكان فيها عبد المجيد باشا ومعاونه عزت باشا وعبد القادر الديري وقاسم الديري، وكان في استقبالهم الأمير محمد وكبار قادته، ومنهم إبراهيم النشمي وعبد المحسن الفرم[1]، وبعد السلام على الأمير وقادته أعلن الوفد عن التسليم، وطلب حضور القوة العسكرية لتسلم المرافق العسكرية والإدارية، فأمر الأمير محمد أحد رجاله، وهو ناصر بن سعود الفرحان[2]، أن يتوجه بمجموعة من الجنود مع الوفد إلى المدينة لتسلم تلك المرافق ولإحلال الجنود السعوديين فيها محل جنود عبد المجيد والحامية، وعاد الوفد يصحبه ناصر بن سعود الفرحان، وبدأ بتسليم القلعة والمستودعات التي فيها الثكنة في باب العنبرية، ثم المحارس، ثم مقر الإمارة نفسه، وكلما تسلم موقعًا انسحب رجال عبد المجيد منه وحل محلهم عدد من رجال القوة العسكرية، وعند العصر كان الجنود السعوديون منتشرين في أرجاء المدينة وقلعتها وسورها ومقر قيادتها العسكرية ومقر الإمارة، و لم تحدث أية مشاحنة بينهم وبين رجال الشرفاء، وبدأ الأمر كأنه تبديل فرقة عسكرية بأخرى شقيقة، وبقي ناصر بن سعود الفرحان وعدد من رجاله مع عبد المجيد وكبار ضباطه يتبادلون أحاديث هادئة، ثم كتبت

(١) هو قائد القوة السعودية التي حلت محل قوات فيصل الدويش لمحاصرة المدينة المنورة، وهو من شيوخ بني علي ومن أهل العوالي، وقد بايع السلطان عبد العزيز وصار من رجاله، انظر: د. عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص١٥٢.

(٢) يذكر أحمد عبد الغفور عطار أنه كان معه الشيخ عبد الله الفضل، انظر: صقر الجزيرة، المجلد الثاني، ص٨٦٨.

وثيقة الصلح، كتبها عبد الله القين وصالح رفة، ونقلت إلى المدينة كميات من الأرزاق، ووزع الطعام على أفراد الحامية المنهكة، كما وزع على عدد من أهل المدينة الذين شكوا من نفاد طعامهم، وسارع عدد من المقيمين في معسكر الإيواء بالعرضي، الذين كانوا يترقبون تنفيذ الصلح والتسليم، بالعودة إلى المدينة، وبقي الآخرون ينتظرون اليوم التالي ليحملوا أثاثهم البسيط والأرزاق التي اشتروها إلى بيوتهم المغلقة.

وفي اليوم التالي، الأحد الموافق العشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٣٤٤هـ، توجه الأمير محمد بن عبد العزيز ومعه حاشيته وجنوده إلى المدينة، فاستقبله على أبوابها الشريفان: أحمد وشحات، وقائد الحامية عزت باشا، وكبار ضباطه، وعدد من أعيان المدينة، فسلموا عليه، وأعلنوا ولاءهم له ولوالده، وتوجه الركب إلى المسجد النبوي الشريف، حيث صلوا فيه، ثم سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، ثم توجهوا إلى مقر الإمارة، وبدأ الأمير يستقبل الأهالي، وظل الشريفان وكبار القادة والأعيان في معيته، وتناول الجميع طعام الغداء على مائدة الأمير.

ويذكر أحمد عبد الغفور عطار أن الأمير محمد اجتمع في المساء بأهل المدينة، وبالضباط والجنود والموظفين في حكومة الملك علي، وألقى فيهم خطبة رائعة مع حداثة سنه قُوبلت بالارتياح.

قال لهم الأمير محمد بن عبد العزيز: "أيها الإخوة المؤمنون، نحمد الله كثيرًا على ما منّ علينا جميعًا بجمع الشمل، فنحن وأنتم أخوة، ولكن

الشيطان نزغ بيننا فعادى بعضنا بعضا، واليوم يجمعنا الله عز وجل على المحبة والمودة.

إخواني، أنقل إليكم تحية والدي السلطان عبد العزيز، وعندما أنعم الله عليه بدخول مكة نذر نفسه ليكون خادمًا لحرم الله، واليوم أكرمه الله وأكرمنا جميعًا بدخول المدينة المنورة فصار السلطان عبد العزيز خادمًا لحرم رسوله صلى الله عليه وسلم منذ اليوم، وبذلك صار خادم الحرمين وسكانهما.

وتعلمون أننا لم نكن مسؤولين عما حل بكم أيها الإخوة من الضيق، ويعلم الله أن ما حل بكم كان يؤذي السلطان، وقد بعث لكم هذه الأرزاق لتوزع على أهل المدينة المنورة، وفي خلال بضعة أيام ستصل النجدة الثانية من الأرزاق هدية لكم من السلطان.

والآن أعاهدكم عن السلطان أننا نحن وأنتم أخوة، فليضع كل منا يده في يد أخيه لنبني بلدنا، وأشكركم جميعًا فردًا فردًا على حفاوتكم وجزاكم الله خيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"(١).

كانت المدينة المنورة سعيدة بانفراج الأزمة وانقشاع الغمة، التي ظللت سماء مدينة الرسول لسنوات طويلة قضتها تحت حكم الهاشميين، أما سكانها الذين كانوا أكثر استبشارًا وتفاؤلاً بالعهد الجديد، فقد راحوا يعربون عن فرحتهم، وأخذت جموعهم تتوافد، على مدى ثلاثة أيام، على مقر الأمير محمد بن عبد العزيز لمبايعته وإعلان الطاعة لوالده

(١) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الثاني، ص٨٦٨، ٨٦٩.

السلطان عبد العزيز، وكان الأمير يستمع إليهم ويحاورهم، ويوزع عليهم الأعطيات من الأرز والقمح والمال، وكان الهاشميون قد أنشأوا (تكية) لتوزيع الطعام، ولكنهم ما لبثوا أن أغلقوها لاضطراب أمرهم وضعف إمكاناتهم، ففتحت وجعلت مركزًا لتوزيع الأرزاق على المحتاجين، وقد بلغ جملة ما وزع على أهل المدينة آنئذٍ أكثر من ألف كيس من الأرز، وألفي كيس من الحنطة وشيئًا كثيرًا من النقد، أمر بها السلطان عبد العزيز تخفيفًا عن أهل المدينة.

وأرسل الأمير محمد برقية إلى والده يخبره أن أهل المدينة بايعوه نيابة عن والده، وطلبوا منه إبلاغ والده بالبيعة، وأبرق رئيس البلدية والقاضي ورئيس الحرم برقيات مبايعة للسلطان، نشرتها جريدة أم القرى، ورد عليهم السلطان ببرقيات رقيقة(١).

وأراد السلطان عبد العزيز أن يكافئ المدينة المنورة، إشعارًا بمكانتها، وتكريمًا لأهلها، فقرر تعيين ابنه الأمير محمد أميرًا عليها، كما قرر تعيين إبراهيم السبهان وكيلاً لأميرها(٢).

وخلال إقامة الأمير محمد في المدينة نظر في إدارتها وموظفيها، فثبّت الموظفين الذين لم يرحلوا في مناصبهم كما وعدهم، حتى ديوان الإمارة أبقى فيه إسماعيل حفظي رئيسًا له، وهو نفسه الذي كان يرأسه زمن الهاشميين، كذلك ثبت قائد الشرطة مهدي بك في منصبه، والمحكمة

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص١٦٤.

(٢) سبق أن اختاره الملك عبد العزيز أميرًا على حائل، عندما قال لأهلها بعد أن تم له فتحها: "إني لا أخشى أن أجعل واحدًا منكم أميرًا عليكم لأني أريد أن أحافظ على كرامتكم، هذا إبراهيم السبهان هو أميركم وهو واحد منكم".

الشرعية ثبت فيها قاضيها الأول إبراهيم عبد القادر البري، وهو من أهل المدينة، وولي إدارة الخزينة النبوية – وهي التي تجمع إدارة المسجد النبوي وهيئة الأوقاف – لمحمد إبراهيم القاضي من المقيمين في المدينة، وضُمت المالية إلى إدارة البلدية وعين فيها دياب ناصر، حيث استقال زكي بك العراقي من إدارة المالية، وعين الشيخ زين العابدين مديرًا للحرم، وعين الشيخ أحمد كماخي لإدارة المعارف مكان الشيخ عبد القادر الشلبي الطرابلسي، الذي كان يجاهر بالعداء للسلفيين في العهد الهاشمي، حتى أنه أغلق مدرسة العلوم الشرعية بتهمة الميل إلى الوهابية، فلما بدأ العهد السعودي عزل من منصبه ولكن لم يلحقه أي أذى، وسمح له أن يفتح مدرسة خاصة(١).

وبدأت الحياة في المدينة المنورة تعود إلى طبيعتها، وأخذت الأحوال الأمنية تتجه نحو الاستقرار، بعد أن بسط الجيش السعودي سيطرته على كامل أنحاء المدينة والمناطق المحيطة بها، وبدأت السلطة المحلية تمارس دورها في تسيير مصالح الناس.

أما الأمير محمد بن عبد العزيز، الذي أصبح أول أمير سعودي على المدينة المنورة في عهد الدولة السعودية الثالثة، فقد آثر أن يلازم والده السلطان ليكون عونًا له في مواجهة المستجدات المتوالية، وترك لوكيله إبراهيم السبهان إدارة شؤون المدينة، فغادرها في الثالث من شهر رجب ١٣٤٤هـ إلى جدة، التي فتحت أبوابها للسلطان عبد العزيز، كما غادرها

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص١٦٥.

إبراهيم النشمي عائدًا إلى بلدته في القصيم، وأصبح السبهان هو الذي يدير شؤون المدينة[1].

لم تستمر وكالة إبراهيم السبهان لأمير المدينة المنورة غير سنة واحدة، إذ إن الظروف الأمنية الجديدة التي واكبت فتح المدينة، كانت تتطلب مزيدًا من الحزم والمتابعة، كي يزرع النظام الجديد الهيبة في نفوس اعتادت لسنوات طويلة تخطي تعليمات الأمن، بل واعتادت الاعتداء على المسافرين والحجاج والسلب والنهب، كما أن التجمعات التي أحاط السبهان بها نفسه، والتي تسببت في ظهور طبقة من المقربين أو أصحاب الشفاعة، لم تكن ليرضى عنها الملك عبد العزيز، فعزم على تغيير الأمير[2].

وقع اختيار الملك عبد العزيز على مشاري بن مساعد بن جلوي، ليتولى وكالة إمارة المدينة المنورة خلفًا للسبهان، وكان ذلك في أول رجب عام ١٣٤٥هـ، وكان مشاري قد تولى من قبل إمارة الطائف، وعرف بالحزم الشديد، وأسهم في استقرار الأمن في المدينة وحولها، خاصة أن أفراد القبائل لم يكونوا جميعهم قد استوعبوا التغيير الذي أراده الملك عبد العزيز وبدأوا في تطبيقه، ولذلك كانت تحدث تعديات هنا وهناك، وإغارات على بعض المسافرين في الطريق وخارج سور المدينة، وكان على وكيل الإمارة أن يتعقب هذه التعديات ويعاقب مرتكبيها عقابًا رادعًا لغيرهم[3].

أمضى الأمير مشاري بن جلوي عدة أشهر في وكالة إمارة المدينة المنورة،

---

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص١٦٥.

(٢) المرجع السابق، ج٣، ص١٧٦.

(٣) المرجع السابق، ج٣، ص١٨١.

بذل خلالها جهدًا كبيرًا في تتبع قضايا أهل المدينة والقبائل المحيطة بها، وأصيب بالمرض فطلب إعفاءه من منصبه، ليتسنى له الراحة والعلاج، لكن الملك عبد العزيز رأى ضرورة استمراره، ليكمل ما بدأه في عمله بالمدينة، خاصة أن المرض لم يكن شديدًا عليه، فلم يجد مشاري بدًا من الاستمرار، لكن المرض اشتد عليه بعد مدة فكرر طلبه، فاستجاب له الملك عبد العزيز وأعفاه من منصبه، وعين مكانه الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، الذي كان قد ترك إمارة الطائف منذ مدة قصيرة، ليبدأ في المدينة مرحلة جديدة من حياته، ربما كانت هي الأكثر خصوبة وعطاء في سني حياته كلها.

المدينة المنورة في التاريخ:

المدينة المنورة هي العاصمة الأولى للمسلمين في عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الثلاثة، وهي معقل الإسلام، وبها قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ولها منزلتها الدينية العالية، ومركزها المؤثر في الحركة الإسلامية الأولى.

وهي تقع في واحة خصبة، وفي الشمال الغربي منها جبل سلع، ويحتضنها جبلان وواديان: من الجنوب جبل عير ووادي العقيق، ومن الشمال جبل أحد ووادي قناة (أحد)، ويخترق المدينة مارًّا بوسطها وادي بطحان (أبو جيدة) بعد أن ينضم إليه وادي رانوناء في قباء. ويذكر علي حافظ[1] أن هذا الوادي قفل في الإصلاحات السعودية الجديدة، وتحول مجراه إلى جهة أخرى واستعمل المجرى كطريق مسفلتة. ويحد المدينة من

(١) علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص١٥.

الجنوب جبل عير ومن الشمال جبل ثور ومن الشرق اللابة (الحرة الشرقية) ومن الغرب اللابة (الحرة الغربية)[1]. ويبعد جبل ثور عن المسجد النبوي بنحو (٨) كيلومترات، ويبعد جبل عير عن المسجد النبوي بنحو (٨) كيلومترات أيضًا، وقال بعض المؤرخين أن اللابتين داخلتان في المحدود "المدينة المنورة" بخلاف الجبلين، لما رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم، إنه كان في الحرة الشرقية – جهة العريض – في منازل بني حارثة وإنه قال لهم "أراكم يا بني حارثة قد خرجتم عن الحرم ثم التفت فقال "لا: بل أنتم فيه" وروت بعض الأحاديث أن حدود حرم المدينة بريد في بريد، والبريد، أربعة فراسخ، والفرسخ أربعة كيلومترات، والمسافة من جبل ثور إلى جبل عير نحو (١٦) كيلومترًا، ومن المدينة إلى جدة نحو (٤٢٥) كيلومترًا، ومنها إلى مكة نحو (٤٩٧) كيلومترًا، وترتبط بمكة وجدة وينبع بخطوط أسفلتية، وترتبط بعمان ودمشق بخط حديدي بُنِيَ في آخر عهد الأتراك، ودُمّر إبان ثورة العرب على الأتراك.

وجوّ المدينة حار شديد الحرارة والسموم في الصيف، معتدل لطيف منعش في الخريف والربيع، وبارد محتمل في الشتاء، وكان عدد نفوس المدينة سنة ١٣٤٥هـ نحو ٥٠ ألف نسمة.

وللمدينة المنورة (٩٥) اسمًا منها طابة وطيبة، العاصمة، قرية الأنصار، قبة الإسلام، قلب الإيمان، المؤمنة، المباركة، المختارة، مدينة الرسول،

(١) كما يذكر علي حافظ أن اللابة هي الحرة السوداء، وجبل عير معروف في ذي الحليفة، محرم الحاج، وجبل ثور جبل مستدير يصفه بعض المؤرخين (أنه مثل الخيمة ولونه يميل إلى الحمرة) ويقع شمال جبل أحد، انظر: فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص١٥.

المسلمة المحببة، دار الإيمان، حرم رسول الله، دار الأبرار، دار الأخيار، دار السنة، دار السلام، دار الفتح، الدرع الحصينة، ذات الحرار، ذات النخل، سيدة البلدان، بيت رسول الله، البارة، الجابرة(١).

لقد هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة المنورة هو وأصحابه من المهاجرين في سنة ٦٢٢م، بعد أن تعاقد وتعاهد مع الأنصار (الأوس والخزرج) على حمايته ونصرة دينه.

وصارت المدينة معقلاً للإسلام وقلعة حصينة له، ومشعلاً يشع منه نوره على الآفاق، وانتشر الإسلام منها إلى كل الدنيا.

وفي السنة الثانية من الهجرة (٦٢٤م) انطلق من المدينة المنورة الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله إلى بدر، وخاض أول معركة دامية مع الشرك والضلال، انتهت باندحار المشركين.

وبالقرب من المدينة المنورة وفي ضواحيها، انتصر الإسلام وانهزم المشركين، في معركتين حاسمتين ضاريتين شنهما الكفر بكل قواه وعتاده وخيله ورجاله ودروعه، وعجزوا عن أن ينالوا من الإسلام والمسلمين شيئًا، وهما معركتا أحد والخندق (الأحزاب).

وفي السنة الثامنة من الهجرة انطلق الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى مكة المكرمة فدخلها منصورًا من الله عز وجل في شهر رمضان المبارك.

وفي السنة نفسها خاض الإسلام معركة حنين، وانهزم المسلمون أولاً،

(١) علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص١٥ – ١٧.

ثم عادوا فانتصروا وكللت المعركة بالنصر المبين. وبعد عودة النبي صلى الله عليه وسلم، والجيش الإسلامي للمدينة قلعة الإسلام وحصنها الحصين، أخذ العرب يدخلون في الإسلام – بعد أن بدأت قريش تدخل في دين الله الجديد – وتوافدوا على رسول الله يمثلون قبائلهم ويدخلون في الإسلام زرافات ووحدانا.

وبعد هذه الانتصارات لم يهاجم المسلمون في عقر دارهم في المدينة، وصارت الجيوش الإسلامية تتجه شرقًا وشمالاً وغربًا وجنوبًا، تدعو إلى الله وتنشر دينه القويم، وتوطد أركان الإسلام في الدنيا(١).

أمراء المدينة المنورة:

شرفت المدينة المنورة بأن كان أول أمير لها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين الأربعة هو رسول الله نفسه، وذلك من سنة (١) إلى سنة (١٠) من الهجرة، تلاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، من ١٢ ربيع الأول سنة (١١) من الهجرة، ثم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، من ٢٢ جمادى الآخرة سنة (١٣) من الهجرة، وخلفه عثمان بن عفان، رضي الله عنه، من ٢٩ ذي الحجة سنة (٢٣) من الهجرة، فعلي بن أبي طالب – كرّم الله وجهه – من ١٧ ذي الحجة سنة (٣٥) من الهجرة، ثم سهل بن حنيف من قبل علي بن أبي طالب سنة (٣٧) من الهجرة، وأبو أيوب من قبل علي بن أبي طالب سنة (٤٠) من الهجرة.

(١) علي حافظ، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص١٩ – ٢١.

ومن بين الذين تولوا إمارتها في العهد الأموي، أبو هريرة، رضي الله تعالى عنه، سنة (٤٠) هـ، ومروان بن الحكم (مرتين) سنة (٤١هـ)، وسنة (٥٦ هـ)، والوليد بن عتبة (مرتين) سنة (٥٧ هـ)، وسنة (٦١ هـ)، والحجاج ابن يوسف سنة (٧٤ هـ)، وعمر بن عبد العزيز سنة (٨٦ هـ)، وعبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز سنة (١٢٦ هـ)، وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك سنة (١٢٧ هـ)، ومحمد بن عبد الملك بن مروان (١٣٠ هـ).

ومن أبرز الذين تولوا إمارتها في العهد العباسي، داود بن علي بن عبد الله بن العباس سنة (١٣٢ هـ)، وزياد بن عبيد الله (مرتين) سنة (١٣٣ هـ)، وسنة (١٣٧ هـ)، وعبد الصمد بن علي عم المأمون سنة (١٥٥ هـ)، وعمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب سنة (١٦٩ هـ)، وعبد الله بن مصعب، والحسين بن سهل سنة (١٩٨ هـ).

وفي عهد الأشراف، الذي بدأ في ١٧ رجب سنة ١٣٣٧هـ، على أنقاض الحكم التركي، فقد تولى الشريف علي بن الحسين إمارة المدينة المنورة إلى جانب ولاية العهد من ١٧ رجب سنة (١٣٣٧)هـ، إلى سنة (١٣٤٣) هـ، بعدها تولى وكالة الإمارة الشريف أحمد منصور من غرة جمادى الآخرة سنة (١٣٣٨) هـ، ثم الشريف شحات بن علي قائم مقام المدينة.

أما في العهد السعودي الذي بدأ على يد الأمير محمد بن عبد العزيز في ١٩ جمادى الآخرة سنة (١٣٤٤) هـ، كما أسلفنا، فقد كان الأمير محمد[1]

(١) كان تعيينه – رحمه الله – أميرًا على المدينة المنورة تكريمًا له من قبل والده الملك عبد العزيز آل سعود، غير أنه لم يتول الإمارة فعليًا، وظل كل أمير عليها بالوكالة، حتى عام ١٣٨٥هـ عندما تم تعيين الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز – يرحمه الله – أميرًا على المدينة المنورة.

هو نفسه أول أمير على المدينة المنورة، وعين إبراهيم السبهان وكيلاً للأمير من ١٩ جمادى الأولى سنة (١٣٤٤هـ) إلى نهاية جمادى الآخرة سنة (١٣٤٥هـ)، ثم الأمير مشاري بن جلوي وكيلاً للأمير من غرة رجب سنة (١٣٤٥هـ)، إلى نهاية ٩ ربيع الأول سنة (١٣٤٦هـ).

وعين الأمير عبد العزيز بن إبراهيم وكيلاً للأمير من ١٠ ربيع الآخر سنة (١٣٤٦هـ) إلى ١٣ من صفر سنة (١٣٥٥هـ)، حيث خلفه في وكالة الإمارة الأمير عبد الله السديري من ٢١ صفر سنة (١٣٥٥هـ)، إلى ١٣ شعبان سنة (١٣٧٩هـ) بوفاته، حيث عين ابنه الأمير عبد الرحمن بن عبد الله السديري وكيلاً للأمير من ٢٩ شعبان سنة (١٣٨٠هـ).

وتولى إمارة المدينة المنورة سمو الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز آل سعود - يرحمه الله - من غرة رجب سنة (١٣٨٥هـ) إلى ٢٠ شعبان سنة (١٤٠٥هـ) بوفاته، وكان سعد الناصر السديري قد عين وكيلاً للإمارة من ٢٢ رجب سنة (١٣٨٧هـ) وظل قائمًا بأعمال الإمارة بعد وفاة سمو الأمير عبد المحسن، إلى أن عين سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز خلفًا له، وذلك بنقله من إمارة تبوك في ١٥ جمادى الأولى سنة (١٤٠٦هـ)[1].

---

(١) أحمد ياسين أحمد الخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، ص٢٥٦ - ٢٦٩.

ابن إبراهيم أميرًا على المدينة المنورة:

حين تولى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إمارة المدينة المنورة، في العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٤٦هـ، كانت خبرته السياسية والإدارية والأمنية قد بلغت قمة النضج والاكتمال، خاصة وأن تعيينه في هذا المنصب جاء بعد تجربتين مميزتين، كأمير على أبها، ثم على الطائف. فقد خاض خلال هاتين التجربتين من المعارك والمواقف، وأنجز من المهام ما صقل وعيه السياسي، وأرهف حسه الأمني، وأثرى خبراته الإنسانية والحياتية، وكان النجاح الكبير الذي حققه في الإمارتين، وتنفيذه الكامل والدقيق للمهام والتكليفات التي أسندها إليه الملك عبد العزيز، في مقدمة أسباب اختياره ليكون ثالث أمير سعودي على المدينة المنورة، بعد مرور أقل من عامين على انضمامها إلى الدولة السعودية، وفي ظروف أمنية بالغة التعقيد، ولتستمر إمارته عليها عشر سنوات كاملة، حتى نقل إلى مجلس الوكلاء عام ١٣٥٥هـ.

ويشير الدكتور عبد الباسط بدر إلى هذا المعنى بقوله إنه عندما ظهرت الحاجة إلى من يدير أمور المدينة، ويهتم بمتابعة الجانب الأمني بين القبائل، أصدر الملك مرسومًا بتعيين ابن إبراهيم في منصب وكيل الأمير، وعين ياسين الرواف وكيل الحكومة في دمشق، سابقًا، معاونًا له[١].

ويذكر الأنصاري "أن هذا المنصب المهم لثاني الحرمين الشريفين، ثالث منصب يشغله الأمير ابن إبراهيم في الفترة الأولى من حكم الملك عبد

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص١٨٢.

العزيز - يرحمه الله - وكان الملك قد نثر كنانة رجاله الشجعان الأمناء العباقرة، فاختار أصلبها عودًا، وأعلاها صعودًا، وأجلها صمودًا للمناصب الثلاثة... ألا وهو شخصية عبد العزيز بن إبراهيم"(١).

ويضيف: "تولى لأول مرة حكم أبها فأمّن البلاد والعباد، وتولى ثانية حكم الطائف فأمّن البلاد أيضًا والعباد، وتولى ثالثة إمارة المدينة المنورة فجعل الاستقرار والأمن حليفها، وهكذا كان اختيار الملك عبد العزيز له في الإمارات الثلاث موفقًا سديدًا مثل اختياراته الأخرى العديدة لمن يولّيهم من رجاله الأكفاء، المناصب المهمة في البلاد في تلك الحقبة الأولية"(٢).

وهكذا لم يكد يمر شهران على ترك الأمير ابن إبراهيم إمارة الطائف وعودته إلى الرياض، في ١٨ صفر سنة ١٣٤٦هـ، حتى كان الملك عبد العزيز يوجهه لمهمة جديدة، تحتاج حزمه، وإخلاصه، وقوة إرادته، وحكمته، ونفاذ بصيرته.

وكأنما كان هذان الشهران الفاصلان، بين انتهاء إمارته على الطائف وبدء إمارته على المدينة المنورة، فرصة يعيد فيها ابن إبراهيم ترتيب أوراقه، ومرحلة تهيئة واستعداد - رغم قصرها - لما سوف يسند إليه مستقبلاً من مهام ومسؤوليات جديدة ،لاعتقاده بأن الأهداف النبيلة التي عمل من أجل تحقيقها لا تزال في حاجة إلى إخلاص المحاربين الشجعان من أمثاله، وأن المهام الصعبة لا تزال تنتظر رجلها وفارسها، الذي ما فتئت ثقة الملك عبد العزيز فيه تزداد

(١) عبد القدوس الأنصاري، أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الأولى، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٢٩، صفر ١٤٠٣هـ.

(٢) المرجع السابق.

توثقًا ورسوخًا وقوة يومًا بعد يوم، ليصبح الأمير عبد العزيز بن إبراهيم واحدًا من القلائل الأوفياء الذين اختارهم الملك عبد العزيز للعمل معه.

مرسوم التعيين... ومنهاج جديد للعمل:

حين أصدر الملك عبد العزيز أمره بتعيين عبد العزيز بن إبراهيم وكيلاً لأمير المدينة المنورة، وجه له ولنائبه رسالة مطولة كانت بمثابة الوصية، للأمير الجديد، فهي تحدد صلاحياته وحدود عمله، وترسم له الأسلوب الأمثل الذي يتبعه في معاملة الناس، وتطلب منه ألا يشتد على الناس، وأن يعمل على مراعاتهم بالحق واللين والطمأنينة. كما تسند الوصية لمعاونه مسؤولية الأحكام وتنفيذ الأمر المشروع وكافة الأمور الداخلية، مستعينًا بمجلس الإدارة لاتخاذ القرارات، على أن تعرض على وكيل الأمير ليصادق عليها. أما أمر بادية المدينة فقد أوكل إلى ابن إبراهيم نفسه، مع مراجعة النيابة[1] في أمورهم، وكذلك النظر على جميع أمر يخالف الشرع أو يخل بالولاية أو يضر بالأهالي، ولا يجري أمر إلا بإمضائه مع مراجعة النيابة فيما يحتاج إليه، وألا يجري قتل أو ضرب ولا نكال إلا بحكم شرعي ومراجعة النيابة، وما أمضته يتم تنفيذه.

وأشارت الرسالة / الوصية إلى ما يشاع عن ابن إبراهيم من شدة، وبينت له أن الناس يتهمونه بالشر، وتمنت أن يبدد اتهامهم بالخير.

وطلب الملك عبد العزيز في رسالته إلى ابن إبراهيم أن يعمل جده

(١) المقصود نائب جلالة الملك في الحجاز.

للتحرص على الطرق والأمان وموازنة الناس، وأن يكون عمدة أمره له أن يكون جميع الناس راضين عنه الحاضرة والبادية، وألا يمضي شيئاً إلا بأمر المحكمة الشرعية، كما أوصاه بتنفيذ أمر الشرع، والأمر بالمعروف والأخذ بأيدي الآمرين به، وأن يجعل من جميع الموظفين أصدقاء له وبعيدين عنه في الوقت نفسه، وطلب منه الأخذ بخواطر العسكريين والأخذ على أيديهم، ومراقبة الدوائر الحكومية على الفساد دون التدخل في أمورها التنظيمية، وأن يكون حذرًا من جهة خدمه فهم الخراب، بحيث لا يتدخلون في أي أمر إلا بموافقة منه، كما حثه على إكرام الإخوان الدعاة إلى الدين بموافقة منه، كما حثه على إكرام الإخوان الدعاة إلى الدين الذين يأتون إلى المدينة، وإن رأى أحد منهم منكرًا فعليه رفعه إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألا يسمح لأحد منهم بمد يده، وإن فعلوا ينهاهم عن ذلك بالتي هي أحسن.

كما وجه الملك عبد العزيز رسالة أخرى إلى أهل المدينة،ليبلغهم فيها أنه عين عبد العزيز بن إبراهيم في إمارة المدينة، ويوصيهم بالتعاون معه، ويطمئنهم أن ما اشتهِر عنه من الشدة مبالغ فيه، وأن شدة ابن إبراهيم هي في الحق، فقال جلالته طيب الله ثراه: "فلعلكم تسمعون بشدة عبد العزيز ابن إبراهيم، وتهابون منه، وهذا شيء لا حقيقة له، ابن إبراهيم شديد على العاتي، حبيب لمن سلك الطريق وعرف حق نفسه".

ونظرًا لما تمثله هاتان الرسالتان من منهاج للعمل رسمه الملك المؤسس ليسير الولاة على هديه ووفق تعاليمه، ولأهمية ما ورد في الرسالتين

من أسس وقواعد في أصول الحكم والإدارة، فإننا نورد فيما يلي نص الرسالتين[1].

عهد من جلالة الملك بتعيين وكيل لأمير المدينة ومعاونه من الحكام، مع بيان اختصاصهما، واختصاص الهيئات المسؤولة عن الإدارة والحكم والأمن والنظام والدين في المدينة:

(نمرة ١/ عدد ٧٢٣ سنة ١٣٤٦هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، إلى جناب المكرمين، عبد العزيز بن إبراهيم، وياسين الرواف سلمهم الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإن الأمر الذي نأمركم به أنت يا عبد العزيز بن إبراهيم، وياسين الرواف.

أولاً: أنت يا عبد العزيز تكون وكيلاً لأمير المدينة، على شرط أنك تراعي الناس بمراعاة الحق واللين والطمأنينة.

أما مسألة الحاضرة وأحوالهم وترتيباتهم، فلك النظر في جميع الأمور التي تخالف الشرع أو تخل بالولاية، أو تضر بالأهالي، أن

---

(١) حافظ وهبه، خمسون عامًا في جزيرة العرب، ص٢٦٥ - ٢٧١؛ وانظر: أم القرى ع١٤٨، ١٨ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ (١٤ تشرين الأول ١٩٢٧م).

تؤدي رأيك في ذلك، ولا تقبل جميع أمر يخل بأمرنا كما ذكرنا.

وأما مسؤولية الأحكام وتنفيذ الأمر المشروع والقيام بالواجب نحو البلد فالمسؤول عنها ابن رواف، ومجلس الإدارة، فهذا موجب دوائر البلد وحالتها.

وأما الإمضاء فلا يجري أمر إلا تحت إمضائك. فالأمور التي عائدة لتنفيذ أمير المدينة فنفذها، والأمور التي تحتاج إلى نظر ومراجعة النيابة، يجب عليك مراجعة النيابة فيها، وبعد نظر النيابة وتنفيذها، تنفذها أنت.

فأما البادية فمرجعها كلها إليك، ليس لمجلس الإدارة تدخل فيها، بل مرجعها إليك، ومراجعة النيابة في أمور البادية لازمة على كل حال، ولكن أمر البادية كما قيل، (أكرب وجهك وأرخ يديك).

أما الضرب والقتل والنكال، فهذا كله ما يصير إلا تنفيذًا لأمر الشرع، وينبغي عليك ألا تنفذ من الأحكام، خصوصًا القتل والنكال الشديد، أو الحبس الطويل، حتى تراجع النيابة، وإذا أمضته فنفذه، ومن قبل التحرص على الطرق، والأمان، وموازنة الناس، فهذا شيء أعمل به جدك، وأحرصك عليه جدًا، ولكن عمدة أمري لك، أن يكون جميع الناس راضين عنك الحاضرة والبادية، ولا تمض شيئًا إلا بأمر المحكمة الشرعية لأن ذلك أتم لأمر الله وأحسن للنفوس.

وأفهم أن الناس كلهم يتهمونك بالشر، ولكنك إن شاء الله، تبدل اتهامهم بالخير.

(نمرة ٢ / عدد ٧٢٣ في سنة ١٣٤٦هـ)

وأكبر ما أوصيك به:

أولاً: تقويم أوامر الله، وتنفيذ أمر الشرع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأخذ بأيدي المأمورين بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومساعدتهم على كل حال، فإذا انتقدت عليهم في شيء، فلا تتكلم في حقهم، لا عند خاص ولا عام، بل اطلب رئيسهم أو كلهم، وبين لهم الأمر، إن هذا أمر فيه زيادة، أو أنه لم يصلح ،فإن أقروا به، فالحمد لله، وإلا فراجعنا إذا نحن حاضرون، أو تراجع النيابة، ثم لا تجعل لك من جميع الموظفين ظنينة، بل اجعلهم جميعهم أصدقاء وبعيدين.

ومن طرف العسكرية، خذوا بخواطرهم، وخذوا على أيديهم، فإذا حصل من أحد منهم، تقصير فلا ترسل خادمًا من قبلك ليأتي به، بل أرسل إلى كبيرهم، وقل له يجيء مع فلان، فإذا جاء فنفذ الأمر.

ومن قبل دوائر الحكومة جميعها، اجعل النظر عليها عن الفساد، ولا لك حق تتدخل فيها، إذ بموجب القرارات المنظمة لها، أن كلا يمشي حسب النظام المقرر عنده، فإذا ذكر لك أن أحدًا يشكو من أحد أو أنه قصر، فاكشف على المسألة، وإنههم عنها، فإن صلحت المسألة فعسى، فإن كان الأمر غير ذلك، فارفعه إلى النيابة.

ومن جهة خدامك الذين تحت يدك، فافطن إليهم تراهم هم الخراب، لا يحق لأحد منهم أن يتدخل في جميع الأمور إلا بأمر منك، فإذا أمرت أحدًا منهم يروح إلى درب ما، وجاءك قال: فلان لم يطع الأمر، وسبني وعمل وعمل، فلا تأخذ كلامه بالقبول، بل أرسل إلى الرجل هذا بعينه، وقابله معه، فتراك تجد الأمر مختلفًا، والحلم في محله زين كما أن الغضب في محله زين.

وأما من قبل الخدمة على الدعاوى، أما الحاضرة فليس للخدام عليهم حق خدمة، لا قليل ولا كثير، جميع دعاويهم ترسل إلى الشرع، ويصير الذي يمشي في أمرهم الشرطة، موجب تنفيذه كجاري العادة، وأما البادية إذا شدوا جيشًا وراحوا بخدمتهم، فالخدمة على المئة عشرة، وغير ذلك لا يؤخذ شيء.

(نمرة ٣ / عدد ٧٢٣ في سنة ١٣٤٦هـ)

وأهل العوالي وأهل العيون، فحسابهم حساب أهل المدينة في جميع الأمور. أما من قبل إخوانك الذي يصيرون عندك فلا يكونون أزيد من ثلاثين، وخيرهم. هل رغبتم في الراتب مثل العسكر، ولا نعرفهم ولا يعرفوننا، أو يصيرون مثل إخوان مشاري.

وأما أنت يا ياسين الرواف فمسؤولية الأحكام والتقريرات جميعها عليك، في الأمور كلها، فأما الأمور الحادثة فعلى طبقتين، الطبقة الأولى فهي الأمور التي مرجعها إلى الشرع. فهذا ما أمضاه الشرع، فأمضوه، ولا لكم حق الاعتراض عليه، وأما الطبقة

الثانية، فهي تنقسم إلى طبقتين: الطبقة الأولى هي الأمور الكبار، التي تقرر في المدينة، وتراجع النيابة عنها، فاعمدوا كما تأمركم به النيابة، فإن أخطأت النيابة فمسؤوليتها أعظم من مسؤوليتك، وأما الأمور الخفيفة، وأحكام البلد التي لا تحتاج إلى مراجعة النيابة فمسؤوليتها على المجلس، وأكبر مسؤوليتها على الأمير وعليك إذا قررتم فيها وهي مخالفة، ولا لأحد حق، أن يعترض على أمر ما يمضيه الأمير والمعاون، وهذا الذي خطر لي.

أما الترتيبات، فلا ترتيبكم، ولا ترتيب حالتكم، فالعمدة على ما قررته هيئة المراقبة، حافظ وجماعته، والنيابة هذا في أمور الدوائر.

وأما ترتيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحكمة الشرعية والحرم ودوائره وما يجري فيه، الرجعة للدين وللشرع. فالعمل على ما قرره الشيخ عبد الله بن حسن، فيعمل به ويجيئكم الأمر فيه إما من عندنا أو من النيابة.

كذلك من قبل الإخوان الذين يأتونكم إلى المدينة، فاحشموهم غاية، وإذا جاءكم أحد منهم، وقال: رأيت منكر كذا وكذا فقل نرفعه إلى هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي إن شاء الله تزيله، وما أمرت به فعلناه، وهم لا تخلوهم يمدون أيديهم، وإذا مدوا أيديهم فانهوهم بالتي هي أحسن، وأخبرهم بألا يعودوا مرة ثانية، ولما ذكر حرر، ليكون معلومًا، والسلام.

١٠ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ.

كتاب من جلالة الملك إلى دوائر أهل المدينة يبين تجديد بعض هيئات الموظفين وتعيين اختصاصهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، إلى كافة أهل المدينة، سلمهم الله تعالى آمين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام.

بعد ذلك بارك الله فيكم.

من قبل الولد ملشاري هليوم استرخص منا، لأجل تغيير الهوا في نجد، ولم نأذن له، وبعد ذلك لما اشتد المرض عليه سمحنا له، وحالا عمدنا عبد العزيز بن إبراهيم وكيلاً للإمارة، وياسين الرواف معاونًا له، أما الوظائف الباقية، فقد أرسلنا هيئة التفتيش والإصلاح، تنظر في جميع الدوائر، وأموركم جميعًا، فبينوا لهم ما لكم وما عليكم، حتى جميع الأمر الذي معهم فيه تفويض، يمضونه ويفصلونه، والأمر الذي ليسوا مفوضين فيه، علنا أو سرا تبينونه لهم، وهم يبدونه لنا، والآن أنتم خرجتم من ذمتنا إلى ذمة أنفسكم إذا ما بلغتونا بكل شيء وإلى ذمة هيئة التفتيش والإصلاح، فثلاث أمور لابد أن تحل، وينتخب لها

انتخاب جديد، هيئة الأوقاف، ومجلس الإدارة، وهيئة البلدية ورئيسها، كلها تعمل من جديد، بالانتخاب العادي.

المقصود من ذلك، أنكم إن شاء الله تساعدون على أنفسكم، وتبينون كل مهم وانتخاب الرجال الذين فيهم صلاح الأمر في الدين والدنيا.

وأما أمر الدين، فالعمدة على ما يقرره الشيخ عبد الله وإخوانه المساعدون له كذلك فلعلكم تسمعون بشدة عبد العزيز بن إبراهيم، وتهابون منه، وهذا شيء لا حقيقة له، ابن إبراهيم شديد على العاتي، حبيب لمن سلك الطريق، وعرف حق نفسه، وعلاوة على ذلك أوصيناه لما يلزم، وأكدنا عليه التأكيد الذي إن شاء الله لا يتعداه، أما غلبة اعتماده وأموره فهي على الله، ثم على الأحكام الشرعية، بجميع أمر يرد إليه، يقدم في ذلك الشرع، ويعتقد بذلك، ولا يتعداه مثقال حبة.

فأما أمور الدوائر العائدة إلى ما لا مدخل للشرع فيه، فهو يمشي على ما شرع له في كل دائرة بمشروعها لا يتعداه، ولا يتدخل فيه إلا بإمضاء الأوامر، التي هو ملزم بإمضائها، ولكن له النظر في جميع ما يجري، وجميع ما يحدث خلافًا لما شرع، مما كان يمضي في البلد من الجزئيات، فهو يمشي على المشروع، وما كان مرجعه إلى النيابة في جميع الأمور

الراجعة لها، وأوصيناه بالرفق، وتقويم أوامر الله، والأخذ بيد من قام بها، وستجدونه إن شاء الله كما ذكرنا لكم وأزيد، وإن شاء الله تكونوا متعاونين أنتم وإياه على البر والتقوى، وتجتهدون في حسم مادة الشقاق والقال والقيل، وترويج الأغراض الخصوصية.

نرجو الله تعالى أن يوفق الجميع للخير، وأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، إنه على كل شيء قدير.

هذا ما لزم تعريفه، ودمتم محروسين.

١٠ ربيع ثان سنة ١٣٤٦هـ.

المدينة المنورة في عهد الأمير عبد العزيز بن إبراهيم:

شهدت المدينة المنورة بداية مرحلة جديدة من الحياة الاجتماعية والإدارية والأمنية المستقرة، بعد تولي عبد العزيز بن إبراهيم مسؤولية الإمارة، وبعد تشكيل الإدارات الحكومية الجديدة التي جاء بها العهد السعودي، ولعل أهم ما تتصف به هذه المرحلة هو الحزم في تنفيذ أوامر الدولة، وخاصة في مجال الأمن داخل المدينة وخارجها، فقد عرف عن ابن إبراهيم اهتمامه الشديد بتعقب أية جريمة أو حتى مخالفة، وتطبيق العقوبة الرادعة إن حدًّا أو تعزيرًا.

وكانت المناطق الريفية للمدينة المنورة في حاجة إلى ذلك الحزم، فأمنُ طريق الحجاج قابل للانتقاض في أية فرصة يظهر فيها ضعف الإدارة والتساهل مع المخالفين، وما زال بعض البدو الذين كانوا يحصلون على إتاوات سنوية من الحجاج، أو يحصلون على مكاسب مما ينهبونه من رواحلهم وأمتعتهم الشخصية، يحنون إلى الدخل الذي انقطع عنهم، فلابد من إدخال الرهبة إلى قلوبهم، وإشعارهم أن الدولة تطالهم ولو بعد حين وحيثما كانوا إذا ارتكبوا جريرة ما[1].

ولكي نتعرف على حجم التغيير الذي أحدثه العهد السعودي بالنسبة لأمن الناس، وتوفير الطمأنينة والأمان لهم، يحسن بنا أن نطالع ما أورده الزركلي عن الأمن في جزيرة العرب قبل الملك عبد العزيز، فقد أورد عبارة لروم لندو وردت في كتابه "الإسلام اليوم" جاء فيها: "كانت جزيرة العرب

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص١٩٠.

قبل عهد الملك عبد العزيز ممزقة الشمل بسبب الثارات بين القبائل، وكان السلب والنهب من المهن المعترف بها، ولم تكن طرق القوافل أو قطعان الماشية من غنم وجمال، في مأمن من التعدي"[1].

لقد أدرك الملك عبد العزيز - وهو ابن البادية في صباه - ما ابتليت به البادية، وعرف أن أرواح الناس من حضر وبدو، ووطنيين وأجانب، ستظل عرضة في الصحراء للاعتداء[2].

لذا كان هاجس الملك عبد العزيز الذي لا يفارقه، هو العمل على استتباب الأمن، وبسط سلطة الدولة وهيبتها في المناطق الخاضعة لها، ووضع حد لحالة الفزع والخوف التي تنتاب المسافرين وعابري الطرق، والضرب بيد من حديد على أيدي اللصوص وقطاع الطرق والقتلة الذين يروّعون الآمنين. وكان الاهتمام بمشكلة الأمن يأتي باستمرار في مقدمة توجيهاته لأمرائه وحكام الأقاليم الذين يتم تعيينهم، حماية لأرواح الناس وصونًا لأموالهم وكرامتهم.

ولم يكن الواقع الأمني في المدينة المنورة والمناطق المحيطة بها والطرق المؤدية إليها، يختلف عن الواقع الأمني في شتى أنحاء الجزيرة العربية قبل العهد السعودي، فاختلال الأمن وشيوع أعمال السلب والنهب ظاهرة عامة لا يُستثنى منها مكان، وكان على الدولة السعودية الجديدة أن تواجه هذا الواقع الأليم بمزيد من الشدة والحزم في الأماكن التي تبسط سيطرتها

(١) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص٤٥١.
(٢) المرجع السابق، ص٤٥١.

عليها، فبدأت الظاهرة تختفي شيئًا فشيئًا من المناطق التي تدخل تحت الحكم السعودي، ورغم ذلك بقيت ظاهرة اختلال الأمن في المدينة المنورة مشكلة تتطلب وضع نهاية سريعة لها، خاصة أن فترة العامين التي حكم فيها السعوديون المدينة يبدو أنها لم تكن كافية لإقرار الأمن وبسط سلطة الدولة في كافة أرجاء المدينة وطرقها ومسالكها، وقطع دابر اللصوص وقطاع الطرق والعابثين بأمن البلاد والعباد، سواء من أهل المدينة أو الوافدين إليها من الزوار والحجاج.

ويُرجِع المؤرخون ثقل وطأة المشكلة الأمنية، واختلال الأمن، ليس في المدينة وحدها، بل وفي باقي مدن الحجاز، إلى أن الأمن في عهد الشريف الحسين لم يكن يستهدف البلاد الحجازية كلها، بل كان قاصرًا على بعض البلاد، ولم يكن مستتبًا إلا في جهات قليلة من جدة بحرًا فالسواحل الحجازية، وبرًا من جدة إلى مكة فمنى فعرفة إلى الطائف، أما طرق المدينة فالكل يعلم أنه غير قادر على أن يقيم الأمن فيها، وذلك بتعدي القبائل على الطريق وأخذ الضرائب من الحجاج ورجوع القوافل الزائرة مرات عديدة منكصة أعقابها إلى مكة، وكان الأمن في أيام تركيا كما كان عليه في أيام الحسين إن لم نقل أقل من ذلك، على ما كانت تصرفه تركيا من المال على البدو لأجل استتباب الأمن، وعلى هذا كله فالأمن لم يكن مستتبًا بمعناه الحقيقي[1].

(١) عبد العزيز الأحيدب، ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص٤٦.

إن هذه الصورة القاتمة للواقع الأمني وللحياة الاجتماعية في الحجاز عامة، وفي المدينة المنورة خاصة[1]، تعكس مدى التحول الذي طرأ على واقع الحياة في المدينة من حيث شيوع الطمأنينة والأمن والاستقرار، واختفاء ظاهرة قطاع الطرق واللصوصية والتعرض للآمنين، واستتباب الأمن في كافة الأنحاء، وكان ذلك إحدى ثمار العهد السعودي، كما كان على رأس الأولويات التي وضعها الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، ليعمل على تحقيقها في المدينة المنورة.

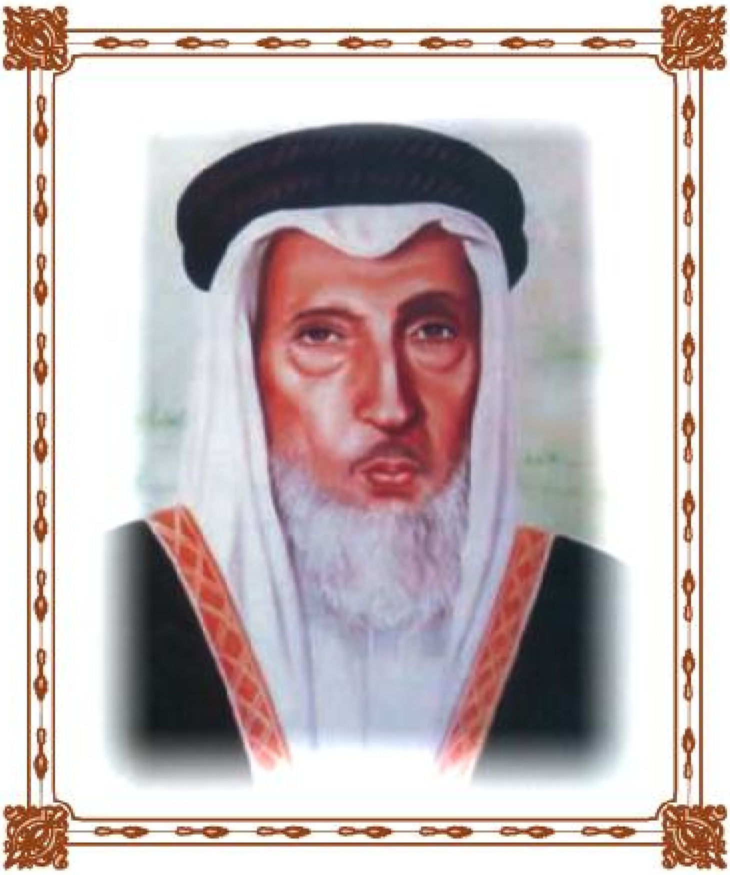
(١) لمزيد من التفصيل، انظر: عبد العزيز الأحيدب، ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص٤٧، ٤٨.

ابن إبراهيم وملحمة التوحيد



بعد أن اكتمل للملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود توحيد شتات الوطن في كيان واحد، أطلق عليه اسم "المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها"، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ البلاد شرع خلالها

الملك المؤسس في توطيد دعائم الأمن والاستقرار، وبدء مشروعه التطويري الشامل لنقل الكيان الجديد إلى حياة العصر، آخذاً بأسباب التطور والتقدم في كافة المجالات وعلى مختلف الأصعدة.



في هذه الأثناء كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، الذي ولاه الملك عبد العزيز إمارة المدينة المنورة، يواصل جهوده في تثبيت الأمن في شتى ربوع الإمارة، وفي تطوير وتحديث المنطقة التي كانت تحتل مكانة كبيرة في فكر وقلب الملك المؤسس، لكنه كان، دأب كل الأوفياء والمخلصين للملك عبد العزيز، طيب الله ثراه، يراقب بقلق الأحداث الجسام التي

تتعرض لها أطراف البلاد، والفتن والقلاقل التي تشهدها بعض المناطق، وكان أقربها فتنة حامد بن رفادة، كما كان يقف متأملاً عند بعض الأصوات التي تتردد هنا وهناك تحمل دعوات عنصرية وجاهلية بغيضة، وتثير نعرات قبلية هدفها إحداث الفرقة والتشتت، والعودة بالبلاد إلى عصور القتل والسلب والنهب؛ حين كان الإنسان لا يأمن على حياته وحياة أسرته، وكانت البلاد عبارة عن مجموعة من الإمارات والقبائل والكيانات الممزقة التي تبعث الأسى في النفوس وتسودها شريعة الغاب دون رادع أو وازع من ضمير.

لقد أدرك ابن إبراهيم بعقلية السياسي المحنك، وخبرة الإداري المتمرس أن هذه المرحلة الجديدة، وفي ظل ما تشهده من متناقضات، تتطلب نهجاً سياسياً مغايراً لما كان سائداً من قبل، وأن المعركة الجديدة التي تنتظر القائد البطل هي معركته مع روح القبلية والعنصرية والتعصب الأعمى، ومع النعرات الجاهلية التي تثير من الفتن أكثر مما تخلد من مجد أو إرث إنساني، والتي تنال من وحدة الكيان الجديد أكثر مما تدعو إلى توقير الآباء والأجداد. كانت المعركة بين قائد مظفر طامح إلى نهضة وتقدم شعبه، وفئات مغرضة تحاول أن تهدم كل ما يبنيه لتعود بالبلاد إلى الوراء، ولتخمد جذوة الأمل في قلوب أبنائها.

كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم جندياً مخلصاً من جنود التوحيد، وواحداً من الذين منحهم الملك عبد العزيز ثقته وخصَّهم بصحبته واعتمد عليهم في توطيد أركان حكمه، والإسهام في إرساء قواعد الأمن والاستقرار في شتى أنحاء البلاد.

ولأنه كان من رجال الملك عبد العزيز الأوفياء، ولأنه شارك في كثير من المعارك التي خاضها الملك المؤسس في سبيل توحيد أرجاء المملكة، فقد أدرك أن محاولات إحياء النعرات والعصبيات القبلية لا تقل في خطرها عن أخطار الفرقة والتشتت التي خاض الملك عبد العزيز حروبه الضارية ضد دعاتها، ولأنه حفاظاً على الوحدة الوليدة التي تنعم بها البلاد لابد من سد الطريق أمام المغرضين ودعاة الانفصالية والتشتت.

لقد دفعه واجبه الوطني، ووفاؤه وإخلاصه للملك عبد العزيز وسعيه إلى حماية القيم والأهداف التي ناضل الملك المؤسس من أجلها إلى مناشدة الملك الاستجابة لمطلبين أساسيين رأى الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم فيهما وسيلة ناجعة لقطع دابر الفتن، والقضاء على دعاوى الفرقة والتشتت التي كانت لا تزال تتردد في بعض الأنحاء، وكان هذان المطلبان:

الأول: الموافقة على تحويل اسم المملكة من "المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها" إلى "المملكة العربية السعودية".

الثاني: وضع نظام للحكم وتوارث العرش تأييداً لمركز الدولة في الداخل والخارج، وتخليداً لها على مر العصور.

فقد كان الاسم الأول اسماً يحمل معالم الفرقة والانقسام، في حين أن الاسم المقترح يؤكد على صيغة الاتحاد والكيان الواحد وارتباطه باسم مؤسس هذا الكيان الملك عبد العزيز طيب اللهلله ثراه.

وإيماناً من الأمير عبد العزيز بن إبراهيم برأي الجماعة، وإعمالاً لمبدأ الشورى في الوصول إلى القرارات المصيرية التي تتعلق بمصلحة الأوطان،

فقد جمع ابن إبراهيم أهالي المدينة المنورة من علماء ووجهاء، وعرض عليهم فكرته، وطلب منهم إبداء الرأي، فوافقوا على ماعرضه عليهم وطلبوا رفع برقية باسمهم إلى جلالة الملك يطلبون فيها موافقته على هذين المطلبين الوطنيين.

ولقد سجل المؤرخون الذين عاصروا تلك الأحداث، هذا الموقف لابن إبراهيم، فأشارت مجلة المنهل[1] إلى ما رواه المؤرخ أمين الريحاني، وهو ما اعترف به أعيان المدينة المنورة في برقيتهم التي رفعها الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بخطاب إلى عاهل الجزيرة، جاء فيه:

حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك المفدى عبد العزيز آل سعود أيده الله .. أتشرف بأن أعرض لجلالتكم أنه في هذا اليوم الموافق 14 جمادى الأولى سنة 1351هـ قد اجتمع العلماء والأهالي. وبعد المذاكرة والبحث قرروا رفع برقيات منهم لأعتابكم العالية يسترحمون فيها صدور إرادتكم السنية بالموافقة على تحويل اسم المملكة الذي هو «المملكة الحجازية والنجدية» إلى اسم «المملكة العربية السعودية» ..

وقد بنوا قرارهم المشار إليه على حقائق اجتماعية أوضحوها فيه .. كما أنهم نوهوا بلهجة أكيدة باسترحامهم بصدور أمركم الجليل بوضع نظام للحكم، وتوارث العرش تأييداً لمركز الدولة في الداخل والخارج، وتخليداً لها على مر العصور كما هو المحقق بعنايته تعالى. وحيث أن في ذلك تأمين المصلحة فإني أضم صوتي إلى صوتهم مسترحماً صدور الأمر الملكي الكريم بإسعاف مرغوبهم سيدي.

وكيل إمارة المدينة المنورة

عبد العزيز بن إبراهيم

(١) مجلة «المنهل»، العدد ٦٠٨، المجلد ٦٩، شوال ١٤٢٨هـ

أما البرقية التي رفعها أعيان ووجهاء المدينة إلى الملك عبد العزيز – طيب الله ثراه – والتي نشرتها جريدة «أم القرى» [1] في ذلك الوقت فقد كان نصها كالتالي:

حضرة صاحب الجلالة مليكنا المعظم عبد العزيز آل سعود أيده الله
الرياض
بحمده تعالى في اليوم الرابع عشر من جمادى الأولى عام 1351هـ قد اجتمع الموقعون أدناه من علماء وأهالي وتجار المدينة المنورة للبحث والتشاور في أمر خطير يعود نفعه على هذه البلاد التي مَنّ الله عليها بأن يكون الجالس على عرشها جلالة الملك المفدى عبد العزيز آل سعود أيده الله، ذلك أن الباري سبحانه قد اختصها من بين الأقطار على الإطلاق، وأظهر الممالك العربية استقلالاً، ووهب أهلها مفاخر خاصة بهم فجعلهم عنصراً عربياً متحداً في الدين الإسلامي، والعادات، والأخلاق، والتاريخ .. إلى غير ذلك مما يدعو ويحض على وحدة البلاد بكل معاني الوحدة، ومظاهرها القيمة، ولكون أهم هذه المظاهر هو اسم المملكة التي تشمل أبناء الأمة العربية الموصوفة آنفاً، ولأن اسمها الحالي هو «المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها» لا يفي بالغرض الأسمى المطلوب، إذ أنه لا يدل على الاتحاد العنصري والحكومي والشعبي الماثل في هذه الأقطار العربية، فنظراً لما شرح، وإظهاراً لكمال التضامن الموجود حالياً واستقبالاً (والذي تجلى في حوادث ابن رفادة الأخيرة) لذلك فإن عموم المجتمعين يسترحمون من جلالة الملك المفدى أن يتفضل بإصدار إرادته الملكية بالموافقة على تحويل الاسم الحاضر إلى الاسم التالي «المملكة العربية السعودية» لأن هذا الاسم أكثر انطباقاً على الحقيقة الراهنة؛ ولأنه أدل على الأماني المقبلة، وأظهر في الإشارة إلى من كان السبب الوحيد في انتظام عقد هذا الاتحاد الميمون .. ألا وهو شخص جلالة الملك المحبوب، ولأنه يشمل جميع البلاد العربية التي وفق الله جلالة الملك بتوحيد شملها ولم شعثها.

(١) جريدة «أم القرى»، العدد ٤٠٧، ٢٩ جمادي الأول ١٣٥١هـ.

هذا ولما كان الانتظام والاستقرار هما من الشروط الأولية في بقاء الدول، واستمرارها كما يبرهن عليه التاريخ وتتبع أحوال الأمم والحكومات. لهذا فإننا نتقدم أيضاً إلى حضرة صاحب الجلالة مليكنا المفدى أطال الله بقاءه مسترحمين من جلالته أن يصدر أمره العالي بوضع نظام للحكم، وتوارث العرش، لما في ذلك من تقوية مركز البلاد مادياً وأدبياً. ولكي يعلم القاصي والداني من الأصدقاء وخلافهم، أن هذا الملك بحول الله وقوته باق على مر الدهور موطد الأركان لا تؤثر فيه الزعازع، وأنا واثقون بأن جلالتكم حفظه الله أول من يقدر هذه الحقيقة الاجتماعية حق قدرها .. وفق الله جلالتكم لما فيه الفلاح والصلاح.

(محمد زكي، السيد عبد الجليل مدني، محمد حسن سمان، عبد الله جمل الليل، إبراهيم بري، حمود دشيشه، عبد الله مسلم، صالح عبد الله الزغيبي، عبيد مدني، إسماعيل حفظي، يحيى زكريا، حسام الدين المصطفى، صالح التونسي، محمد الطيب التنبكتي، عبد الرؤوف عبد الباقي، ذياب، عبد العزيز مدني، أحمد بساطي، عبد الله برزنجي، محمود شويل، عتيق بن محمد المخرج، حسني العلي، السيد زين العابدين مدني، عبد العزيز الخريجي، محمد الخريجي، حسين طه، محمد زين بري، أبو بكر أسعد سعد، محمود دشيشة، حمزة بافقيه، عباس قمقمجي، عبد الله بن عمرو، صالح البلاع، محمد الدغيثر، إبراهيم التركي، على عبد الله عقيل، حسن عبد الجبار، إبراهيم هاشم، زين صافي، صالح خاشقجي، محمد حسين جياد، محمد أسعد).

وقد أشار إلى هذا الموقف التاريخي للأمير عبد العزيز بن إبراهيم، الكاتب عبد الله عمر خياط في مقال له بجريدة "عكاظ"(١) بعنوان "لعلم من لا يعلم" استعرض فيه دور الأمير ابن إبراهيم في توحيد المملكة، وكيف

(١) جريدة "عكاظ" العدد ١٥١٢٨، الأحد ١٨ محرم ١٤٢٩هـ، ٢٧ يناير ٢٠٠٨م.

تم إطلاق اسم المملكة العربية السعودية، مشيراً إلى الخطاب الذي رفعه معالي الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم إلى الملك عبد العزيز آل سعود مرفقاً به البرقية التي حملت رغبة أهالي المدينة المنورة في إطلاق اسم المملكة العربية السعودية على الكيان الجديد، والذي استهدف خياط به تذكير الأجيال الجديدة بالأدوار والمواقف الوطنية التي أنجزها الأمير ابن إبراهيم، وإسهامه الذي لا ينسى في هذا الحدث الفريد.

كان الملك عبد العزيز، طيب الله ثراه، يدرك مدى إخلاص الأمير عبد العزيز بن إبراهيم له، وتفانيه في الدفاع عن الأهداف الوطنية والوحدوية التي يسعى الملك المؤسس لتحقيقها، كما كان يثق في سلامة تفكيره ورجاحة عقله، ولذلك فقد تلقى رغبة أمير المدينة المنورة عبد العزيز بن إبراهيم، ومعها رغبة أهالي المدينة، بقدر عال من التقدير والاهتمام، والحرص على تلبية مطلبهم الذي يصب في صالح البلاد والعباد، فاستجاب، طيب الله ثراه، لما جاء في الخطاب والبرقية من رغبة شعبية صادقة عكست مشاعر الحب والتقدير والولاء التي يكنها الشعب لمليكه، لأن ابن إبراهيم أحد رجال الملك عبد العزيز الأكفاء الذين كان الملك يسند إليهم المناصب المهمة في البلاد، وكانت إمارته في المدينة المنورة تتويجاً لمرحلة طويلة من العمل الوطني لعب إبن إبراهيم خلالها العديد من الأدوار الوطنية التي أهلته ليكون واحداً من رجالات الملك عبد العزيز القلائل الذين يعتمد عليهم في تنفيذ مشروعاته وبرامجه الإصلاحية، بدءاً من دوره كرسول للسلام في حائل حين وقع عليه الاختيار من قبل أهالي حائل، لإقناع أمير حائل محمد

ابن طلال بن رشيد بالتسليم للملك عبد العزيز لحقن الدماء، وفك الحصار عن أهلها، ثم دوره في إرساء دعائم الأمن في أبها والقضاء على فتنة آل عائض، وصولاً إلى الطائف ودوره في إنهاء حالة عدم الاستقرار والفوضى التي سادت المنطقة، وكانت هاتان التجربتان المميزتان اللتان عاشهما الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، وخاض خلالهما من المعارك والمواقف، وأنجز من المهام ما صقل وعيه السياسي ، وأرهف حسه الأمني، وأثرى خبراته الإنسانية والحياتية، الأمر الذي عزز مكانته لدى القائد المؤسس، وجعله واحداً من رجاله القلائل الذين يثق في رجاحة عقلهم وحكمتهم ونفاذ بصيرتهم وقدرتهم الفائقة في الحكم الصائب على الأمور.

وكما اقترن اسم الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بمعارك الملك المؤسس لتوحيد أرجاء المملكة، وبخططه الإدارية والأمنية الرامية إلى بسط سلطة الدولة على كافة الأرجاء، في المناطق التي تولى إمارتها، فقد شاءت الأقدار أن يقترن اسم ابن إبراهيم بالحدث التاريخي الذي جسده المرسوم الملكي الذي أصدره الملك المؤسس تحت رقم ٢٧١٦ في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ (١٨ سبتمبر ١٩٣٢م) والذي حقق فيه المطلبين اللذين رفعهما ابن إبراهيم إلى جلالته، حيث أمر الملك عبد العزيز بتحويل اسم المملكة القديم إلى اسمها الحالي "المملكة العربية السعودية"، اعتباراً من يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ.، كما طلب من مجلس الوكلاء، الذي كان قائماً في ذلك الوقت، الشروع حالاً في وضع نظام أساسي للمملكة، ونظام توارث العرش، ونظام تشكيلات الحكومة وعرضها على جلالته لاستصدار أوامره فيها.

أول مشروع عمراني بالمدينة المنورة:

من أبرز المشروعات التي تم تنفيذها بالمدينة المنورة، خلال فترة إمارة ابن إبراهيم عليها، إنشاء الطريق الجديد إلى مسجد قباء، وكان هذا الطريق الذي شقه فخري باشا إلى قباء قد اندرست معالمه، فبعد رحيل العثمانيين عاد أصحاب البساتين التي شقت فيها الطريق وأغلقوا بساتينهم في وجه العابرين، واستعادوا الأرض التي خصصت للطريق، واضطر المتجهون إلى قباء لاستخدام الطريق القديم الملتوي، فأعادت البلدية دراسة الطريق وبدأت بشقة ثانية في رجب ١٣٥١هـ، وقد اشترى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بعض القطع المملوكة لبعض أصحاب البساتين من ماله الخاص وأوقفها للطريق، وتبرع لبعضهم الآخر بالقطع التي سيمر بها الطريق من أرضه، وقبل نهاية العام كان المتجهون إلى قباء يسيرون على طريق مستقيمة تبدأ من باب العنبرية وتنتهي بمسجد قباء تختصر نصف مسافة الطريق القديم الملتوي، وقد روعي في إنشائه أن يكون عريضًا يتسع لمرور سيارتين على الأقل لتتمكن السيارات من السير فيه(١).

وقد بلغ عدد قطع الأراضي التي قام الأمير ابن إبراهيم بشرائها بماله، ست عشرة قطعة من الأراضي الواقعة في الطريق، وجعلها وقفًا لله تعالى من لدنه، كما تنطق به الحجة المخرجة من محكمة المدينة الشرعية

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص٢٠٣.

الكبرى المؤرخة في ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣هـ، والمقيدة في سجل هذه المحكمة بالعدد رقم (١٠٧) والمجلد (١)[1].

ويحكي عبد القدوس الأنصاري، ضمن سلسلة ذكرياته، قصة الموضوع الصحفي الذي كتبه عن قيام الأمير ابن إبراهيم بإصلاح هذا الطريق فقال:

"كان رحمه الله دعته أريحيته وشهامته إلى أن يقوم بإصلاح (طريق المدينة – قباء) المملوءة أبعادها وجوانبها بـ (بعل) النخيل الشائك الذي يجعل قيام الراغب في زيارة مسجد قباء أمرًا مرهقًا مما يجتازه ويطئه في طريقه من المدينة إلى هذا المسجد المأثور من أشواك متراكمة أو منثورة تحت تلك الشجيرات الوفيرة التي تقف له بالمرصاد والمملوء بها الطريق الضيق المغلق تقريبًا من بعد باب قباء حتى قرب مسجد قباء. فقرر أن يزيل عنه سائر ذلك البعل المؤذي للمشاة غاية الإيذاء، وأن يوسعه وأن يجعله مستقيمًا لاحبًا، سهل الامتطاء مؤنسًا ومريحًا وسارًا بحيث يشاهد الواقف بباب قباء بالمدينة المنورة، مسجد قباء ماثلاً أمامه بدون أية حواجز للسير أو للبصر، فقام – رحمه الله – وجزاه خيرًا وثوابًا – بشراء كل ما في الطريق من حدائق وأراض عامرة وغامرة واستصدر من المحكمة الشرعية بعد الانتهاء من عمليات البيع والشراء صكًّا شرعيًا بإفراغ سائر الطريق لملكيته الخاصة ثم أصلحه وجمّله ووسّعه وجعله مستقيمًا ليكشف للإنسان كشفًا مبينًا كل ما حواه الطريق وكل رحاب مسجد قباء، وما حوله، وجعل

(١) عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة، ط٣، ص٨٤.

هذا الطريق كله وقفًا خالدًا خالصًا من لدنه، وعلمت بذلك من متابعاتي الشخصية للأحداث العمرانية، والتاريخية بالمدينة، فرأيت من جانبي رأسًا أن أقوم بعملية إعلامية عن هذا الطريق أوضح مزاياه ومعالمه للقراء وما قام به أمير المدينة من شرائه، وإصلاحه وتعبيده وتوسعته واستقامته على نفقته الخاصة ليسهل عبور الأفراد والجموع الذاهبة من المدينة المنورة إلى ضاحية قباء الزهراء بصفة عامة، وإلى مسجد قباء المبارك بصفة خاصة، بدون أن يتعرضوا لايذاء الأشواك بعل النخيل المنتشر هناك انتشارًا شاملاً مزعجًا.

وذهبت ذات أمسية من أمسيات الشتاء غير القارس صوب مسجد قباء من هذه الطريق الملتوية المزعجة أيما إزعاج لكل من يعبرونها ذهابًا وإيابًا. وقد أصبحت الآن مطية ذلولاً مطواعًا لهم يتيسر لكل من جموعهم وأفرادهم سلوكها، وذلك بعد شراء الأمير لأجزائها من أصحابها وتنقيتها من الشوائب التي كانت مملوءة بها، فقد استوت سطوح أرضيتها وعبدت ووسع عرضها الذي كان ضئيلاً معوجًا ملتويًا، وامتدت أبعاد طولها ووضحت معالمها ومعالم ما توصل إليه من قريب وبعيد وامتدت إليها نفحات أريج الأزاهير العبقة المنبثقة من حدائق قباء الغناء مباشرة بعد أن ظلت دهورًا حبيسة عنها بما انتشر في أرجائها من نخيلات البعل الفوضوي بين النبات.

وجلست على كرسي بلدي وحدي كان بالجانب الشمالي المحاذي لمسجد قباء وفي براحه الأفيح، وجعلت أدون مشاهداتي وملاحظاتي على أوراق أعددتها لهذه المهمة المحدودة وبيضت ما كنت كتبته في منزلي

الكائن بزقاق الحمزاوي القريب جدًا من المسجد النبوي، ثم وضعت ما بيضت في ظرف كتبت عليه عنوان: (جريدة الأهرام القاهرية) واسم رئيس تحريرها يومئذٍ (داود بركات) وحملت معي الخطاب والرسالة الإعلامية بعد إلصاق الطوابع اللازمة عليه إلى مكتب بريد المدينة الواقع في منطقة الباب الشامي حينئذٍ، ولقد سلمته للمأمور المختص الذي سلمني بدوره إيصالاً بالخطاب المسجل، ومضت الأيام تباعًا حتى إذا كان يوم شديد البرد مطير شديد الأمطار، قمت مبكرًا من المنزل إلى ديوان إمارة المدينة المنورة مقر عملي الرسمي الذي تفضل معالي الأمير ابن إبراهيم بتعييني فيه عقب تخرجي رأسًا من القسم العالي بمدرسة العلوم الشرعية فلقد كان (الرئيس الفخري) المشرف على اختباراتها النهائية لكبار الطلبة الذين يتخرجون منها يومئذٍ والذين كنت من بينهم.

ولقد كان رحمه الله عقب انتهائنا من الاختبارات الشفوية والتحريرية العميقة الثقيلة أصدر أمرًا شفويًا إلى مدير المدرسة ومؤسسها أستاذنا المرحوم السيد أحمد الفيض آبادي (رحمه الله) بأن أكون أحد كتّاب الديوان مباشرة في صبيحة ذلك اليوم، وتم ذلك بدون اتخاذ أية إجراءات رسمية روتينية فباشرت عملي بالديوان مباشرة سارة بمقتضى أمره الشفهي الكريم.

وبعد مضي أيام عديدة رأيتني أذهب إلى مقر الأمير بالديوان في المجمع الحكومي القديم بشارع باب العنبرية ومنه إلى دار آل جعفر بشارع العنبرية اللاحب التي اتخذها الأمير مقرًا لإقامته، وجلست

بين يديه في الصباح الضاحي أقدم له الأوراق الرسمية لإطلاعه عليها ولتوقيعها بختمه الرسمي، ولاحظته وهو يمد يده ويخرج من درج أمامه عددًا من جريدة "الأهرام" ويفتحه ويناولني إياه قائلاً: (اقرأ هذا) فقرأت نفس الرسالة التي كنت بعثت بها قبل أمد إلى رئيس تحرير جريدة "الأهرام" مسجلة بالبريد عن إنشائه لطريق قباء الجديد – المعبد الممتد الذي اشترى أجزاءه كلها وفتحه لزائري مسجد قباء من أهلين وحجاج من ماله الخاص لوجه الله تعالى ليزوروا المسجد بدون عناء لهم فسررت بما قرأت سرورًا عميقًا، وقال لي على الفور: (أنت ذهبت إلى قباء ماشيًا فلم تتمكن بذلك من رؤية أبعاد الطريق بالدقة المطلوبة، وقد أمرت لك بحصان تمتطيه صوب هذا الطريق ذهابًا وإيابًا)، وفعلاً استدعى أحد رجاله المقربين إليه (هوشان) الذي كان يقوم فيما يقوم به من المهام بالإشراف على حظيرة خيوله إلى مطالبه الأخرى، لثقته به، وقال له: آتنا بالحصان... حالاً، وسرعان ما جاء به وامتطيت الحصان العربي الأشهب حتى مسجد قباء وعلى نفس الكرسي الذي كتبت فوقه الرسالة الأولى إلى "الأهرام" سطرت ما رأيته ولاحظته من جديد بتوسع في «طريق قباء – المدينة» الموسع المنظم.

هذا ومن حسن الحظ أني عثرت على الرسالة الثانية التي كنت بعثت بها في سنة ١٣٥١هـ، إلى جريدة "الأهرام" القاهرية عن إنشاء معالي الأمير عبد العزيز بن إبراهيم لطريق قباء الجديد اللاحب المستقيم الذي يطلع المرء وهو بباب قباء على مسجد قباء مباشرة وإني مزمع نشر تلك الرسالة التي

تعتبر الآن وثيقة تاريخية لإنشاء هذا الطريق التي تعتبر بحق من أوائل القيام بالمشروعات العمرانية للطرق والشوارع في هذه المملكة(١).

وفيما يلي النص الكامل لهذه الرسالة الصحفية، نظرًا لأهميتها التاريخية:

مشروع إنشاء طريق
إلى مسجد قباء وتنظيمه

مقدمة:

كان زائرو هذا المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم من الأهالي والحجاج يلاقون متاعب كثيرة بسبب وعورة الطريق المستعمل قديمًا وخرابه الفادح وحفره وأخاديده والحجارة المبثوثة فيه والتفل من النخيل الملاصق له، والأتربة التي تغوص فيها أقدامهم علاوة على طوله بسبب كثرة تعرجه فلا يصل الزائر إلى مسجد قباء راجلاً أو راكبًا إلا وقد لقي الأمرين وانتهكت قوى ركوبته بسبب استفحال الخراب وطول مسافة الطريق وامتلائه بنخل صغير مبعثر مليء بالأشواك.

إنشاء الطريق الجديد وتنظيمه:

استفحل الخراب كثيرًا في طريق قباء المشار إليه أعلاه في الأيام الأخيرة بصورة هائلة... ولما شاهد معالي وكيل أمير المدينة المنورة الأمير عبد العزيز ابن إبراهيم أدام الله توفيقه، حالته المشروحة آنفًا، وأحاط علمًا بما يلاقيه المارة

(١) عبد القدوس الأنصاري، أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الأولى، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٢٩، ١٤ صفر ١٤٠٣هـ.

من مشاق راجع جلالة الملك المعظم وسمو نائبه العام في هذا الأمر فأصدرا إليه أمرهما الكريم بضرورة المبادرة في تنفيذ هذا العمل، وبالفعل قام بهمته العالية من تلقاء نفسه بدون باعث غير ضميره وشرع بهمته المشكورة في إنشاء طريق كبير منتظم يكون كافلاً لراحة الصادرين والواردين مع طول المسافة فاشترى (١٥٠٠) متر من الأراضي التي تتخلل الطريق من جهات مختلفة من ملاكها، وقد تم شراؤها برضاء ملاكها واختيارهم بدون إجبار ولا إكراه، كما تبرع البعض بقطعهم من الأراضي... وبالفعل اشتغل العمال في تنظيم الطريق وتسويته بالشكل المرغوب... ومما يجدر بالذكر هنا أن معالي الأمير حفظه الله قد اهتم بإنجاز هذا العمل فصار ينتقل من يوم إلى آخر بسيارته لمراقبة العمال، والأمر بما يلزم لإتمام العمل.

مميزات الطريق الجديد:

تفضل سمو الأمير فأصدر أمرًا بإركاب كاتب هذه السطور حصانًا لمشاهدة الطريق الذي تم بمساعيه وهمته، فركبته في مساء يوم الجمعة ٢ رجب ١٣٥١هـ وابتدأت السير من الطريق القديم وعدت من الجديد للمقارنة بينهما ووجدت أن للطريق الجديد مميزات جلى عن القديم ومن أهمها:

١- اختصار المسافة فقد كان يقوم زائر مسجد قباء من باب قباء فلا يصل المسجد إلا بعد أن تدمي قدميه الأشواك أما الآن فأصبحت مدة سيره بسيطة وميسرة.

٢- حصول الراحة للمارين والزوار لحسن تنظيم هذا الطريق واستقامته بالنسبة للطريق العام.

٣- دفن الحفر والأخاديد التي كانت في وسط هذا الطريق وقطع الأشواك والشجيرات التي كانت في شتى نواحيه وتصفيته من كل العوائق، وعلاوة على ذلك فقد كان يقوم في وسط هذا الطريق من ناحية مسجد قباء أربع مجارٍ لمياه العين الزرقاء فلما رأي معالي الأمير أن بقاءها في وسط الطريق سيمنع انتظامه المنشود أمر بسدها بعد إنشاء عقود تحت سطح الأرض لجريان ماء العين الزرقاء، فتم انتظار الطريق بالكيفية المطلوبة.

فرش الرحبة الواقعة أمام مسجد قباء:

وقد أكمل معالي الأمير هذا المشروع العمراني بفرش الرحبة الواقعة أمام مسجد قباء بالرمل الأحمر الذهبي بعد إزالة الحجارة النائية منها، فكان للرحبة بعد إكمال هذا العمل منظر جميل.

مزايا اقتصادية مهمة:

أنا أود أن لا يفوتني التنويه بما تضمنه هذا المشروع المفيد (قباء وتنظيمه) من مزية اقتصادية تسعى الدول العظام للحصول عليها في حالة العصر الحاضر وهي: إيجاد عمل للعاطلين من العمل بدوًا وحضرًا الذين عملوا في تنفيذ هذا الطريق"[١].

إنجازات في أكثر من مجال:

شهدت الأجهزة الرسمية العاملة في مجال الخدمات تطورات ملموسة،

(١) عبد القدوس الأنصاري، أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الأولى، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٢٩، ١٤ صفر ١٤٠٣هـ.

لتواكب النهضة الجديدة التي تعيشها المدينة المنورة، فبدأت شركة الكهرباء اعتبارًا من عام ١٣٤٦هـ. في توسيع خدماتها بعد أن كانت مقتصرة على الحرم النبوي وساحته، فمدت أسلاكها إلى الشوارع الرئيسة، والمخازن وبعض البيوت وأمدتها بالتيار الكهربائي، وبعد مرور عامين تطور أداء المحطة الكهربائية بعد تزويدها بمحرك لتوليد الكهرباء قوته ٤٠ حصانًا، وبدأ تشغيل المحرك الجديد في شوال عام ١٣٤٨هـ، وقد خصص هذا المحرك لمد المسجد النبوي وساحته بالكهرباء، وفي الوقت نفسه كان عدد من الأهالي يحضرون محركات خاصة صغيرة تزوّد بيوتهم بالكهرباء.

أما الحركة التجارية في الأسواق فقد نشطت بصورة ملحوظة، تعكس الأمان الذي بدأ الناس ينعمون به، وانتظم السفر بين المدينة ومكة بالسيارات للسبب نفسه، وارتفع عدد الوافدين إلى الزيارة في المناسبات المختلفة، وبدأت المدينة تشهد انتعاشًا اقتصاديًا يعوضها عن سنوات الفوضى وضعف الإدارة الهاشمية وفترة الحصار الطويل التي تعرضت له المدينة.

وخطا التعليم في المدينة المنورة خطوات واسعة من خلال جهود الدولة التي تمثلت في إنشاء المدرسة الناصرية في باب الكومة، والمدرسة المنصورية في الهاشمية، ومدرسة النجاح في الداودية، إضافة إلى المدارس التي أقامها بعض الأهالي، والتي كانت أشبه بمؤسسات خيرية، وكان من أبرزها مدرسة العلوم الشرعية، ومدرسة دار الأيتام، فضلاً عن حلقات الدراسة في المسجد النبوي الذي نظم بقرار من الملك عبد العزيز وعين مدرسون، وبدأ يستقبل الطلاب للدراسة فيه.

وخلال هذه الفترة المضيئة من تاريخ المدينة المنورة، اختير ثلاثة من أبناء المدينة ضمن أول بعثة تعليمية توفدها الدولة إلى مصر لإكمال دراستهم الجامعية، وهم أحمد العربي، الذي رشح لدراسة القضاء الشرعي في جامعة الأزهر، وولي الدين أسعد الذي رشح للدراسة في دار العلوم، وحمزة نائل دويدار الذي رشح للدراسة في كلية الزراعة. سافرت البعثة في رجب عام ١٣٤٦هـ، وبعد سنتين من سفر هذه البعثة سافر أحد أبناء المدينة المنورة في أول بعثة تخصصية عليا وهو الدكتور محمد خاشقجي، الذي ابْتُعِثَ إلى أوروبا للتخصص في أشعة رونتكن.

وشهدت المدينة في هذه الفترة تطورات في وسائل المواصلات وحركة نقل الزائرين والحجاج، فقد استفادت من دخول السيارات إلى المملكة بكثافة وإنشاء أكثر من شركة نقل.

وبتطور وسائل المواصلات تطور مرفق البريد تبعًا لذلك، بداية من ربيع الأول عام ١٣٤٨هـ، وكان البريد حتى ذلك الوقت ينقل على الجمال السريعة ويستغرق من المدينة إلى مكة ما بين يومين إلى ثلاثة أيام. ومع دخول السيارات اتجهت إليها الأنظار لتقوم بمهمة نقل البريد واختصار الزمن، وقامت إدارة البريد باستيراد عدد من السيارات، ونظمت رحلات النقل بين مكة والمدينة، وبدأتها برحلة أسبوعية واحدة، حيث تقوم السيارة من مكة أو جدة - حسب إقامة الملك عبد العزيز - يوم السبت، وتقطع المسافة في خمس عشرة ساعة إلى المدينة، ثم تعود إليها يوم الثلاثاء، وتحمل الرسائل الحكومية والأهلية

والطرود، ثم بدأت باستقبال الحوالات المالية لقاء رسم بسيط، وكانت سيارة البريد تحمل إضافة إلى أكياس الرسائل والطرود والأموال بعض المسافرين بين المدينتين. وقد ظلت هذه الرحلة أسبوعية إلى أن زيدت وصارت رحلتين في الأسبوع، واحدة يوم الاثنين والأخرى يوم الخميس من كل أسبوع[1].

وفي المجال الثقافي شهدت المدينة المنورة حركة ثقافية نشطة، وتكونت الجماعات الأدبية التي يلتقي أعضاؤها لتدارس شؤون الأدب والأدباء والمثقفين. وكان من ثمار هذه النهضة الأدبية والثقافية ظهور فكرة إصدار مجلة "المنهل" التي لاقت ترحيب الأمير ابن إبراهيم، فقدم كل الدعم والتأييد لها حتى بعد أن ترك إمارة المدينة المنورة إلى مجلس الوكلاء، وقد صدر العدد الأول منها في ذي الحجة عام ١٣٥٥هـ، بعد ترك ابن إبراهيم للمدينة بحوالي عشرة شهور، كما ظهرت فكرة إصدار جريدة "المدينة المنورة" لصاحبيها علي حافظ وعثمان حافظ، بعد أن استقدما لهذا الغرض مطبعة من مصر[2].

الملك عبد العزيز يزور المدينة المنورة:

حظيت المدينة المنورة على الدوام، باهتمام الملك عبد العزيز ورعايته، وقد تمثل ذلك في أكثر من مناسبة، فمن الأمر الذي أصدره - يرحمه الله - لقادة جيشه الذين يحاصرون المدينة بألا يهاجموها وأن يكتفوا فقط

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص٢٠٣، ٢٠٤.
(٢) عبد الكريم نيازي، مجلة المنهل، رجب - شعبان ١٤١٥هـ، ص٤٨.

بحصارها حتى تستسلم، إلى تعيين الأمير محمد بن عبد العزيز أميرًا عليها بعد انضمامها للدولة السعودية، وكان هذا التعيين تكريمًا لأهلها وعرفانًا بما لهذه المدينة من منزلة خاصة وقداسة لدى المسلمين، إلى اختيار الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا عليها. وهو الأمير البارز الذي سبقه صيته وشهرته كأمير ناجح في كل من أبها والطائف، مما كان له كبير الأثر في أن تشهد المدينة العديد من الإصلاحات الكبرى خلال فترة إمارة ابن إبراهيم عليها.

ولم يكتف الملك عبد العزيز بذلك، بل إنه حرص على زيارة المدينة بعد دخولها تحت الحكم السعودي، لتفقد أحوالها بنفسه، لكنه وجد من المهام العاجلة التي تلت استسلام جدة وخروج الملك علي، ما جعله يؤجل تلك الزيارة. وكان جلالته خلال إقامته في جدة يتردد على مكة ويعالج شؤونها، كما يعالج شؤون القبائل ويتابع أعمال الهيئة التأسيسية المكلفة بوضع النظام السياسي للبلاد، وما أن شعر - يرحمه الله - بأن الأمور الأمنية والإدارية قد قطعت شوطًا حسنًا، حتى عزم على زيارة المدينة المنورة، وفي نيته أن يمكث فيها وقتًا طويلاً، وقد سافرت العائلة الملكية في الأسبوع الأول من شهر ربيع الآخر على الرواحل، بينما توجه الملك عبد العزيز إلى جدة ليسافر منها إلى المدينة بالسيارات، وفي الحادي والعشرين من ربيع الآخر تحرك الركب الملكي في تسع عشرة سيارة إلى قرية (العضيمة) حيث استقبل الملك عبد العزيز أعيانها، وقضى الليل فيها، ثم غادرها في الصباح إلى رابغ التي غادرها في اليوم التالي إلى المدينة. وقد

خرج لاستقبال الموكب الملكي وكيل أمير المدينة إبراهيم السبهان ونائبه حمزة غوث وأعضاء المجلس الإداري وعدد من أعيان المدينة عند بئر درويش حيث سلموا على الملك. ثم تابع الموكب سيره، وعند بئر عروة – في مدخل المدينة – تجمع عدد من أهاليها لاستقبال الملك، وقد توقف الموكب لبعض الوقت، ثم تابع طريقه إلى المسجد النبوي، وبعد أن صلى الملك عبد العزيز فيه وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرج إلى قصر الإمارة، حيث استقبل الأهالي، ليبدأ أول أيام الزيارة.

وفي اليوم التالي قام الملك عبد العزيز بزيارة البقيع وعاد لاستقبال الأهالي، وفي اليوم الثالث زار مسجد قباء، وأقامت البلدية وليمة في محطة السكة الحديدية حضرها جمع غفير من المشايخ والأعيان، وكانت هذه اللقاءات أول لقاءات تتم بين الملك عبد العزيز وأهالي المدينة المنورة(١).

استمرت إقامة الملك عبد العزيز في المدينة المنورة قرابة شهرين، تم خلالهما تبديل وكيل أمير المدينة إبراهيم السبهان، كما أسلفنا، وتعيين مشاري بن جلوي خلفًا له، وقد تسلم ابن جلوي عمله خلال وجود الملك عبد العزيز بالمدينة. وقد بدأ الملك بالنظر في أمور الإدارات المختلفة، من خلال لقاءاته بكبار الموظفين الذين كان يستقبلهم ليناقش معهم أمور الحرم والأوقاف بدقة، والبحث في أعمال الموظفين لاختيار الأشخاص الذين يصلحون للعمل.

كما نظر في تنظيم القضاء، وأمر بتمهيد الطريق بين المدينة ومكة وينبع، والمدينة والرياض.

---

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص١٧٥، ١٧٦.

وخلال وجود الملك في المدينة، أصدر علماؤها، بما فيهم مفتو المذاهب الأربعة، فتوى لهدم القباب المقامة على الأضرحة وهدم القبور العالية، وأصدروا فتوى حول آداب زيارة الحجرة النبوية، تلغي البدع التي سادت من قبل، وتقرر آداب الزيارة وفق منهج السنة النبوية. كما اهتم - يرحمه الله - بشؤون القبائل حول المدينة وزاره شيوخها ووفود كثيرة منها، ونالوا من الأعطيات والمنح، وأكد الملك على قضية الأمن وأمن الحجاج ومسؤولية القبائل عما يحدث في منطقتها، والحزم الشديد الذي سيطبق. وقد خرج الملك بنفسه إلى بعض الهجر ومضارب القبائل حول المدينة مستقلاً القطار الراقد في محطة السكة الحديدية، حيث قام الموظفون الباقون بالمحطة بتشغيله، وركب الملك إلى (البوير) مع مجموعة من حاشيته، وزار القبائل هناك ومكث معهم بعض الوقت، ثم عاد به إلى المدينة المنورة، وكانت هذه الرحلة آخر ما شهده الخط الحديدي الحجازي من رحلات القطار قبل أن يدخل المستودع نهائيًا، ويتحول مع المحطة الكبيرة إلى جزء من الذكريات(1).

وأثناء وجود الملك عبد العزيز في المدينة وصلته الأخبار من نجد بتمرد فيصل الدويش ورفاقه، ومحاولته جمع بعض الأعوان والقبائل حوله، وإشاعتهم أن الملك عبد العزيز يستخدم آلات السحر (السيارات والطيارات واللاسلكي) واتفاقهم على نقض البيعة ومحاربة الكفر والشرك، فقرر الملك السفر إلى الرياض لمعالجة الأمر بنفسه والقضاء على الفتنة، فغادر الموكب الملكي المدينة المنورة

(1) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج3، ص178، 179.

في الثالث من شهر رجب عام ١٣٤٥هـ، لتنتهي بذلك الزيارة الملكية الأولى للمدينة المنورة بما تركته من آثار إيجابية على شتى أوجه الحياة في المدينة.

وكانت الزيارة الملكية الثانية للمدينة المنورة في السنة التي تولى فيها الأمير عبد العزيز بن إبراهيم إمارة المدينة المنورة. فبعد أن سافر الملك إلى الرياض لمواجهة فتنة الدويش، قام بعدة جولات على عدد من المدن والهجر ومراكز القبائل في نجد، ثم قرر العودة إلى الحجاز بعد أن يزور القصيم وحائل. ووصلت الأخبار بتوجه الموكب الملكي من حائل إلى المدينة بالسيارات، فاستعد الأمير ابن إبراهيم وكبار المسؤولين والأعيان لاستقبال جلالته، وأقيمت الأقواس ونصبت الأعلام والزينة، وجهز سرادق كبير في محطة العنبرية لإقامة حفل استقبال مناسب.

وفي صباح يوم الأربعاء ١٢ من شهر ذي القعدة ١٣٤٦هـ، خرج وفد على رأسه الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، ويضم الشيخ تركي برزنجي وعبيد مدني وإبراهيم بري وكامل جحا وأسعد أسعد وعبد العزيز الخرجي وذياب ناصر وسعود دشيشة وغيرهم، للقاء الموكب في منطقة (الصويدرة). وعندما وصل الملك عبد العزيز استقبله الوفد، حيث رافقه إلى المدينة وبدأ بالمسجد النبوي فصلى فيه وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى صاحبيه، ثم خرج إلى السرادق المقام في محطة العنبرية، وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة تحية للملك، وخرج الطلاب والشرطة وعدد كبير من الأهالي لاستقبال الملك، وفي السرادق أقيم احتفال قصير ألقيت فيه كلمات الترحيب

وبعض القصائد[1]. وقد ألقى الملك كلمة في الحاضرين تحدث فيها عن أسلوبه في الحكم والعلاقة التي يجب أن تكون بين الراعي والرعية، ومما جاء فيها:

"إننا نبذل النفس والنفيس في سبيل راحة هذه البلاد وحمايتها من عبث العابثين ولنا الفخر العظيم في ذلك.

وإن خطتي التي سرت ولا أزال أسير عليها، هي إقامة الشريعة السمحاء كما أرى أن من واجبي ترقية جزيرة العرب، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة، مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف.

أنني أعتبر كبيركم بمنزلة الوالد، وأوسطكم أخًا وصغيركم إبنًا، فكونوا يدًا واحدة، وألفوا بين قلوبكم، لتساعدوني على القيام بالمهمة الملقاة على عاتقنا.

إنني خادم هذه البلاد العربية، لنصرة هذا الدين، وخادم للرعية، إن الملك لله وحده، وما نحن إلا خدم لرعايانا، فإذا لم ننصف ضعيفهم، ونأخذ على يد ظالمهم، وننصح لهم، ونسهر على مصالحهم، فنكون قد خنّا الأمانة المودعة إلينا.

إننا لا تهمنا الأسماء ولا الألقاب، وإنما يهمنا القيام بحق الواجب لكلمة التوحيد، والنظر في الأمور التي توفر الراحة والاطمئنان لرعايانا.

إن من حقكم علينا النصح لنا، فإذا رأيتم خطأ من موظف، أو تجاوز من إنسان فعليكم برفع ذلك إلينا لتنظر فيه، فإذا لم تفعلوا ذلك فقد خنتم أنفسكم ووطنكم وولاتكم"[2].

---

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص٢٠٥.

(٢) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص٧٨٧، ٧٨٨.

وفي اليوم التالي، الخميس ١٣ من ذي القعدة ١٣٤٦هـ، زار الملك البقيع ومسجد قباء، وعند الظهر أقامت البلدية حفل غداء باسم أهالي المدينة احتفاء بالملك، وقد حضره جمع غفير من المسؤولين والأهالي، وبعد العصر استقبل الملك الأهالي في مقر الإمارة واستمع إلى طلباتهم وبحث معهم شؤون المدينة وفي اليوم التالي غادر الموكب الملكي المدينة المنورة إلى جدة؛ وكان في وداعه حشد كبير من أهلها في مقدمتهم الأمير عبد العزيز بن إبراهيم وكبار المسؤولين(١).

حياة ابن إبراهيم في المدينة المنورة:

أقام ابن إبراهيم، خلال إمارته على المدينة المنورة، بحي النقا، أحد أحياء المدينة المنورة الشهيرة، وهو يبتدئ من الشاطئ الغربي لمسيل وادي بطحان المعروف اليوم بأبي جيدة، ويذهب النقا مغربًا حتى ينتهي عند بئر السقيا الواقعة جنوب محطة السكة الحديدية الحجازية. وربما يرجع السبب في تسمية هذه البقعة بالنقا إلى نقاوة هوائها وصفاء تربتها من المكدرات(٢).

والنقا اليوم معمور بالدور الأنيقة والقصور الفخمة، وفي بعضه بناية محطة السكة الحديدية الحجازية، ذات الأعمدة الرشيقة والعقود البديعة والأماكن المسنمة المبنية على الطراز الحديث. وأمام هذه البناية في جنوبها الشرقي مسجد فخم ذو قبة شامخة، ومئذنتان رشيقتان شاهقتان. وبشرق هذا المسجد عمارة المجمع الحكومي الحديث الذي حل محل الثكنة

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة، ص١٧٠.

العسكرية العظيمة الرحبة الواسعة. وهناك عمارات سكنية جميلة الطراز من بينها عمارة المواصلات لشؤون الهاتف الآلي، وقد حلت محل دار الإمارة في عهد الحكومة السعودية(١).

وكان مجلس الأمير الليلي في داره بحي النقا عبارة عن منتدى يقصده الأعيان والعلماء والأدباء والمؤرخون، فإلى جانب أنه أمير بارز، فهو مؤرخ حضر شيئًا من المعارك وشهد وقائع مع الملك عبد العزيز، وله تجاربه الخاصة خلال قيادته بعض السرايا والجيش في عسير والطائف، وحينما بدأ عمله في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، كانت لديه حصيلة كبيرة من التجارب في الإدارة الإقليمية، والتعامل مع القضايا والمشكلات الأمنية والعسكرية، وكان من يحضر مجلسه يستفيد من ذلك(٢).

ويصف الأنصاري هذا الجانب من شخصية الأمير ابن إبراهيم فيقول:

"كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم من الأمراء ذوي الإحساس المرهف فيما يتعلق بتقدير الأدب والعطف على الأدباء واجتذابهم إلى حظيرة مجالسه ودعواته الخاصة والعامة. أذكر أن الصديق الأديب السيد عبيد مدني، رحمه الله، كان من بين أولئك الأدباء الذي يعطف عليهم الأمير عبد العزيز بن إبراهيم... وكنت منهم مع أنني كنت أحد موظفي ديوانه، وليس حبه مقصورًا على الأدباء وإنما كان كذلك محبًا للعلماء مكرمًا لهم... مقربًا لهم إليه، كان من محبيه الأوفين من العلماء الشيخ سليمان العمري قاضي المحكمة

---

(١) عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة، ص١٧٠، ١٧١.

(٢) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

المستعجلة بالمدينة، وقد كان من القضاه – المستقيمين الصالحين – وكان رئيس ديوانه الشيخ إسماعيل مصطفى حفظي زميلاً لي في الدراسة على شيخنا الشيخ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، وكان كاتبًا مجيدًا دقيق العبارات بليغ الكتابة يضع الكلمات الرسمية في مواضعها المناسبة، ويجعل من فنه الكتابي الرسمي مطابقة الحال بدون تزيد على المعنى المطلوب وبدون إفراط ولا تفريط في القالب اللفظي المنشود لقاعدة المطابقة المرغوبة كما يفصل الخياط الحاذق الثياب على أصحابها... فتبرز في قدم ملائم للابسها... بدون أن تكون فضفاضة زيادة على اللزوم ولا ضيقة على لابسها بحيث يضايقه ضيقها فيتمنى أن تكون أوسع مما هي عليه.

ولذلك كان يقدره ويحترمه... رحمه الله.

وممن كان يأنس بمجالسهم أديب المدينة المنورة اللامع وراويتها الذي لا يشق له غبار في رواية الآداب منثورها ومنظومها وطرائفها ولطائفها... الصديق الشيخ عمر بري رحمه الله... وذلك لأنه كان أديبًا وشاعرًا متمكنًا وراوية فذًا في زمانه"[1].

وعن حسن معاملته لأهل المدينة المنورة وأسلوبه في التعامل مع الناس قال الشيخ محمد الحافظ[2]:

---

(١) عبد القدوس الأنصاري، رحلتنا الثانية إلى منطقة الباحة، في: مجلة المنهل السنة ٤٥، المجلد ٤٠، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤٠٥هـ، ص٨٢٢، ٨٢٣.

(٢) الشيخ محمد الحافظ من الشخصيات المعروفة في المدينة المنورة، وقد عمل مدرسًا في مدرسة العلوم الشرعية لمدة عشرين عامًا، ثم أصدر الملك سعود – يرحمه الله – أمرًا بتعيينه قاضيًا بمحكمة المدينة، ووصل في القضاء إلى قاضي تمييز، وأمضى في سلك القضاء أكثر من ٢٩ عامًا، وقد عاصر تأسيس المملكة العربية السعودية. كما عايش فترة إمارة عبد العزيز بن إبراهيم على المدينة المنورة.

"كان عبد العزيز بن إبراهيم يحترم أهل المدينة ويقدرهم تقديرًا عظيمًا ويجل علماءهم وفضلاءهم، ولاشك بأن ذلك سمة الدولة السعودية من ذلك الوقت حتى وقتنا الحاضر، كما أنه بلا شك قد تلقى توجيهات المؤسس الكبير الملك عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – بهذا الخصوص كما كان عبد العزيز ابن إبراهيم يحب الرجال الشجعان وخصوصًا الذين يعملون للمصلحة العامة مهما كانت آراؤهم مخالفة لرأيه، وكان يتلقى انتقاداتهم إذا كانت للمصلحة العامة برحابة صدر. وهناك قصص متعددة تروى عن أحد الرجال المميزين في المدينة المنورة اسمه محمود ششه الذي كان مشهورًا بصراحته في الدفاع عن قضايا المدينة حتى أنه عينه عضوًا في مجلس الشورى، وكان الأمير يعجب به، وعندما توفي محمود ششه قال الأمير لجمع من أهالي المدينة: (يا أهل المدينة قد مات اليوم رجلكم). وكان ذلك ثناءً منه على الرجال المخلصين الذين كانوا يعملون لمصلحة مجتمعهم"(١).

استقالة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم:

أمضى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم قرابة عشر سنوات في منصب وكيل أمير المدينة المنورة، وكان دؤوبًا في تتبع قضايا الإمارة، شديد الحرص على توطيد الأمن داخل المدينة وخارجها. وقد تناقل الناس أخبارًا كثيرة عن دأبه الشديد ومتابعته الدقيقة، ويبدو أن إرهاق العمل قد أثر على صحته،

(١) من ذكريات الشيخ محمد الحافظ التي رواها للمؤلف، عن الفترة التي عاصر فيها الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في المدينة المنورة.

فمرض، فلما اشتد عليه المرض طلب من الملك عبد العزيز إعفاءه من منصبه فاستجاب له[1].

ويؤكد استقالة ابن إبراهيم من إمارة المدينة المنورة هذه البرقية التي بعث بها الملك عبد العزيز إلى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، وكان نصها كالتالي:

"وصل طرفنا الولد إبراهيم ومعه كتابكم الذي تطلبون فيه الاستقالة بموجب مرضكم.

والحقيقة تكدر الخاطر، ولكن ما دام الأمر فيه مضرة وتكليف عليكم فراحتكم ألزم علينا من كل شيء.

والذي فيه مشقة ما نقبله.

ولولا أنكم كررتم علينا وألححتم بطلب الاستقالة ما كان وافقنا. نرجو أن الله يعافيك ويديم وجودك. عبد العزيز".

والبرقية على قدر إيجازها وبساطة كلماتها، فإنها تعكس المنزلة التي كانت للأمير عبد العزيز بن إبراهيم لدى الملك عبد العزيز، وما كان يكنه جلالته – يرحمه الله – له من محبة وتقدير، ومدى حرصه على سلامته وراحته، وما كانت كلمات مثل "الحقيقة تكدر الخاطر"، أو "فراحتكم ألزم علينا من كل شيء"، و"لولا أنكم كررتم وألححتم بطلب الاستقالة ما كان وافقنا" إلا ترجمة عفوية لكل هذه المعاني النبيلة والسامية.

وبقبول الملك عبد العزيز لهذه الاستقالة، وإصداره بعد ذلك أمرًا بتعيين

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص٢٠٨.

الأمير ابن إبراهيم عضوًا بمجلس الوكلاء، تطوى صفحة مشرقة من تاريخ المدينة المنورة، التي ترك ابن إبراهيم بصماته عليها في أكثر من مجال.

عبد العزيز بن إبراهيم عضوًا في مجلس الوكلاء:

بعد استقالة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم من إمارة المدينة المنورة، أصدر الملك عبد العزيز قرارًا بتعيينه عضوًا في مجلس الوكلاء، الذي كان مقره العاصمة المقدسة، مكة المكرمة، ويرأسه الأمير فيصل بن عبد العزيز (الملك فيما بعد) نائب جلالة الملك في الحجاز. وكان هذا المجلس "بمثابة مجلس الوزراء في عهد الملك عبد العزيز المؤسس الباني. فقد كان جلالته يحيل إلى مجلس الوكلاء هذا الكثير من الأعمال العالية المكانة في الدولة ليتخذ عليها قراراته الوجيزة والمهمة ومن ثم تعرض مباشرة من قبل رئيس ديوانه عبد الله العثمان على أنظار جلالته ليبت فيها بما يراه، وغالبًا ما يكون أمر جلالته الكريم الموافقة على تلك القرارات وإذا كانت له ملاحظة أو توجيه على بعضها يصدر أمره العالي بإعادتها ثانية إلى المجلس لكي يعيد فيها النظر في ضوء ما ترمي إليه التوجيهات الملكية الكريمة"(١).

وقد صدر قرار تعيين الأمير ابن إبراهيم في عضوية مجلس الوكلاء برقم ١٧٥ وتاريخ ١٣٥٥/٢/٢٤هـ، وفيما يلي نصه:

المملكة العربية السعودية

ديوان نائب جلالة الملك

---

(١) عبد القدوس الأنصاري، أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الخامسة، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٥٨، ١٣ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

رئيس مجلس الوكلاء

حضرة المكرم عبد العزيز بن إبراهيم

لقد صدرت إرادة جلالة مولاي الملك المعظم برقم ٥/١/٨٤ وتاريخ ١٣٥٥/٢/٢٣هـ بتعيينكم عضوًا بمجلس الوكلاء الدائمي المؤلف منكم، ومن عبد الله المحمد الفضل، وخالد أبو الوليد بموجب المادة الأولى من الأمر الملكي المشار إليه على أن يكون اجتماعكم يوميًا. وسوف نبلغكم بكتاب آخر ترتيب العمل حسب منطوق الأمر الملكي الكريم، فلإحاطتكم علمًا بذلك واعتماده.

رئيس مجلس الوكلاء

كما وجه نائب جلالة الملك رئيس مجلس الوكلاء خطابًا آخر للأمير عبد العزيز بن إبراهيم، برقم ٢٥٢٨ وتاريخ ١٣٥٥/٢/٢٨هـ، حدد فيه نظام العمل في المجلس، وفيما يلي نصه:

المملكة العربية السعودية

ديوان نائب جلالة الملك

رئيس مجلس الوكلاء

حضرة المكرم عبد العزيز بن إبراهيم

إلحاقًا بما سبق تبليغه إليكم برقم ١٧٥ وتاريخ ١٣٥٥/٢/٢٤هـ، في صدد تعيينكم عضوًا بمجلس الوكلاء نخبركم أن الأمر العالي الملوكي المبلغ إلينا في خطاب الديوان العالي رقم ٥/١/٨٤ وتاريخ ٢٣ صفر ١٣٥٥هـ

في شأن ترتيبات المجلس يتضمن ما هو آت:

١- أن يكون مجلس الوكلاء من مجلسين: مجلس دائمي يؤلف من حضرتكم، وعبد الله المحمد الفضل، وخالد أبو الوليد.

وهذا يجتمع يوميًا كل صباح.

ومجلس آخر يؤلف من أعضاء مجلس الوكلاء الثلاثة السابقين وهم عبد الله السليمان الحمدان، وفؤاد حمزة، وحمد السليمان.

وهذا يجتمع كل ليلة بانضمام المجلس الدائمي إليه سواء كان هناك عمل يبحث فيه أو لم يكن لديه شيء.

وكذلك عندما تدعو الحاجة لاجتماعه في غير هذا الوقت.

٢- أن يسير المجلس في أعماله طبقًا لنظام مجلس الوكلاء السابق.

وبعد اجتماع أعضاء المجلس يراجعون النظام السابق ويدخلون ما يرونه من التعديلات عليه، ثم ترفع تلك التعديلات لجلالة الملك لإبداء رأي جلالته عليها.

٣- أن يجتمع مجلس الوكلاء تحت رئاستنا وفي حالة تغيبنا يترأس المجلس خالد أبو الوليد أحد الأعضاء.

فلإحاطتكم علمًا بذلك.

مع العلم بأنه ستعمل شفرتان تحفظان بمكتبنا الخاص: إحداهما خاصة بالمجلس للمراجعة بها فيما يتعلق بأعماله.

والأخرى شفرة الخارجية المعتادة، وهذه تستعمل للمراجعة بها في المسائل الخارجية.

على أنه عند حدوث حاجة المجلس إلى سحب أي برقية تسلم تلك البرقية لرئيس ديواننا لتشفيرها بواسطة المكتب وسحبها تحرر.

نائب جلالة الملك

يقول الدكتور فؤاد عبد السلام الفارسي:

"والحقيقة أن الجذور الأولى لمجلس الوزراء نبتت في المنطقة الغربية نفسها، وذلك أن الملك عبد العزيز أنشأ هيئتين رئيسيتين تتوليان الإدارة في المنطقة الغربية، أي الحجاز. أما الهيئة الأولى فهي مجلس الشورى، وأما الهيئة الثانية التي أنشئت فيما بعد فهي مجلس الوكلاء الذي تم تحويله في عام ١٩٥٣م إلى مجلس الوزراء[١].

ويذكر فؤاد حمزة في كتابه "البلاد العربية السعودية" أن جلالة الملك عبد العزيز كان يمارس السلطة العليا في الدولة وفق أحكام الشرع الشريف، يعاونه "مجلس وزراء اسمه مجلس الوكلاء يستمد سلطته من جلالته بموجب نظامه المخصوص، وهو يتألف في الوقت الحاضر من المذكورين أدناه: سمو الأمير فيصل – الشيخ عبد الله السليمان – الشيخ حمد السليمان – الشيخ عبد الله الفضل – الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم – الشيخ فؤاد حمزة – وينضم إليه مدة وجود حضرة صاحب الجلالة الملك في الحجاز رئيس الشعبة السياسية في الديوان الملكي"[٢].

---

(١) فؤاد عبد السلام الفارسي، الأصالة والمعاصرة / المعادلة السعودية، ص٦٥.

(٢) فؤاد حمزة، البلاد العربية الإسلامية، ص٩٦.

وفاة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم:

عندما تقدم الأمير عبد العزيز بن إبراهيم باستقالته من عمله كأمير على المدينة المنورة، كان المرض قد بدأ يتسلل إلى جسده، وبدأ – يرحمه الله- يشعر باشتداد المرض عليه، فقرر السفر إلى مصر للعلاج، غير أنه توفي في شهر رجب عام ١٣٦٥هـ، الموافق عام ١٩٤٦م. وقد ذكر هذا التاريخ الشيخ حمد الجاسر[١]، والأستاذ عبد الله العلي الزامل[٢]، والمؤرخ أحمد عبد الغفور عطار[٣].

(١) حمد الجاسر، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، ج٢١، ص١٥.

(٢) عبد الله العلي الزامل، أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود، ص٤٣٤.

(٣) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الثاني، ص٧٦٨.

الفصل السابع

عبد العزيز بن إبراهيم
«صورة من قريب»

محتويات الفصل السابع

عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم

«صورة من قريب»

- عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم «صورة من قريب»
- قالوا عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم.
- زهد الأمير ابن إبراهيم.
- الأمير الحازم.
- تشجيعه للعلم ورجاله.
- الأمير الكريم.
- قصص ذات مغزى.

الفصل السابع

عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم

«صورة من قريب»

لا يكتمل الحديث عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، والأدوار الوطنية التي قام بها في خدمة الدولة السعودية، دون استعراض جوانب التميز والتفرد في شخصيته، والعوامل المختلفة العديدة التي كان لها أكبر الأثر في تحديد ملامحها، وصقل تجربته، وإكسابه السمات التي عرف بها وذاعت عنه، حتى أصبحت دلالة عليه، وشاهدًا على ما له من حنكة إدارية ودهاء سياسي وفراسة شديدة، وهي كلها صفات أهّلته لأن يكون واحدًا من أبرز الأمراء في عهد الملك عبد العزيز.

إنها محاولة لرسم صورة من قريب للأمير ابن إبراهيم، وسوف نعتمد في رسم هذه الصورة على ما رواه بعض الأفراد الذين عاصروا ابن إبراهيم، وعلى ما أورده الكتاب والمؤرخون، الذين أفاضوا في الحديث عن صفاته الشخصية، والملامح الخاصة التي تفرد بها، ومواقفه الحازمة، وذكائه وحسن تدبيره، وحكمته في معالجة الأمور والمشكلات التي تعرض عليه. ولم يكن الإلمام بكل ما كتب عن الأمير ابن إبراهيم بالعمل اليسير، فقد اقتضى الأمر الرجوع إلى معظم الكتب والمراجع التي تناولت تاريخ الدولة السعودية في عهودها المختلفة، وعلى وجه الخصوص عهد الدولة السعودية الثالثة التي تأسست على يد الملك عبد العزيز آل سعود، يرحمه

الله، وهي الفترة التي شهدت ظهور ابن إبراهيم، وتفاعله مع الأحداث الكبرى التي كان يمر بها الوطن، منذ ظهوره كمفاوض ذكي ورسول سلام عند فتح حائل، فتألق نجمه، وتبوأ من المناصب ما جعله واحدًا من الأمراء القلائل الذين يعتمد عليهم الملك عبد العزيز في تنفيذ سياساته وخططه الإصلاحية.

وهنا لابد من وقفة... قبل الدخول إلى تفاصيل الصورة... وهي وقفة تسهم في إلقاء الضوء على العوامل التاريخية التي شكلت شخصية الأمير ابن إبراهيم وأثرت في تكوين معالمها.

فالمتتبع لتاريخ أسرة آل إبراهيم، وللأدوار الوطنية التي قام بها رجالها – على مدى تاريخهم – في خدمة الدولة السعودية، في أطوارها المختلفة، يدرك أن ظهور عبد العزيز بن إبراهيم الذي تم في قلب أحداث حائل – كما أسلفنا – لم يكن مفاجأة: فبيت آل إبراهيم بيت عريق في الإمارة، وكانت هذه الأسرة بيت رئاسة الفضول، وأشبه الأصل الفرع[1]، وقد استطاعت أسرة آل إبراهيم خلال وجودها في حائل أن تكون لها مشاركة في الحياة العامة، وهو ما جعل عبد العزيز بن إبراهيم يقع عليه الاختيار لإقناع أمير حائل محمد بن طلال آل رشيد بالتسليم للملك عبد العزيز، لحقن الدماء ورفع الحصار عن المدينة وأهلها.

وكان هذا الدور بداية تألق نجم عبد العزيز بن إبراهيم، الذي لمس فيه الملك عبد العزيز صفات أصيلة، اتضحت له للوهلة الأولى التي التقاه فيها

(١) عبد الرحمن بن حمد بن زيد، المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب، ص٢٨٦.

خلال مفاوضات التسليم، بما كان يملكه جلالته من فراسة وذكاء حاد، وقدرة على معرفة معادن الرجال. فقد وجد أمامه رجلاً صادقًا أمينًا مع نفسه ومع الذين فوّضوه بالحديث نيابة عنهم والتوقيع باسمهم، رغم أنهم أصبحوا في المركز الأضعف، ولم يعد يُخشى بأسهم، إلا أن ابن إبراهيم كان حريصًا على سلامتهم، وعلى توفير كل السبل التي تحفظ لهم كرامتهم عند خروجهم من حائل، وهو ما استجاب له الملك عبد العزيز بطبيعته السمحة، وروحه المحبة للخير، وتقديره للدور الذي قام به رسول السلام عبد العزيز بن إبراهيم، الذي أصبح منذ ذلك التاريخ واحدًا من أخلص رجال الملك عبد العزيز وأشدهم دفاعًا عن مبادئه.

قالوا عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم:

يصف محي الدين رضا الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بأنه: "حلو الحديث إذا حدثك بالشؤون الدينية وإقامة الحدود. أعجبت بسعة إطلاعه وغزير علمه فهو يكلمك بنظام وترتيب في الحدود والفروض مرجعًا كل شيء إلى أصوله حتى لتظن أنه يفتح أمامك كتابًا يقرأ عليك منه وأول ما يفتتح الحديث يوجه إليك سؤالاً فيتسرب الخوف إلى نفسك خشية أن تكون مطالبًا بالجواب لكنه لا يلبث طويلاً حتى يجيب على السؤال جوابًا شافيًا فيريح بال جليسه وينقذه من ورطة المطالبة بالإجابة.

والأمير عبد العزيز بن إبراهيم من رجال الملك ابن سعود الكبار، وله مواقع شهيرة في حوادث اليمن وفي أثناء فتح الحجاز، وهو دقيق في عمله،

شديد الوطأة على الذين تحدثهم أنفسهم بالشر. يُعنى بالزوار ويشدد في وجوب العناية براحتهم، وهو ملمّ بحوادث العالم العربي ولا سيما ما يتعلق ببلاده"(١).

كما وصف محمد عمر رفيع الأمير ابن إبراهيم بأنه كان "حازمًا قوي الشكيمة شديد البطش في القتال مع شيء من الدهاء وحسن التصرف"(٢).

ويقول الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار صاحب كتاب (صقر الجزيرة): "عبد العزيز بن إبراهيم أحد رجال ابن سعود البارزين، وقد تولى سنة ١٣٤١هـ إمارة عسير وأبها، وبواديها، وكانت القلاقل والثورات بها فأخمدها بحزمه وصلب قناته، وقضى على الفتن حتى خافه البدو، وأمسى اسمه كالهول يهتز له جبابرة البدو هلعًا وخوفًا.

ثم تولى سنة ١٣٤٣هـ إمارة الطائف بعد احتلال السعوديين لها ببضعة أشهر، فضبط بها الأمر وبالقرى المجاورة لها.

ثم نقل إلى المدينة يتولى إمارتها، وأمَّن الطريق بينها ثم غادرها إلى مكة حيث أصبح عضوًا في مجلس الوكلاء"(٣).

وقال عنه الشيخ عثمان الصالح: "كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم من أذكى الأمراء وأعمقهم فهمًا"(٤).

(١) محي الدين رضا، رحلتي إلى الحجاز، ص١٢١ – ١٢٢.
(٢) محمد عمر رفيع، في ربوع عسير، ص٢٥٩.
(٣) أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة، المجلد الأول، ص٤٦٥.
(٤) مجلة المنهل السنة ٣٥، المجلد ٣٠، ص٦٨٣ – ٦٨٤، جمادى الأولى سنة ١٣٨٩هـ.

أما الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، الذي يعد من أكثر الذين كتبوا عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، فقد أسهب في وصف سماته وملامح شخصيته، وما تميز به من خصال حميدة، فقال إنه كان "يجمع بين الحسنيين: الحزم والشجاعة، إلى الكرم والإيناس والبشاشة، والحكمة والإلمام بعلم النفس: نفس البريئ ونفس المجرم.

وله فراسة نفاذة في الناس الملتوين فترى أقواهم شكيمة وأعمقهم حيلة وإصرارًا كثيرًا ما يتساقطون في شباك التواءاتهم التي تكشفها بدقة وسرعة فراسة الأمير العبقري المحنك.

ولاجتماع هذه الخصال الحميدة في شخصيته: فإنه يعد بحق من الأمراء البارزين تاريخيًّا وإداريًّا وفعليًّا لصفاتهم وشمائلهم الممتازة"(١).

وفي كتاب "رحلتي إلى الحجاز" وصف آخر للأمير عبد العزيز بن إبراهيم يسوقه المؤلف من خلال حكاية الأمير مع المستر فيلبي، حيث يقول: "والأمير مشهور بالصراحة التامة والعمل المستقل، وقد لا يتقيد كثيرًا بما يتقيد به عادة غيره من رجال الدولة، ومن ذلك أنه بلغه أن المستر فيلبي لا يصلي أو لا يحافظ على الصلاة فسأله عن ذلك وقال له، يا حاج عبد الله إذا كنت قد أسلمت لغرض من الأغراض فلاشك أنك نلته فلماذا لا تعود لنصرانيتك أو تعمل بتعاليم الإسلام فقد بلغني أنك لا تحافظ على الصلاة، وأنك لم تركع ركعة واحدة في الطريق عند قدومك إلى المدينة،

---

(١) عبد القدوس الأنصاري، أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الأولى، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٢٩، ١٤ صفر ١٤٠٣هـ.

وهذا علم لا يرضى عنه مسلم فقال المستر فيلبي: إنني جلست كثيرًا مع بعض الموظفين وجاء وقت الصلاة فلم أرهم يقومون للصلاة وكنت أظن أنه لا ضرورة للصلاة دائمًا فقال له الأمير: لا مندوحة عن الصلاة في أوقاتها للمسلم الصادق فقال المستر فيلبي ستجدني بعد الآن محافظًا على الصلاة في وقتها وأسأل زملائي عني بعد الآن.

وقد حدث بعد ذلك أن المستر فيلبي واظب على الصلاة طوال مدة إقامته في المدينة المنورة"[١].

أما سعد بن عبد العزيز بن رويشد فقد عَدّ ابن إبراهيم كواحد من أبرز أمراء الأقاليم الذين حكموا في عهد جلالة الملك عبد العزيز حيث قال إن أبرز أمراء الأقاليم في عهد جلالته كانوا: عبد الله بن جلوي، وعبد العزيز بن مساعد بن جلوي، وعبد العزيز بن إبراهيم، وفهد بن عبد العزيز بن معمر، وخالد بن منصور بن لوي، وتركي بن أحمد السديري، وعبد العزيز بن أحمد السديري، وخالد بن أحمد السديري ومحمد بن أحمد السديري، ومساعد بن أحمد السديري، وعبد الرحمن بن أحمد السديري[٢].

وفي حديثه عن أبرز قادة جيوش الملك عبد العزيز ذكر ابن رويشد أن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم كان واحدًا من هؤلاء القادة، وقال إن الذين قادوا الجيوش من أبناء الملك عبد العزيز: الملك سعود، والملك فيصل، والأمير محمد بن عبد العزيز، ومن أسرته الأمير عبد الله

(١) محي الدين رضا، رحلتي إلى الحجاز، ص١٢٢، ١٢٣.

(٢) عبد الرحمن السبيت وآخرون، رجال وذكريات مع عبد العزيز، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ص١٤٩.

ابن جلوي، والأمير عبد العزيز بن مساعد، والأمير فهد بن عبد الله بن جلوي، والأمير فيصل بن سعد، وعبد العزيز بن إبراهيم، وسعد بن عفيصان، ومساعد بن سويلم، وعبد الله ابن حلوان، وعبد الله بن عقيل، وإبراهيم النشمي(١).

ومن بين الصفات التي يتميز بها ابن إبراهيم، واسترعت انتباه الكثيرين ذكاؤه الشديد ولماحيته وسرعة بديهته، وقد عبر عبد الله بن عقيل(٢)، عن هذا الجانب من جوانب شخصيته فقال: "كان رحمه الله رجلاً معتدلاً في حياته كريمًا جدًا شديدًا في الحق، وكان نادرًا ما يضحك في مجالسه الرسمية، ويتميز بذكاء شديد، وسرعة في البديهة"(٣).

ويؤكد الأنصاري المعنى نفسه بقوله عن الأمير ابن إبراهيم إنه "يحل عويص المشكلات بلماحيته المذهلة، وذكائه العربي الفيصل في المدلهمات. وقد أكسبته تجارب الحكم في ممارسته العديدة تكوين (كمبيوتر) كشاف في تلافيف دماغه يكشف له خبايا المشكلات العويصة، والاتجاهات الخفية غير المرضية. بأسلوب راقٍ لماح سريع الكشف عن خفايا الأمور التي تعرض عليه.

وهكذا يصل إلى الحقائق الكامنة المتوارية وراء كثبان الأقوال المزيفة المغطاة بأستار سميكة من الزيف الماكر والمراوغة الكلامية، تارة في نطاق كشفه واكتشافه لأسرار ملامح المتحدث إليه، وتارة بتوغل عميق في

(١) عبد الرحمن السبيت وآخرون، رجال وذكريات مع عبد العزيز، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، ص١٤٨.
(٢) عبد الله بن عقيل أبو سليمان أحد قادة جيوش الملك عبد العزيز.
(٣) جريدة الجزيرة، العدد ٥٨٦٠ في ١٤٠٩/٣/٤هـ.

أعماق نفسه أثناء تصويب نظراته الفاحصة الرشيدة إليه أو خلال استجوابه وتحقيقاته الشخصية النفاذة"[١].

ويجلو علي حافظ مؤسس جريدة "المدينة المنورة" وصاحب كتاب "أربعة أيام في منطقة الباحة" جانبًا آخر من جوانب شخصية ابن إبراهيم، فيقول: "ولقد سار الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في إمارة المدينة بسياسة الشدة على المعتدين والحنو والعطف بالأهلين ومواصلتهم ومساعدتهم والمحافظة على حقوقهم وإيصالها إلى أصحابها. وكان يهتم بذلك كثيرًا، وكانت الدوائر الرسمية تسير سيرًا حسنًا مثمرًا من حيث الإنتاج والدوام ومعاملة المراجعين بالحسنى"[٢].

أما الدكتور محمد حسين هيكل باشا، الأديب والسياسي الشهير، فكانت له زيارة للمدينة المنورة التقى خلالها بالأمير عبد العزيز بن إبراهيم عندما كان أميرًا عليها.

وقد سجل الدكتور هيكل انطباعاته عن هذه الزيارة في كتابه "في منزل الوحي"، وفي هذا الكتاب أفرد المؤلف جزءًا للحديث عن شخصية الأمير ابن إبراهيم وحزمه وشدته، لكنه صوره في صورة الأمير الباطش الشديد البأس، إذ يقول: "زرت الأمير عبد العزيز بن إبراهيم غير مرة، زرته في ديوان الحكم، وزرته في داره، وتناولت طعام الغداء على مائدته، وشاركته

---

(١) عبد القدوس الأنصاري، أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الأولى، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٢٩، ١٤ صفر ١٤٠٣هـ.

(٢) علي حافظ، أربعة أيام في منطقة الباحة، ص١٣.

في طعام خفيف آخر الأمسية دعاني إليه ابنه إبراهيم. و لم يدهشني ما رأيته من مظهر حياته النجدية بدار الحكم ولا في غرفة استقباله بالمدينة"[١]، إلى أن يقول: "ففي هذا المجلس جند من النجديين علّمهم الأمير على أن يظهروا للناس بأسه وبطشه. فإذا دعا أحدهم دعاه في شدة، ولبى الجندي في اندفاع وتطلع واستعداد لتنفيذ أي أمر. ولقد تناولت على مائدته طعام الغداء فكانت مائدة بدوية يجلس الناس حولها ويتناولون طعامهم بأيديهم؛ فيجدون منه طعامًا لذيذًا، فوق شبعهم"[٢].

ويستطرد الدكتور هيكل واصفًا لقاءه بالأمير ابن إبراهيم: "أما يوم دعاني ابنه في الأمسية فقد صعدنا إلى دار الأمير وتناولنا (بسكويتا) ومربات وحلوى، وقد حرص الأمير على أن يتناول الطعام بالشوكة ليدل بذلك على حسن استعداده لحياة العصر"[٣].

لكن الدكتور هيكل صوّر مظاهر الجدية والحزم والهيبة التي وجدها في الأمير عبد العزيز بن إبراهيم على أنها قسوة باطشة وخشونة وبأس شديد، بينما يؤكد الكثيرون، ممن كتبوا عنه أو عاصروه، أن شدته كانت من نصيب الخارجين على القانون والعابثين بأمن البلاد والعباد، وقد أوجز الملك المؤسس المغفور له عبد العزيز آل سعود هذا الجانب من شخصية ابن إبراهيم في هذه العبارة الدقيقة البليغة، التي سبقت الإشارة إليها في الفصل السادس، ضمن الخطاب الذي وجهه رحمه

(١) محمد حسين هيكل، في منزل الوحي، ص٤٩٠.
(٢) المرجع السابق؛ ص٤٨٩.
(٣) المرجع السابق؛ ص٤٨٩.

الله إلى أهالي المدينة المنورة، فقد قال:

"فلعلكم تسمعون بشدة عبد العزيز بن إبراهيم وتهابون منه، وهذا شيء لا حقيقة له، إن ابن إبراهيم شديد على العاتي، حبيب لمن سلك الطريق، وعرف حق نفسه، وغلبة اعتماده على الله ثم على الأحكام الشرعية بجميع أمر يرد إليه"(١).

كان اختيار الملك عبد العزيز لابن إبراهيم ليكون واحدًا من أبرز أمرائه الذين يعتمد عليهم في تنفيذ المهام الجسام التي يكلفون بها، هو التطبيق العملي لمقولة الرجل المناسب في المكان المناسب في الوقت المناسب. وفي كل المهام التي أوكلت للأمير ابن إبراهيم كان الاختيار في محله، فعين أميرًا في عسير لمهمة محددة هي إنهاء تمرد آل عائض، وقد أنجز ابن إبراهيم المهمة بنجاح، وفي الطائف كان استتباب الأمن مشكلة، لكن ابن إبراهيم، الذي كان أول أمير سعودي على الطائف في عهد الدولة السعودية الثالثة، حقق ما كان مطلوبًا منه، فقاد حملات عسكرية ناجحة لإخضاع قبائل الطائف(٢)، ونجح في إنهاء حالة عدم الاستقرار والفوضى التي سادت المنطقة، وفي المدينة المنورة، ثاني الحرمين الشريفين، وقبلة الزائرين من الحجاج والمعتمرين، كان الأمن في حالة يرثى لها "حيث إن

---

(١) من رسالة وجهها الملك عبد العزيز إلى أهل المدينة في ربيع الآخر عام ١٣٤٦هـ، بمناسبة تعيين عبد العزيز بن إبراهيم في إمارة المدينة، في: حافظ وهبة، خمسون عامًا في جزيرة العرب، ص٢٦٥، ٢٦٦، وعبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص١٨٣، ١٨٥، عن أم القرى، العدد ١٤٨، ١٨ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ. وقد سبق إيراد نص هذه الرسالة في الفصل السادس.

(٢) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته، ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ.

المدينة تحاط بأكثر من عشرين قبيلة، وقد اعتادت القبائل في الفترة التي سبقت حكم الدولة السعودية على الفوضى وعلى غزو بعضهم البعض ونهب الحجاج والاعتداء على أطراف المدينة المنورة وداخلها حتى روّعوا الحجاج والأهالي"[١].

وفي مواجهة واقع أمني شديد القسوة مثل الذي واجهه الأمير عبد العزيز ابن إبراهيم، ومن أجل توطيد دعائم الأمن والاستقرار في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، كان لابد لابن إبراهيم من إتباع سياسة الشدة مع الخارجين على القانون، فقد كان رجلاً شجاعًا شديدًا مع كل من تسول له نفسه العبث بأمن الناس وسلامتهم، لذلك كان اختيار الملك عبد العزيز – يرحمه الله – له لهذه المهمة دليلاً على قدرة الملك عبد العزيز المتميزة على اختيار العاملين معه وفقًا لمتطلبات الظروف والأحداث، فقد كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم من الرجال المخلصين لمليكه ووطنه، وكان بعد تسلمه إمارة المدينة يقضي معظم يومه وليله في باب العنبرية ليتابع أمور الناس ويحل مشكلاتهم عن كثب، وقد استطاع خلال مدة وجيزة من تسلمه إمارة المدينة المنورة أن يضبط الأمن ويقضي على المجرمين، وتبع ذلك استتباب الأمن في جميع المناطق المحيطة بالمدينة المنورة والمراكز التابعة لها[٢].

بل إن الدكتور محمد بن عبد الله آل زلفة، يذهب إلى أبعد من هذا في كتابه "عسير في عهد الملك عبد العزيز"، إذ يرى أن المصادر التي تناولت

---

(١) من ذكريات الشيخ محمد الحافظ عن فترة إمارة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم على المدينة المنورة.

(٢) المرجع السابق.

تاريخ منطقة عسير، وكذلك الذين عاصروا فترة ما قبل حكم الدولة السعودية، يجمعون على أن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم ترك بصمات واضحة على وجه الحياة في عسير، وإن بداية عهده تعد هي البداية الحقيقية للوجه المشرق للعهد السعودي، ويردون ذلك إلى المقدرة الفائقة التي تميز بها ابن إبراهيم والتي مكنته، خلال فترة قليلة، من توطيد دعائم الأمن وتثبيت قواعد السلطة وإعلاء هيبة الدولة، بعد عصور طويلة من الفوضى واختلال الأمن وانعدام الأمان والاستقرار(١).

وفي تعليق خاطف يجمل الدكتور آل زلفة ما وصل إليه من أخبار عن الأمير ابن إبراهيم بقوله: "تناقلت أخبار شدته في الحق الركبان"(٢).

إنها إذن شدة في الحق، وحزم مع الباغي والمعتدي والمنتهك الحرمات، وقسوة مع المستهترين العابثين بالأمن المتربصين بالآمنين. وكان حريًّا بالدكتور هيكل، أن يفرق بين شدة ظالمة، وشدة تنتصر للحق وتدافع عنه وتصونه من استخفاف وعبث العتاة المجرمين، كما كان عليه أن يفرق بين بأس باطش دون منطق أو حجة أو مسوغ، وبأس يقر العدل ويحمي الأمن ويدفع الشر ويحافظ على سلامة أرواح الناس. وإذا كان الدكتور هيكل قد وصف الأمير ابن إبراهيم بأنه "مثل القسوة الباطشة في الحجاز كله"، فقد فاته أن يلم بكل تفاصيل الصورة عن الواقع الأمني في منطقة المدينة المنورة، وهو ما كان يتطلب شدة وحزماً وصرامة مع الذين هددوا الأمن واستباحوا

(١) محمد بن عبد الله آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز – دورها السياسي والاقتصادي والعسكري في بناء الدولة السعودية الحديثة، ص٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص٦٢.

الحرمات وأشاعوا الفزع والخوف وعدم الاستقرار في كل مكان.

وحتى لا يكون الحديث مرسلاً دون شواهد أو أدلة، فإن سيرة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم حافلة بالكثير من مواقف التسامح وعمل الخير، وهي كلها تصرفات تصدر عن نفس نقية مؤمنة.

ولنرجع إلى موقفه من آل رشيد، أثناء حصار الملك عبد العزيز لحائل، وتمسكه في مفاوضاته مع الملك عبد العزيز بضمان سلامة آل رشيد وخروجهم من حائل معززين مكرمين، أليس في هذا الموقف ما يؤكد ما أشرنا إليه من حبه لفعل الخير ومساعدة الآخرين؟!

ثم لنرجع إلى الموقف نفسه الذي حدث مع آل عائض في أحداث أبها، وإنهائه الموقف المتأزم دون إراقة قطرة دم واحدة، وإقناع آل عائض بوضع حل عاقل للوضع الذي يسوء يومًا بعد يوم، ألا يدل هذا الموقف على نفس محبة للسلام؟!

كان الأمير ابن إبراهيم يملك نفسًا جبلت على حب الخير، وكان حريصًا على رعاية النشاطات الخيرية والإنسانية، التي يورد محمد حسين زيدان مثلاً منها في كتابه "ذكريات العهود الثلاثة"، حين أقامت دار الأيتام بالمدينة المنورة حفلاً بمناسبة الزيارة التي قام بها للدار الوزير عبد الله بن سليمان، ومعه الاقتصادي المصري طلعت حرب، مؤسس بنك مصر والصديق للملك عبد العزيز، حيث استطاع ابن إبراهيم أن يعزز مطلب مسؤولي الدار بأن تقوم الدولة بشراء بيت أبو عزة التي تشغله الدار ليكون ملكًا لها. وقد وافق الوزير ابن سليمان على شراء الدار وجعلها ملكًا لدار الأيتام[1].

(١) محمد حسين زيدان، ذكريات العهود الثلاثة، ص١٧٣، ١٧٤.

ومثلما كان الأمير ابن إبراهيم شجاعًا حازمًا شديدًا في الحق، كريمًا مضيافًا، فقد كان وفيًا لكل من صادقه أو أسدى إليه صنيعًا مهما كان شأنه، وهذه شيمة كرام الرجال وأصحاب الهمم العالية، ومن المواقف التي تدل على وفائه ما رواه علي حافظ عن سجن الشيخ ابن برادة، فقال:

"عرضت على الأمير عبد العزيز مرة معاملة فيها سجن الشيخ علي برادة من أعيان المدينة المنورة، فسأل: علي برادة هو ولد من؟

فقالوا له: ولد عباس برادة.

فقال: ولد عباس برادة وأنا أسجنه؟ لا: عباس برادة يوم ربطني الأتراك وسجنوني ما فكني إلا عباس برادة، فسوى المشكلة وأطلق برادة من السجن"(١).

والأمير عبد العزيز بن إبراهيم من الشخصيات التي لا تنسى، فقد كان يترك انطباعًا لدى كل من يقابله، وكذلك مع الذين عملوا معه في المواقع المختلفة التي تولى مسؤوليتها، ويورد فؤاد شاكر في كتابه "رحلة الربيع" إشارة خاطفة إلى هذا الأثر الذي كان ابن إبراهيم يحدثه في نفوس من عرفوه، فهو يحكي في الكتاب عن لقائه بشخص يدعى عبد الرحمن بن زيد(٢) قابله في قرية مرات، خلال رحلة بحثه عن موطن الشاعر امرئ القيس، وظل ابن زيد يحدثه عن كثير من

---

(١) علي حافظ، أربعة أيام في منطقة الباحة، ص١٣.

(٢) هو: عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيري صاحب كتاب "المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب"، والذي نما إلى علمي أنه كان موظفًا مع الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في إمارة المدينة المنورة، وكتابه أحد المراجع التي اعتمدت عليها في إعداد هذا الكتاب.



الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم يستقبل مؤسس بنك مصر الاقتصادي المصري طلعت حرب في المدينة المنورة

الذكريات الأدبية والتاريخية، ثم يقول فؤاد شاكر: "وتوادعنا إلى اللقاء إن شاء الله بعد أن حملني سلامه إلى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أمير المدينة المنورة سابقًا وعضو مجلس الوكلاء حاليًا"(١).

وقال الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن في كتابه "تذكرة أولي النهى والعرفان": "في سنة ١٣٦٥هـ، توفي الأمير البطل عبد العزيز بن إبراهيم أمير المدينة سابقًا، وكان في حال إمارته في المدينة مهابًا مسودًا فلذلك كانت المدينة المنورة حال إمارته عليها غاية ما يرام من تأديب الجناة، وتأمين السبل، وحسن القيام بالأعمال"(٢).

وفي مكان آخر من كتابه قال: "ولما توفي سعد بن عفيصان بعد فك الحصار عن أبها بأربعة أيام بعث الملك عبد العزيز بدلاً عنه عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على مقاطعة عسير وكان ابن إبراهيم هذا حازمًا قويًا شديد البطش ذا دهاء وحسن تصرف يعد من أفذاذ الرجال"(٣).

أما المؤرخ عبد الله بن علي بن مسفر فقال: توفي أمير أبها سعد بن عفيصان وتسلم مكانه الأمير عبد العزيز بن إبراهيم فأخذ في إدارة البلاد بحزم فعادت المياه إلى مجاريها وساد الأمن(٤).

وقال المؤرخ عبد المالك بن علي الطرابلسي: "وعند وصول السيد أحمد الشريف السنوسي إلى الطائف قابله أميرها البطل المقدام الأمير عبد العزيز

(١) فؤاد شاكر، رحلة الربيع، ص٦٥ – ٦٦.
(٢) إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، تذكرة أولي النهى والعرفان، ج٣، ص٣٣.
(٣) المرجع السابق، ج٣، ص٢٣٢.
(٤) عبد الله بن علي بن مسفر، أخبار عسير، ص١٨٤.

ابن إبراهيم أحد أمراء السلطان عبد العزيز المشهورين المحنكين والمعروفين بالحزم والإقدام والدهاء"[1].

وكتب محمد بن عبد الله بن بليهد (ت ١٣٧٧هـ) صاحب كتاب "صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار"، رسالة إلى الشاعر محمد ابن زيد آل زيد من قبيلة آل مغيرة (ت ١٣٥٤هـ) يسأله عن حاله وكان في زيارة للمدينة المنورة فأجابه بقصيدة مدح فيها الأمير عبد العزيز بن إبراهيم جاء فيها:

فإن تسأل الركبان عني فإنني ... بمغنى حليف الجود زين المحافل
أنخنا بربع حله الضيف قبلنا ... سقته سحاب الجوّ سحًّا بوابل
وجدنا به صعب الشكيمة حازمًا ... إذا حدثت إحدى الدواهي بعاضل
يسوس الرعايا من نباهة فكره ... ويكشف عن أسرارها بالدلائل
فما كفه مبق نقودًا لوارث ... ولا رأيه يترك مقالاً لقائل
يؤمونه الزوار من كل وجهة ... وتنتابه الوفاد فوق الرواحل
فيا أيها الساعي ليدرك مجده ... نأتك العلا سام على كل طائل
فوالله ما أبديت معشار ما به ... من الجود والإحسان مع نيل نائل
فلا أمر الشهم المليك أخو العلا ... خصوصًا عن الأشبال أهل الفضائل
بأنصح منه للولاية منصف ... ولا عن طريق الحق يومًا بمائل"[2]

(١) عبد المالك بن عبد القادر الطرابلسي، الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية، ص١٨.
(٢) حمد الزيد، شعراء آل زيد وشعرهم، ص٢٤، ٢٥.

زهد الأمير ابن إبراهيم:

ولكي تتكامل الصورة الحقيقية لشخصية الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، لابد من الإشارة إلى ما تميز به من زهد في حياته، فقد كان - يرحمه الله- عازفًا عن مظاهر الحياة الدنيا وألوان مباهجها، آخذًا نفسه بالشدة في كل أمورها، حتى في أدق تفاصيلها، خاصة ما يتعلق منها بمظاهر حياته الشخصية من مأكل ومشرب وملبس، غير مكترث بما يفترض أن تتسم به حياته كأمير لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، من مظاهر الأبهة والرفاهية والعظمة، وقد أشار الدكتور محمد حسين هيكل إلى ذلك فقال:

"وتناولت طعام الغداء يوم سفري من المدينة على مائدة أحد أعيانها، فرأيت فيها من نظامنا الحديث ما لا يتفق مع هذا الذي رأيته عند الأمير"[1].

وهناك واقعة بسيطة في حقيقتها، لكنها عميقة في مغزاها ودلالتها... فذات مرة أرسل له زعيم حيدر آباد الدكن مروحة صغيرة كهدية، بعد أن كان في زيارة للمدينة المنورة، ولقي من أميرها عبد العزيز بن إبراهيم كل ألوان الكرم والترحيب، لكنه فوجئ بالأمير ابن إبراهيم يرد المروحة إليه مرة أخرى، فشعر الرجل بالحرج وكتب له رسالة مؤثرة كان مما جاء فيها:

"وعند توجهي بعثت إليكم برفق السيد لطفي طه بيشي مروحة صغيرة، وقد وجدتها رجعت مع مقدم القافلة، فأنا آسف لذلك جدًا

(١) محمد حسين هيكل، في منزل الوحي، ص٤٩٠.

حيث ما أعطيت ذلك إلا ليكون تذكارًا لي أمامكم، وإن صار عندكم أو في خاطركم انزعاج فأنا أطلب العفو[١].

ويعود الزعيم الهندي ليؤكد في نهاية رسالته أن المروحة التي أرسلها للأمير ابن إبراهيم كانت "للافتكار لا لشيء آخر"[٢].

والواقعة على قدر ما فيها من بساطة تحمل معنيين:

الأول: أن الأمير ابن إبراهيم كان زاهدًا في حياة الترف والرفاهية، وكان يفضل أن يعيش حياته دون بهرجة أو بذخ أو مظاهر دنيوية عارضة، وكان هذا أسلوب حياته كلها.

الثاني: أن الأمير ابن إبراهيم لم يكن ليقبل هدية تأتيه ردًّا على واجب قام بأدائه، أو صنيع أسداه، أو ردًّا على ضيافة سعد بها ونهض بكل أعبائها وتكاليفها، فهذا جزء من صميم شخصيته الكريمة، ومثله لا ينتظر ولا يقبل أن يكافأ - حتى تحت شعار التذكار - مقابل ما فعل!

وحول هذا الجانب المتميز من شخصية الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أشار الشيخ محمد الحافظ، الذي سبق تقديم ترجمه له، إلى أن الأمير ابن إبراهيم عمل في المدينة لمدة تقارب السنوات العشر، ثم خرج منها وهو لا يملك فيها شيئًا، حتى البستان الذي كان يذهب إليه خارج المدينة في الصيف لم يكن ملكًا له. وقال الشيخ الحافظ إن الأمير ابن إبراهيم لم يكن طامعًا في عرض الدنيا، وكل ما كان يهدف إليه هو خدمة الدولة وإعلاء

(١) من رسالة وجدت ضمن أوراق معالي المرحوم الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم.

(٢) المرجع السابق.

شأنها، وإزالة كل ما يعترض أمنها واستقرارها من اضطرابات وفتن وقلاقل يسببها المستهترون بالأمن والخارجون على القانون والعابثون بأمن البلاد والعباد.

ومن مظاهر زهده وتقواه، وحبه لعمل الخير، ما جاء في الوصية التي تركها، والتي تم تحريرها قبيل وفاته، يرحمه الله، بأيام قليلة، فقد قرر الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أنه خرج عن ثلث ماله كله وجعله وصية لوجه الله تعالى يصرف في وجوه البر والإحسان على يد ولده معالي الأمير إبراهيم ابن عبد العزيز آل إبراهيم – يرحمه الله – على أن يكون من هذا الثلث ضحيتان عنه وضحية عن والده وضحية عن والدته في كل عام، وأن يكون من هذا الثلث أيضًا حجة عنه.

تم تحرير الوصية في مساء الإثنين السابع عشر من شهر رجب ١٣٦٥هـ، وقد نصت على ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فإن عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم أوصى وهو في استكمال قواه العقلية واستجماعه الشروط الشرعية لصحة التصرفات، وأشهد على نفسه أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وأنه قد خرج عن ثلث ماله كله وجعله وصية لوجه الله تعالى يصرف في وجه البر والاحسان على يد ولده إبراهيم بدون أن يكون له منازع. على أن يكون من هذا الثلث ضحيتان عنه وضحية عن والده وضحية عن والدته في كل

عام. وأن يكون من هذا الثلث أيضًا حجة عنه، وقد أوصى أن يكون ولده إبراهيم المذكور وصيًّا وقيّمًا على أخيه حمود بن عبد العزيز وأخواته نوير ومنيرة وغزيل، وتكون وكالته ووصيته[1] على حمود إلى أن يبلغ رشده عاقلاً محسنًا للتصرفات المالية. وأوصى أن يكون ولده إبراهيم قائمًا مقام والده وحالاً محله في كل الشؤون والتصرفات والحقوق المالية وغيرها، وأن يكون ذبح الضحايا المذكورة وتقسيمها على يد ولده إبراهيم المذكور، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن يجعله صالحًا مباركًا موفقًا للخير. أملى هذا وقاله بلسانه عبد العزيز بن إبراهيم، وسمعه منه وكتبه بخطه محمد حامد الفقي[2]، في مساء الإثنين السابع عشر من شهر رجب من سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف (١٣٦٥هـ) من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبحضور وشهادة سعد العقيلي.

شهد بذلك عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ

(توقيع)

شهد بذلك وكاتبه

محمد حامد الفقي — عبد العزيز بن إبراهيم

(توقيع) — (توقيع)

---

(١) المقصود وصايته.

(٢) رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ومن علماء الأزهر الشريف، له كتاب عن "أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب".

وفي مساء الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٦٥هـ، أي في مساء اليوم التالي لتحرير الوصية، قام الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بتحرير ملحق لهذه الوصية، وقد نص هذا الملحق على ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما ألحقه عبد العزيز بن إبراهيم بوصيته المؤرخة في مساء الإثنين السابع عشر من رجب سنة ١٣٦٥هـ، التي أملاها على كاتبها وشاهدها محمد حامد الفقي، إنه يقرر ويشهد بأن النخيل الذي بالأفلاج المعروف باسم فزة البالغ عدده ثلاثة عشر مع سقياها نصف الثمين وربع نصف الثمين مقسم كالآتي: أربع منه لوالدته قد أوقفتها قبل موتها ليضحى منها كل عام ضحية، وأن ورقة الوكالة بهذا عند عبد العزيز بن محمد بن سحمان وأوصى بأن تبقى هذه الوكالة على ما هي عليه عند عبد العزيز المذكور، أما التسع نخلات الباقية فقد أوقف حقه منها الآيل إليه بالإرث على والده ليخرج منه أضحية عنه كل عام، وأن البيت الذي في العمار قد ذهب نصيبه منه لأولاد خاله عبد الرحمن بن تميم وذريتهم ذكورًا وإناثًا ولأولاد خاله مسفر بن تميم وذريتهم ذكورًا وإناثًا ولأولاد خاله محمد بن تميم وذريتهم ذكورًا وإناثًا. وإنما فعل ذلك وأوصى هذه الوصية يبتغي بها وجه الله وحسن المثوبة والأجر عنده سبحانه، وهو يرجو رحمة ربه الكريم ومغفرته ورضوانه تقبل الله منه ذلك وجعله من صالح ما يحبه ويرضاه وصلى الله على خاتم المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين سمع ذلك من قوله وشهد به وكتبه على أملاه محمد حامد الفقي في مساء الثلاثاء الثامن



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فإن عبدالعزيز بن ابراهيم آل ابراهيم قد أوصى وهو في استكمال قواه العقلية واستجماعه الشروط الشرعية لصحة التصرفات، وأشهد على نفسه أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وأنه قد خرج عن ثلث ماله كله وجعله وصية لوجه الله تعالى يصرف في وجوه البر والإحسان على يد ولده ابراهيم بدون أن يكون له منازع. على أن يكون من هذا الثلث ضحيتان عنه وضحية عن والده وضحية عن والدته في كل عام. وأن يكون من هذا الثلث أيضاً حجة عنه. وقد أوصى أن يكون ولده ابراهيم المذكور وصياً وقيماً على أخيه حمود بن عبدالعزيز وأخواته نوره ومنيره وغزيل وتكون وكالته ووصيته على حمود إلى أن يبلغ رشده عاقلاً محسناً للتصرفات المالية. وأوصى أن يكون ولده ابراهيم قائماً مقامه رجالاً لاسمه في كل الشئون والتصرفات والحقوق المالية وغيرها. وأن يكون ذبح الضحايا المذكورة وتقسيمها على يد ولده ابراهيم المذكور، سائلاً المولى سبحانه أن يجعل خلفاً صالحاً لأبنائه [illegible]

أملى هذا وقاله بلسانه عبدالعزيز بن ابراهيم وسمعه منه وكتبه بخطه محمد حامد الفقي في مساء الاثنين السابع عشر من شهر رجب من سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف ١٣٦٥ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحضور وشهادة سعد العقيلي

عبدالعزيز بن ابراهيم

شهد بذلك
عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ

وشهد عليه بذلك
كاتبه محمد حامد الفقي

وصية الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم – يرحمه الله–

عشر من شهر رجب سنة ١٣٦٥هـ من هجرة خاتم المرسلين.

وهو يقرر ويعرف أن عنده في ذمته مبلغ سبع جنيهات إنكليزية ذهب وجنيه واحد عثماني وخمسة وثلاثين ريالاً عربيًّا أو ما يقاربها أمانة لابن هشال راعي حايل، وهذه الأمانة مذكور قدرها واسم صاحبها في الورقة المحفوظة مع الأوراق بمكة.

وشهد بذلك في تاريخه كاتبه	شهد بذلك
محمد حامد الفقي	عبد العزيز بن عبد الله ابن حسن آل الشيخ
(توقيع)	(توقيع)

والوصية وملحقها تكشفان الجانب المضيء من شخصية الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، فهو في هاتين الوثيقتين يصدر عن نفس صافية زاهدة ساعية للخير والعطاء، راجية رضا الله وعفوه وحسن مثوبته، فابن إبراهيم في الوصية وملحقها هو الرجل الوفي الحريص على عمل الخير، الساعي إلى إنفاق ما يملك في وجود البر والإحسان، المتمسك بصلة الرحم وذوي القربى، عملاً بالحديث القدسي الذي يحض على صلة الرحم ورعاية الأقارب والأرحام.

الأمير الحازم:

قلنا إن حزم الأمير عبد العزيز بن إبراهيم كان مطلبًا أمنيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا تقتضيه طبيعة الظروف والمرحلة التي مرت بها البلاد، في بداية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما ألحقه عبدالعزيز بن ابراهيم آل ابراهيم بوصيته المؤرخة في مساء الاثنين السابع عشر
من رجب ١٣٦٥هـ التي أملاها على كاتبها وشاهدها محمد حامد الفقي
أنه يقرر ويشهد بأن النخيل الذي بالأفلاج المعروف باسم مزرعة البالغ عدده ثمانية عشر
مع سقيها نصف اثنين وربع نصف اثنين مقسم كالآتي: أربع منه لوالدته قد أوقفتها قبل
موتها ليضحى منها كل عام ضحية. وأن ورقة الوكالة بهذا عند عبدالعزيز بن محمد بن حسان
وأوصى بأن تبقى ضمن الوكالة على ما هي عليه عند عبدالعزيز المذكور. أما التسع نخلات
الباقية فقد أوقف حقه منها المنتقل إليه بالإرث على والده ليخرج منه أضحية عنه كل عام
وأن البيت الذي في العمارة قد وهبت نصيبه منه لأولاد خالته عبدالرحمن بن تميم وذريتهم
ذكورا وإناثا ولأولاد خالته مسعد بن تميم وذريتهم ذكورا وإناثا ولأولاد خالته محمد بن تميم
وذريتهم ذكورا وإناثا. وإنما فعل ذلك وأوصى بهذه الوصية يبتغي بها وجه الله وحسن
المثوبة والأجر عنده سبحانه. وهو يرجو رحمة ربه الكريم ومغفرته ورضوانه تقبل
الله منه ذلك وجعله من صالح ما يحبه ويرضاه. وصلى الله على خاتم المرسلين سيدنا محمد وآله
وصحبه أجمعين. سمع ذلك من قوله وشهد به وكتبه على إملائه محمد حامد الفقي في مساء
الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رجب ١٣٦٥ من هجرة خاتم المرسلين
وهو يقرر ويعترف أن عنده في ذمته مبلغ سبع جنيهات انكليزية ذهب وجنيه واحد عثماني
ذهب وخمسة وثلاثين ريالا عربيا أو ما يقابلها ورق أمانة لابن [illegible]. وهذه
الأمانة مذكور قدرها واسم صاحبها في الورقة المحفوظة مع الأوراق بمكة. شهد بذلك
[illegible] محمد حامد الفقي

شهد بذلك
عبدالعزيز بن عبدالله بن حسن
آل الشيخ

ملحق وصية الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم – يرحمه الله–

حكم الدولة السعودية، مع تنامي الرغبة في خلق مجتمع آمن هادئ مستقر.

وإذا كان حزم ابن إبراهيم قد تم تفسيره على أنه قسوة وشدة، فإن راية الأمن والطمأنينة التي رفرفت فوق ربوع المدينة المنورة، ومن قبلها فوق ربوع أبها والطائف، هذه الراية تكشف عن مدى الأثر الذي أحدثه الأمير الحازم في استتباب الأمن في المناطق التي تقلد إمارتها.

ويلخص الشيخ محمد الحافظ هذا الأثر في قوله: "إن فترة إمارة عبد العزيز بن إبراهيم على المدينة المنورة قد شهدت أمنًا متميزًا، وأصبح الحجاج والأهالي يأمنون على أموالهم وأنفسهم، حتى أن أبواب المحلات التجارية كانت تترك مفتوحة ولا يجرؤ أحد على الاقتراب منها. ويعتبر عهده من العلامات المميزة في تاريخ المدينة المنورة، وكل ذلك بتوجيه من موحد المملكة العربية السعودية ومؤسس كيانها الكبير الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - الذي أحسن اختيار ولاته ومستشاريه فقاموا بواجبهم خير قيام ومن ضمن هؤلاء عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، رحمه الله"(١).

ويلقي عبد القدوس الأنصاري الضوء على طبيعة الفترة التي جاء فيها ابن إبراهيم أميرًا للمدينة المنورة، والتحديات الكبيرة التي كانت تنتظره، بعد أن شاهد ظاهرة "اختلال الأمن وانتشار الخوف الفردي والجماعي، بشكل مزعج كارب وشامل"(٢).

يقول الأنصاري: "فالأجل إدراك عظم المهمة وخطورتها التي حملها

(١) من ذكريات الشيخ محمد الحافظ عن فترة إمارة عبد العزيز بن إبراهيم في المدينة المنورة.

(٢) عبد القدوس الأنصاري، سلسلة أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الرابعة، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٥١، ٦ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

على عاتقه إبان ظروف قيامه بالعمل الحازم الثقيل الذي كان يستهدف إقامة أعمدة الأمن في هذا الجانب الهام من ربوع المملكة وبخاصة أنه من المدن المتوغلة في داخل الصحراء ذات الحساسية الكبيرة البالغة من ناحية مد رواق الأمن والاطمئنان على كافة ربوعها وعلى آفاقها جميعًا يومئذ؛ فالمدينة المنورة أقيم كيانها التاريخ العريق في بقعة محاطة بالأعراب الأشداء البأس الذين ما كانوا يقيمون وزنًا كبيرًا للحكام الرسميين للبلاد يومئذ. فكانوا يعيثون في الأرض فسادًا ما دفعتهم أطماعهم اللامحدودة وشراهتهم الممدودة، وكان الأمن في ربوعهم المفضية إلى المدينة من كل حدب وصوب مهيض الجناح، مختل الصحة عليلاً هزيلاً، موبوء البيئة. وكانوا يشقون عصا الطاعة دائمًا لأدنى سبب ومقابل أطماع زهيدة محدودة رخيصة جدًّا"[1].

كانت هذه الظروف الأمنية والاجتماعية الصعبة، سواء في المدينة المنورة أو في غيرها، هي التحديات الحقيقية التي واجهت ابن إبراهيم، واقتضت منه أن يكون حازمًا شديدًا في الحق. يقول الدكتور عبد الباسط بدر عن هذه الفترة:

"كان عبد العزيز بن إبراهيم كسلفه مشاري حازمًا، بل أكثر حزمًا، وكان دقيقًا في متابعة أموره وأوامره، شديدًا في العقوبات، وإليه يعزى فضل استقرار الخطة الأمنية التي وضعها عبد العزيز للحاضرة والبادية في مناطق المدينة المنورة، وقد بدأ عمله بتقوية الإمارة عسكريًّا فزاد من عدد

(١) عبد القدوس الأنصاري، سلسلة أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الرابعة، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٥١، ٦ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

شرطتها ورجالها، وحرص على الاتصال بشيوخ القبائل واستقدامهم دوريًا وبحث أمور قبائلهم، وتكليفهم بإنفاذ أوامر الدولة وتعليماتها في مطاردة المخالفين ومرتكبي الجرائم وإحضارهم، وإعلان التخلي عنهم في حالة عجزهم عن إحضارهم. وثمة روايات كثيرة شهدها زوار المدينة تظهر مدى الهيبة التي استطاع أن يفرضها في المنطقة، والتي أورثته أمنًا وأمانًا عجيبين، حتى إن اللقطة كانت تبقى مكانها في الطريق ولا يجرؤ أحد على أخذها خشية أن تضبط معه ويتهم بسرقتها أو إخفائها فيعاقب"(١) .

وقال عنه الأمير سعود بن هذلول: "كان هذا الأمير الجديد رجلاً حازمًا قوي الشكيمة شديد البطش، معه شيء من الدهاء وحسن التصرف، وكان فوق هذا جوادًا كريمًا"(٢).

ويتحدث الدكتور آل زلفة عن ابن إبراهيم السياسي الحازم المحنك فيقول: "ومع ما اتصف به من شدة في الحق فإنه كان ذا حنكة في سياسة التعامل مع الناس، وتقريبهم إليه والسماع إلى قضاياهم، والمسارعة في حلها"(٣) .

وقد أكسبه هذا الحزم مهابة لدى جميع من عرفوه أو قابلوه أو سمعوا عنه، وقد أشار صاحب كتاب "منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب"، إلى هذا المعنى فقال: "ومن أبرز من عاصرناه أمير المدينة الحازم المهيب عبد العزيز بن إبراهيم"(٤).

(١) عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل للمدينة المنورة، ج٣، ص١٨٥.

(٢) سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص١٤٩.

(٣) محمد بن عبد الله آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص٦٢ - ٦٣.

(٤) محمد بن عثمان بن صالح القاضي، منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب، ص٩٥.

ويؤكد هذا المعنى الشيخ عبد الله الجبر آل إبراهيم – رحمه الله – وقد عاصر الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، فقال إنه كان يتمتع بفراسة عجيبة، وكانت له هيبة عظيمة لدى الناس وخصوصٌ في نفوس المجرمين والمخلين بالأمن.

تشجيعه للعلم ورجاله:

اشتهر عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم حبه للأدب وتشجيعه للأدباء والمثقفين، وأشاد أكثر المؤرخين والذين كتبوا عنه "بما كان يحمله صدر هذا الأمير من حفاوة واهتمام بتقدم الحركة الأدبية الحديثة"(١) .

وكان مجلسه يتحول في المساء إلى ندوة ثقافية، تعطرها أحاديث الأدب وقصص التاريخ التي كانت تجتذب اهتمام الأمير، وتفتح شهيته لسماع المزيد من الأحاديث العلمية والثقافية والأدبية الشيقة. وقد وصف عبد القدوس الأنصاري هذا المجلس ضمن سلسلة ذكرياته عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم التي نشرتها له جريدة "المدينة المنورة" فقال:

"كان منزل الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في المنطقة المعروفة بغرب المدينة المنورة باسم (النقا) وقد اتفق هذا الاسم الذي معناه الصفاء مع خصال وأهداف الأمير الحازم الكريم، فيه صفى كل آثار اختلال الأمن الذي كانت تذر قرونه بين وقائع الأحداث والحوادث، وكان سطح هذا المنزل ترووده نسمات عذاب دائمة الهبوب في مواسم الصيف الحارة في المدينة، وقد وفق

(١) عبد القدوس الأنصاري، سلسلة أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الرابعة، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٥١، الصادر في ٦ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

إلى أن يتخذ منه مجلس سمر، دائم رائع وبخاصة في الليالي المقمرة.

وكان يفرش فراشًا بلديًا وثيرًا جذابًا لطيفًا يريح السامرين ويبعث فيهم النشاط لمزيد من السمر، ويزيده بهاء وجاذبية إيناس الأمير وإمتاع مجلسه بما يحويه من أدب وتاريخ وذكريات وقصص مؤنسة ولطف وقصص تاريخية ومذكرات علم وأدب وشعبيات طريفة عديدة الجوانب والموضوعات"(١).

ويستمر الأنصاري في وصف اهتمام الأمير ابن إبراهيم بالأدب وتشجيعه للأدباء، فيقول في موضع آخر من ذكرياته عن الأمير الحازم:

"ومن دأبه إكرام العلماء وتقريب خيار الأدباء وخلصائهم من مجلسه والاستئناس بأحاديثهم وعلمهم وآدابهم، في مآدبه ومحافله، وربما أخذ برأي حكيم منهم.

كان من هؤلاء كل من الشيخ سليمان العمري قاضي المحكمة المستعجلة في المدينة المنورة، والدكتور سعيد مصطفى مدير صحة المدينة المنورة، والسيد عبيد مدني أديب المدينة ومؤرخها وأحد شباب بيوتاتها، والشيخ إسماعيل مصطفى حفظي رئيس ديوانه المكرم لديه والمقدر لديه علمه وخلقه وأدبه النفسي والدرسي وإدارته الحكيمة لديوان الإمارة، وكان كاتب هذه السطور ممن يحظى بعطفه وكرمه ولطفه طيلة إمارته للمدينة – يرحمهما الله –.

---

(١)عبد القدوس الأنصاري، سلسلة أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الثالثة، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٤٤، ٢٩ صفر ١٤٠٣هـ.

ولنا دلائل واضحة وقائمة على هذا العطف واللطف والوداد العامرة به جوانحه لرجال العلم والأدب والفضل والفكر، فهؤلاء كانوا يرافقونه في رحلاته البرية الممتعة، وكان يغدق عليهم من بره وعطفه وكرمه ما يجعلهم في غبطة مشرقة إبان قيامه بالرحلات البرية الميمونة"[1].

بالإضافة إلى ذلك، فقد كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم يقوم برعاية جهود المؤسسات التعليمية والثقافية القائمة، وفي المدينة المنورة كانت الاختبارات النهائية تتولاها لجنة برئاسة أمير المدينة، وكانت تستمر شهرًا[2]، وكان – يرحمه الله – يرعى حفلات المدارس في المدينة لتشجيع الطلاب والمدرسين، وكان يقوم في نهاية كل عام دراسي بتوزيع الشهادات والجوائز على الطلاب الناجحين والفائزين، وقد علق مرة وقد انتهى الخطباء من الإلقاء فقال:

"إني أشكر ناشري العلم لأن به حياة الأمم ورقيها، وأشكر هذه المدرسة والمدرسين والمدرسة الأميرية اللتين تنشران العلوم في هذه البلاد الطاهرة"[3].

وكما كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم حريصًا على رعاية العلم وتشجيع المتفوقين، وكان دائم التعبير عن تقديره لـ "ناشري العلم" من المدرسين والعاملين في المجال التعليمي، فإن رجال التعليم كانوا يبادلونه

---

(١) عبد القدوس الأنصاري، سلسلة أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الأولى، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٢٩، ١٤ صفر ١٤٠٣هـ.

(٢) عبد الكريم نيازي، مجلة المنهل، رجب – شعبان ١٤١٥ه، ص٤٨.

(٣) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ.

مشاعر التقدير والإعزاز التي تمثلها هذه القصيدة الشعرية التي وجهها للأمير ابن إبراهيم مدير المدرسة الابتدائية بالمدينة المنورة الأستاذ أحمد صقر، خلال الزيارة التي قام بها الأمير للمدرسة:

تهنئة المدرسة الابتدائية
لمعالي سمو أمير المدينة المنورة
الأمير الجليل عبد العزيز بن إبراهيم
بعيد الفطر المبارك (عام ١٣٥٣هـ)

معاليك عنها طابق الخبر الخبرُ فطاب لنا في مدحها النظم والنثرُ
ونلقاك للوفاء تبسم دائمًا وتمنحهم ما تستحق به الشكر
وتكرم أهل العلم والدين والتقى وتغمرهم بالمال أنملك العشر
وتبتهج الأرواح حولك فرحة بمرآك يا من راح يحسدك البدر
وأنت ولامن عليك قصائدي تضيء كما ضاءت خلائقك الغر
غراس الأماني في نوالك مورق ويثمر بالمأمول ما أنجز الحر
وفي وجهك الميمون فأل سعادة تطالعنا منه المسرة والبشر
(فيسراك للأساف والفتك بالعدى ويمناك تهمي الجود من دونها القطر)
ففي يدك اليمنى ثوى اليمن كله كما قد حوت يسراك في كفها اليسر
وأنت لنا (عبد العزيز) مؤمل وبحر عطاء واسع دونه البحر
وأنت (يا إبراهيم) من فيك فاخرت بلاد الهدى كل البلاد ولانكر
وملكًا غدوتم أنتم رؤساؤه حري به أن لا يضن له النصر
بظل إمام المسلمين مليكنا أبو العرب من فوق الملوك له قدر
إمام الهدى (عبد العزيز) ومن له مفاخر في التاريخ سطرها الفخر

هو البدر في الإشراق قد ضاء بهجة وأبناؤه من حوله الأنجم الزهر
فشكرًا لكم في زورة جلبت لنا صنوف المنى وافى إلينا بها الحبر
ودمت دوام الملك بالعز والهنا تزوركم الأعياد يزهو بها العصر
وأختم قولي بالصلاة مسلمًا على المصطفى والآل ماطلع الفجر
كذا الصحب والأتباع ما قد تعطرت قلوب بعيد الفطر واتصل الأجر

ويتحدث الأنصاري عن المستشرق الإنجليزي فيلبي(١)، وكيف كان مهتمًا بالآثار التي ألف فيها بالإنجليزية، وكان يحضر مجالس الأمير في المدينة "ويتحدث بملء شدقية ويقص القصص المنوعة حيال رحلاته واستكشافاته الأثرية شمالي الحجاز وجنوبه، وفي شرق المملكة وغربها، ويأسر مسامع الحاضرين بهذه القصص المنوعة، وكان لسانه جوالاً في ميادين سعة معلوماته الأثرية والتاريخية والأدبية، وكان مجلس الأمير الحازم الكبير يأخذ لبه حتى أنه كان يبرز أنصع جواهر معلوماته عن التاريخ السعودي وعن آثار المملكة العربية السعودية.

وقد كان اجتذبه مجلس معالي أمير المدينة الكريم الواسع الصدر المعطاء، فكان يقدم إليه بسيارته اللاندروفر فينطلق في حديثه عما صنع وعما استكشف وعما شاهد وما لاحظ، وكان مجلس الأمير يجذب شهيته إلى

(١) سنت جون فيلبي، مستشرق بريطاني ولد في سيلان سنه ١٣٠٢هـ، وتوفي سنه ١٣٨٠هـ، تعلم في إنجلترا، وخدم حكومته في الهند من عام ١٩٠٨م١٩١٥–م، وعمل في البصرة، ودخل الرياض عام ١٩١٧م مع وفد بريطاني، فتعرف إلى الملك عبدالعزيز، وسافر إلى جدة، استقال من عمله بعد فترة وعاد إلى جدة حيث عمل تاجراً حراً، وأنشأ شركات لاستيراد السيارات، ووثق صلاته بالملك عبدالعزيز، وفي عام ١٩٣٥م، أعلن إسلامه وأصبح اسمه عبدالله فيلبي، قام برحلات عدة اكتشف خلالها الجزيرة العربية وقام بتأليف ١٥ كتاباً بالانجليزية عن هذه الرحلات.

مزيد فياض من الأحاديث والمرويات عن منجزاته في ظرف لم يكن فيه أحد من أبناء البلاد يعرف أو يعنى بشيء من هذا القبيل.

لقد كان يروي للأمير الذي كان يتصدر المجلس في كل ليلة عامرة، والذي يمنح طاقات استقباله المبهجة ويهب الغبطة لزواره ورواد مجلسه السامر الأنيس، وربما أحضر فيلبي معه بعض خرائطه فبسطها أمام معاليه شارحًا لمفاهيمها ومحللاً لتعرجاتها بلهجته العربية ذات اللكنة الإنجليزية وبصوته الضخم الأجش الذي يحمل شيئًا من الإقناع أو على الأقل، شيئًا من هذا القبيل، وكان الأمير وكان ضيوفه من المدينة والوافدين إليها يصغون إلى أحاديث عبد الله فيلبي إصغاء كليًا يحفزه إلى المضي في سرد كل ما تحتويه جعبته من ذلك"[1].

ويمضي الأنصاري في وصف مجلس الأمير ابن إبراهيم فيقول:

"كان الأمير المضيف ممن يأنسون بالعلم، وممن يعنون بسماع كل مفيد قيم من أي مصدر جاء، عملاً بالحكمة المأثورة (الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها).

ولقد كان معاليه متفتح الروح لكل ما من شأنه أن يوسع مداركه الكبيرة، وربما وجه السؤال الدقيق إلى كاتب هذه الحروف أثناء مناقشته لفيلبي في بعض تسمياته لبعض الأماكن ولبعض المواقع الأثرية التي ارتادها في مسيراته الوفيرة الكثيرة عبر أرجاء المملكة، فأجيبه بما أعلم من ذلك.

(١) عبد القدوس الأنصاري: سلسلة أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الخامسة، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٥٨، ١٣ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

ثم تقدم جفان العشاء مكللة بالذبائح السمينة وكانت تبسط تحتها مائدة من القماش الأبيض النقي السميك على أرض مفروشة تقع بجانب مكان السمر المعهود، وعلى مائدة العشاء الزاخرة بكل ما يلذ ويطيب المكللة جفانه وصحافه الناصعة كانت تدور الأحاديث المتنوعة الملائمة بين الحاضرين.

وربما تحول مجرى الأحاديث إلى مذكرات شفوية أو ذكريات أثرية أو تاريخية عامة وخاصة عن بطولات جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وحكمة سياسته البناءة فيسترسل الجميع في هذا الميدان الشائق المحبوب، وعن قصص نضاله الموفق، وربما تجاوز الأمر إلى سرد بعض الوقائع التاريخية المعينة في كفاحه البطولي المجيد إبان اهتماماته بتأسيسه الدولة السعودية الجديدة الموحدة الكيان والآمال والطموحات.

وبعض هذه الأحاديث كان مما حضر وقائعه وأحداثه الأمير عبد العزيز بن إبراهيم وشارك فيها.

وفي ذات ليلة من تلك الليالي البيض المشرقة سمعت فيلبي وهو يسترسل في أحاديثه التي حقق بها استكشافات هامة وبخاصة في منطقة طيبة الفيحاء. سمعته وهو يقول للأمير: لقد أكملت اليوم ترتيب بحوثي الأثرية الخاصة بهذه البلدة وضواحيها، وإنني لمزمع عما قريب القيام برحلة طويلة المدى إلى إنجلترا لكي أنشر من هنالك بعض مؤلفاتي عن هذا الموضوع.

وفي لمحة خاطفة عابرة لاحظت مدى اهتمام الأمير بهذا النبأ المفاجئ من فيلبي وكانت ملامح وجهه ناطقة وحادّة فقد استرعى انتباهه هذا النبأ

الذي عبر به المستشرق المسلماني عن أمله؛ فألقى في نطاقه هذه الفرقعة بنشر بعض كتبه الفياضة بما حوته هذه البلاد العتيقة من آثار في بلاده وبلغة بلاده. وقد جرفني آنذاك شعور مجتاح من داخل جوانحي ووخزني ضميري حيال هذا الذي يباهي فيه فيلبي بمستكشفاته الأثرية عندنا.

ومن يومئذٍ بدأت في القيام بمحاولات جريئة ومصممة على استكشاف كل ما يتسنى لي استكشافه من الآثار الجاهلية والإسلامية المنقوشة في الجبال وفي صخورها وفي أماكنها المختلفة.

وقد كان هذا التحول مني لمهمة استكشاف الآثار من الثمار اليانعة القيمة لمجلس معالي الأمير الكريم عبد العزيز بن إبراهيم"(1).

ويذكر الأنصاري، في إحدى حلقات ذكرياته، وجهًا آخر من أوجه الرعاية التي كان يوليها الأمير ابن إبراهيم للأدب والأدباء، فيقول إن ابن إبراهيم رعى مسيرة مجلته "المنهل" حينما كانت فكرة، وكان حريصًا كل الحرص على أن تصدر المجلة في سني ولايته في المدينة المنورة، وقد كان صاحب المجلة من موظفي ديوان الإمارة، حيث تعين في الإمارة باختيار الأمير نفسه(2).

ويسترسل الأنصاري في ذكر دور ابن إبراهيم في صدور مجلة "المنهل"، فقال:

---

(1) عبد القدوس الأنصاري، سلسلة أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الخامسة، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٥٨، ١٣ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

(2) حديث الوداع، مقابلة مع عبد القدوس الأنصاري، صحيفة عكاظ، العدد ٥١٣٦ الصادر في ١٤٠٣/٧/١هـ.

"وكان وهو في منصبه (إمارة المدينة المنورة) الذي ملأ كرسيه بكفاءة وجدارة كان يعنى كل العناية بالمعاملات التي كانت ترد إليه من مقام النيابة العامة بمكة والحاويات لطلب استكمال بعض الإجراءات الأولية والثانوية لإصدار المنهل، سواء كانت تلك المعاملات واردة عن مجلس الشورى أو عن الشعبة السياسية أم عن وزارة الخارجية أم من إدارة المعارف العامة بمكة المكرمة، فكان يوعز إلى رئيس ديوانه: المرحوم إسماعيل مصطفى حفظي بالاهتمام الشديد بالإجابة السريعة الإيجابية عن كل سؤال واستعلام يردان من المراجع العالية بما فيه المصلحة وفي كافة إحراز نجاح حافل وإيجابي لصدور المنهل مجلة المدينة المنورة"(١).

ويشير الدكتور إبراهيم الزيد إلى أنه عندما ألف المؤرخ أحمد عبد الغفور عطار كتابه (صقر الجزيرة)، أصدر الملك عبد العزيز أمرًا بتشكيل لجنة لقراءة مخطوطته، برئاسة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم لتصحيح ما قد يكون في المخطوطة من أخطاء أو ملاحظات، وقد جرى استعراض المخطوطة في تؤدة، وفي جلسات ليلية في منزل ابن إبراهيم في حي الفلق في مكة المكرمة، وفي الحرم المكي، إبّان عضويته لمجلس الوكلاء، كما ذكر ذلك العطار في مقال تأبيني إثر وفاة معالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم أمير الباحة سابقًا، يرحمه الله(٢).

(١) عبد القدوس الأنصاري، سلسلة أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، الحلقة الخامسة، جريدة المدينة المنورة، العدد ٥٧٥٨، ١٣ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

(٢) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ.

نموذج آخر يقدمه الدكتور محمد حسين هيكل لاحتفاء الأمير ابن إبراهيم برجال العلم والأدباء والمفكرين، وذلك خلال حديثه عن زيارته للمدينة المنورة فقال: "في غد نبرح المدينة لأزور بدرًا وشهداءها ولأدرك الباخرة التي تبحر من ينبغ إلى السويس، فغدٌ الجمعة، والباخرة تبحر ظهر الأحد. ولست آمن إن بقيت إلى صبح السبت بالمدينة أن يبغتني الوقت فتفوتني زيارة بدر وأنا عليها جد حريص. كفى أن فاتتني زيارة خيبر بعد إذ يسّر لي الملك ابن السعود الوسيلة إليها. فقد دفع إلي كتابًا برسم أمير المدينة ليعاونني في سلوك طريقها وإلى الوقوف بها. وأظهر لي الأمير عبد العزيز بن إبراهيم رغبته في المعاونة، لكنه ذكر أن الطريق إلى خيبر ليس ممهدًا كله للسيارة، وأن الإنسان يبلغ بها منتصفه في يوم، ولابد له مثل هذه المشقة وهذا الوقت.

فلا مفر من إرجاء زيارة خيبر إلى فرصة أخرى أرجو ألا تضن الأقدار علي بها.

غدٌ، الجمعة، فلأجعل زيارة الوداع للحجرة النبوية عقب صلاة الجمعة، ولأبرح المدينة بعد صلاة العصر، ولأؤد سائر اليوم بالمدينة واجب الشكر لأميرها عبد العزيز بن إبراهيم"(١).

أما علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر، فقد كان للقائه الأول بالأمير عبد العزيز بن إبراهيم، إبّان إمارته في المدينة المنورة، قصة طريفة أوردها ضمن مذكراته، وقد زوّدني الشيخ الجاسر بهذه القصة التي تبرهن على

(١) محمد حسين هيكل، في منزل الوحي، ص٥٩٠.

مدى ما كان يكنه الأمير ابن إبراهيم للأدباء والعلماء وأصحاب القلم من محبة وتقدير، وعلى الرعاية التي كان – يرحمه الله – يوليها لهم، والحفاوة التي كان يلقاهم بها إذا جلس معهم أو التقى بهم.

يقول الشيخ حمد الجاسر:

"وفي ضحوة أحد الأيام – وكنت منهمكًا في المطالعة والنقل في (مكتبة شيخ الإسلام) – إذا بشرطي يدخل مكان المطالعة، ويتجه إلى الشيخ محمود شويل الجالس في صدرها، وإذا بالشيخ يشير إليَّ والشرطي يتجه نحوي، ثم يأمرني بالخروج معه، فلم أجد بدًّا من إرجاع الكتاب الذي كنت أطالعه، والسير معه لأجد شرطيًا آخر واقفًا بالباب، وأمرني بالتوجه إلى محل سكني، ثم بجمع الأشياء التي لي في الحجرة في كيس كنت قد أعددته لذلك، تأهبًا للعودة إلى ينبع، فتم ذلك بدون ترتيب، ودو مراعاة الحفاظ على ما يُخشى تلفه، كالكتب والأوراق التي كنت أنقل فيها ما أستطرفه، فما كان موقف صاحبي مريحًا بالنسبة لي، لقد أمراني بحمل ذلك الكيس (الخيشة) وأن أسير أمامهما فامتثلت حتى بلغت (حارة المناخة) وهناك عند باب بيت كبير قال أحدهما لشرطي واقف عند مدخل الباب: هذا الرجل المطلوب! فقال: كلموا الضابط فلان، وأجلساني بجوار صاحبهما حتى خرج من البيت ضابط سألني عن اسمي، ثم أمرني بحمل (خيشتي) ودخول البيت والجلوس في جانب من حوشه الواسع، وشغل عني فترة من الوقت، ولعله يعد كتابة شيء ما، فقد شاهدت أحد الشرطيين خارجًا من حجرة على مقربة مني ثم ما لبثت أن رأيت الضابط يخرج من

تلك الحجرة وبيده ورقة يناولها ذلك الشرطي، ويأمره بأن يدعو (هوشان) ويقبل رجل قصير، متهلل الوجه، قد نسف ردني ثوبه على كتفه، فيشير الضابط إليَّ قائلاً: هذا الرجل المطلوب فيسرع (هوشان) إليَّ قبل استكماله سماع كلام الضابط ولعله تأثر من إجلاسي بذلك المكان، فسلم عليَّ قائلاً (اللي ما يعرفك ما يثمنك) تفضل! تفضل! فأحمل كيسي ولكنه يسرع إلى أخذه مني، ويتقدمني صاعدًا في درج طويل يوصل إلى مجلس مستطيل واسع، يتصدره مكتب كبير جلس فوق كرسيه رجل سارّه هوشان بكلام لم أسمعه، فإذا به يسارع لاستقبالي، والأخذ بيدي، وإجلاسي على كرسي مجاور له، و لم تتكرر كلمات الترحيب كالعادة، فقد انطلق الرجل يتكلم عاتباً وموبخًا: كيف أقدم هذه البلاد دون أن يعلم بي أحد، ثم أنزل في (الرباط) مثل الدرويش المجهول، وإذا حملك التواضع على أن لا تعرف منزلتك فما كان ينبغي أن تجهل ما لعارفيك من حقوق أيسرها المرور والسلام! كلموا (ابن الشيخ) فيقف أمامه شاب وضيء الوجه سمح المحيا، تتدلى غدائر شعر رأسه إلى منكبيه، تحمل يمناه سيفًا: البيت الذي كان يسكنه ابن رماله هيئوه للشيخ، ورتبوا فيه ما يلزم وخصصوا سيارة! يلازم سواقها الشيخ في جميع الأوقات التي يحتاج فيها السيارة! هكذا استقبلني الأمير الشهم عبد العزيز بن إبراهيم لأول مرة، وبدون سابق معرفة، وقد يكون أخوه الأمير حمود حيث كان أميرًا في ينبغ أخبره بشيء من أمري، ولقد حاولت – بعد أن اعتذرت عما وقع مني من تقصير – أن أبقى قريبًا من المكتبات حيث كنت، فأنا هناك بغاية الراحة، غير مترفع عما يوجه لي من فضل أو يسبغ

عليَّ من إكرام، وأوضحت أنني بدأت في التأهب للعودة إلى عملي، وأريد اغتنام بقية الوقت لإشباع نهمي بمطالعة ما أرغب مطالعته، ولكن الأمير أصرّ على ما قرر، مضيفًا بأن السيارة توصلك أي مكان تريد حتى تبلغك مقر عملك وهكذا كان، فقد كنت أذهب في الصباح إلى المكتبة، وبعد صلاة الظهر في الحرم أعود إلى البيت لكي أتناول طعام الغداء مع الأمير وضيوفه، وقبيل المغرب أرافقه في سيارته إلى بستان له في (العوالي) ولا تكون العودة إلا الساعة الرابعة ليلاً، حيث الوقت كان صيفًا، وكان الأمير – رحمه الله – على ما كان يُعرف عنه من شدة وغلظة – ذا نفس سمحة، وخلق رضي، في مجالسه الخاصة، وبين من ترتفع بينه وبينهم الكلفة.

لم تزد المدة على الأيام الخمسة، وفي آخر ليلة منها أبديت عزمي على السفر مستأذنًا، بعد أن أسمعته نظمًا كنت قد نظمته، محاولاً أن أعبر فيه عما غمرني من لطفه وكرمه:

أُولئِكَ أَهْلُ الفَضْلِ مَنْ جَدُّهُمْ (فَضْلُ)   بِمَدْحِ الكِرَامِ الغُرّ يُسْتَعْذَبُ القَوْلُ

الأمير الكريم:

بقدر ما كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم حازمًا، شديدًا في الحق، ذا مهابة ورهبة في نفوس المجرمين والخارجين على القانون، بقدر ما كان كريمًا معطاءً مضيافًا، وكان كرمه يأخذ صورًا وأشكالاً متعددة، فكانت آثار هذه الخصلة الحميدة تظهر في أكثر من مجال، حتى أشاد بها المؤرخون والكتاب الذين عاصروه، ومن بينهم عبد القدوس الأنصاري، الذي حكى

ضمن سلسلة ذكرياته عن الأمير الحازم الكريم، قصصًا متعددة في هذا الجانب، لعل من أشهرها ما قام به الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أثناء إمارته للمدينة المنورة من إعادة استقامة طريق المدينة – قباء على نفقته الخاصة، إذ إنه قام بشراء قطع الأراضي الموجودة في هذا الطريق، من أصحابها من ماله الخاص، وجعلها وقفًا لله تعالى ووسع بها الطريق وجعله مستقيمًا على النحو الذي أوضحناه من قبل، بحيث يشاهد الواقف في أوله عند باب قباء آخر أبواب المدينة – يشهد من هناك مسجد قباء[1].

وعن ظاهرة الكرم التي اشتهر بها الأمير عبد العزيز بن إبراهيم قال محي الدين رضا:

"وأما كرمه وإكرامه لي ولزملائي فهذا شيء مأثور عن العرب، ولطالما حدثنا عنه التاريخ أحاديث كنا نظنها خيالية حتى خبرناها في إمارته ومن دار ضيافته فقط فجزاه الله خيرًا"[2].

ومن المواقف الشهيرة التي تدل على كرم الأمير ابن إبراهيم المقرون بحسن التصرف والبراعة في استخدام الإمكانات المتاحة، حتى في الأوقات العصيبة التي يكون فيها الوضع بالغ الحرج، هذا الموقف الذي رواه الشيخ عبد الله بن جبر آل إبراهيم، والذي كان شهوده أمير الحج الكويتي الشيخ صباح الناصر الصباح وأعداد غفيرة من الحجاج الكويتيين.

فقد حدث أنه في موسم حج أحد الأعوام وصل إلى المدينة مندوب

(١) عبد القدوس الأنصاري، رحلتنا الثانية إلى منطقة الباحة، مجلة المنهل، السنة ٤٥، المجلد ٤٠، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩هـ، (أكتوبر ونوفمبر ١٩٧٩م).

(٢) محي الدين رضا، رحلتي إلى الحجاز، ص١٢٣.

عن أمير الحج الكويتي الشيخ صباح الناصر الصباح، وقد حضر إلى الإمارة وأبلغ الأمير أن الشيخ صباح سوف يصل المدينة في صباح اليوم التالي، وهنا أمر الأمير بإرسال عدد من السيارات لمقابلة أمير الحج الكويتي الذي قدم ضمن المحمل الكويتي، كما أمر بإعداد فطور للضيف ومرافقيه، وكذلك إعداد غداء، إلا أن أمير الحج أعاد السيارات المرسلة إليه، وأفاد المندوبين أنه سوف يحضر مع مرافقيه على ركائبهم.

وكان المفاجأة أن مرافقي أمير الحج الكويتي يزيدون على ثلاثة آلاف حاج، وأن المكان المخصص للضيف لا يتسع لهذا العدد الكبير، فأمر -يرحمه الله- بأن يتم تقديم الفطور على دفعات، وأن يكون الغداء بعد العصر،ولم يجد مكانًا يتسع للمدعوين إلا محطة السكة الحديد، كما أن القدور والصحون الموجودة في الضيافة لم تكن كافية، فاستعان - يرحمه الله - بالقدور والصحون الموجودة في أوقاف المدينة، وكانت الذبائح التي قدمت لأمير الحج الكويتي ومرافقيه تزيد على ثلاث مئة رأس من الغنم بالإضافة إلى عشر رؤوس من الإبل، هذه الذبائح الضخمة كان لابد لها من مجموعة من الطباخين الجيدين، وقد استعان الأمير بالجنود الهجانة الذين يحسنون الطبخ لمساعدة طباخي الإمارة.

كما لم يجد الأمير مكانًا يتسع لجلوس الضيوف قبل الغداء سوى ساحة العنبرية، حيث تم جمع كراسي المقاهي، وقد صفت بحيث يتسع المكان للجميع، وقد يسر الله الأمر وانتهى الغداء في موعده، وقدمت موائد الطعام في ظلال عربات سكة الحديد.

هذا الموقف من المواقف التي قال – يرحمه الله – إنها من أكثر المواقف إحراجًا له في حياته، وكان لذلك تأثير حسن لدى أمير الحج الكويتي حيث كلف اثنين من رجاله بإشعار الحجاج بما قام به الأمير عبد العزيز بن إبراهيم من تكريم له وللحجاج الكويتيين، وصادف ذلك ذهاب الأمير عبد العزيز ابن إبراهيم للحج، فعندما علم بذلك أرسل للشيخ صباح من يقول له إن هذا ليس من عاداتنا، وأنا أشكرك على ما تكنه لنا من محبة، وأن الشكر لا يكون لي شخصيًا، بل للملك عبد العزيز الذي يوصينا دائمًا عليكم وعلى أمثالكم بتقديم ما يمكن تقديمه من ضيافة وغيرها، ولو يحصل منا تقصير لعاقبنا جلالته.

وهنا اقتنع صباح – يرحمه الله –، وأوقف النداء الذي بدأ به بعض رجاله، وكان في ذلك الوقت يعرف عند القبائل (بالبيضاء).

ومن مواقف الأمير ابن إبراهيم الأخرى التي تدل على كرمه وحسن وفادته هذا الموقف الذي يحكيه أحمد علي[1]، ضمن ذكرياته عن مدارس المدينة المنورة، حيث يقول:

"وبعد زيارة المدارس أخذني الصديق للسلام على وكيل أمير المدينة عبد العزيز بن إبراهيم رحمه الله.

ولما كان مقر إقامته بعيدًا عن البلدة استأجرنا عربة من عربات الكرو

---

(١) أحمد علي أسد الله: كان من مدرسي "مدرسة الأنجال" في الرياض، ثم عميدًا لكلية الشريعة بمكة، ومفتشًا بوزارة المعارف. وكتابه "آل سعود في تاريخهم القديم والحديث" من أفضل المختصرات في الموضوع. نشر بعض ذكرياته في مجلة "المنهل" المجلدات ٢٤، ٢٥، ٢٦. انظر: خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ص١٠٠٧.

بثلاثة ريالات ذهابًا وإيابًا إلى بستان الأمير الجلونية، و لم نصل إليه بعد السادسة نهارًا.

وسألنا الحاجب عن الأمير، فقال: موجود ولكنكم متأخرون جدًّا في المجيء، ثم دخل وأخبر سعادته بوصولنا فسمح لنا بالدخول رغم تأثره بوعكة، كما فهمنا منه.

ورحب بنا وسأل عني، وبعد أن عرف أنني أستاذ في إحدى مدارس مكة: سألني عن جو مكة وأخبارها وأخبار المدارس وعن مدير المعارف في تلك الأيام، وسألني كذلك عن بعثة تفتيشية كانت توجهت من المدينة، هل رأيتم سياراتهم في الطريق؟

فذكرت لسعادته: أنني رأيت سياراتهم وأفرادًا منهم في أبيار الشيخ، ثم جاء الخادم بطبق فيه أجود أنواع الرطب المدني مع القهوة.

وكلما توقفنا عن تناول الرطب والقهوة طلب منا أن نزيد، ثم جاء الخادم بالعود وطيبنا، وبعدها استأذنا سعادته في الانصراف، فاستوقف صاحبي وسأله عني: هل الأخ ضيفك؟! فقال له: نعم.

وعندئذٍ طلب منا التريث قليلاً وأمر أحد الخدم بإحضار صندوق من الرطب وخروف كبير، وقال، رحمه الله: هذه ضيافتكم، ولولا أن الوقت متأخر لأبقيتكم عندي للعشاء، ولكن محلكم بعيد والوقت حان، والأخ – وأشار إلي – متعب والإنسان لا يستريح إلا في محله، ففي أمان الله، وخرجنا من عند سعادته شاكرين لطفه وكرمه وحسن وفادته رحمه الله"[1].

(١) أحمد علي، ذكريات، ص٦٦، ٦٧.

قصص ذات مغزى:

تحفل حياة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بالعديد من المواقف والقصص الحقيقية، التي تدل على ما كان يتمتع به من فراسة شديدة، وحزم وعزم وشدة في مواجهة المجرمين، ونورد فيما يلي بعض هذه القصص التي ما زالت تتناقلها الأجيال:

القصة الأولى - السجين الهارب:

وتحكي أن شخصًا يدعى القروني، وكان من المجرمين المعروفين منذ ما قبل توحيد المملكة، وقد قبض عليه في جريمة ارتكبها في ينبع وسجن بها. وذات يوم وبينما كان يطل من نافذة السجن لاحظ أن الحارس المسؤول عن سجنه نائم، فما كان منه إلا أن عالج الباب بطريقة استطاع بها أن يفتحه، وسرق بندقية الحارس وهرب إلى ينبع النخل، وخلال هروبه شاهد رجلاً راكبًا على جمل فتعقبه من خلفه وضربه بماسورة البندقية على رأسه فخر مغشيًّا عليه، فأخذ جمله وتركه في مكانه بين الحياة والموت واتجه نحو بدر، وهناك باع الجمل والبندقية. ومن بدر قاده سوء حظه إلى المدينة المنورة واستقر بها في مكان مهجور في المنطقة المسماة سيدنا حمزة، وكان الناس يأتون لزيارة قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب، وفي أحد الأيام أتى شخص من أهل مكة لزيارة القبر، فهجم عليه هذا المجرم واختلس متاعه حتى لم يبق عليه سوى ملابسه الداخلية؛ فأتى الرجل إلى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم شاكيًا ومستنجدًا، فأمر الأمير أتباعه من قصاصي الأثر

والأخوياء بالذهاب مع الشخص واقتفاء أثر المجرم وإحضاره، وحذرهم من التكاسل في الأمر وأن عليهم ألا يعودوا إلا والمجرم معهم.

وكان موظفو الأمير والعاملون معه يدركون مدى حرصه على استئصال شأفة الإجرام والمجرمين، ويلاحظون الساعات الطويلة التي يقضيها في مكتب صغير بباب العنبرية في مدخل المدينة للإشراف على أمور الناس وحل مشكلاتهم، لذلك كانوا يعملون بجهد مضاعف، ويتفانون في أداء واجبهم بحماس منقطع النظير. قام قصاصو الأثر وأتباع الأمير باقتفاء الأثر في كل الطرق الخارجة من المدينة في كافة الاتجاهات فوجدوا أن المجرم لم يغادر المدينة فكثفوا البحث داخل المدينة حتى وجدوه مختبئًا داخل سرداب ماء، فألقوا القبض عليه فإذا بالأغراض التي سرقها من الزائر موجودة معه، وعندما أحضروه للأمير وبدأ التحقيق معه بدا عليه الارتباك، وبدأ يعترف بجرائمه السابقة ومنها جرائمه التي ارتكبها في ينبع، فرفع عنه لجلالة الملك عبد العزيز - يرحمه الله - مقترحًا أن تقطع يده ورجله من خلاف ليكون عبرة لغيره، وفعلاً وافق جلالة الملك على الاقتراح وتم تنفيذ العقوبة عليه.

القصة الثانية - العبد السارق:

حضر إلى المدينة المنورة في أحد الأيام شيخ إحدى القبائل ومعه بعض مرافقيه لشراء مستلزماتهم من أسواقها، وخلال تنقلهم بين المحال التجارية نسوا صرة من الذهب كانوا يحملونها معهم، فبحثوا عنها طويلاً فلم يجدوها، وسألوا أصحاب الدكاكين الذين اشتروا منهم البضائع فلم يعثروا

للصرة على أثر. فوجدوا أنه لا مناص من عرض موضوعهم على الأمير عبد العزيز بن إبراهيم عسى أن يساعدهم في العثور على ما فقدوه. وعند عرض الموضوع على الأمير سألهم عن آخر دكان اشتروا منه بضاعتهم فأخبروه باسم المحل وصاحبه، وكان من الأشخاص المعروفين في المدينة بالنزاهة والاستقامة، ولكن لا مناص من استدعائه. وفعلاً استدعى الأمير ابن إبراهيم صاحب المحل وهو يعلم يقينًا أنه لا يمكن أن يقوم بهذا الفعل؛ فسأله أمامهم وأخبر الرجل الأمير بأن الأشخاص فعلاً اشتروا منه بضاعة دفعوا له قيمتها ولكنه لم يعثر بعد مغادرتهم على أي شيء، وكان لصاحب الدكان عبد يعمل عنده فطلب الأمير منه أن يستدعي العبد، وكان أعور، فأوضح صاحب الدكان للأمير بأنه قد ربّى العبد من صغره، وأنه لم يسبق له أن خانه في يوم من الأيام في قليل ولا كثير، ولا يمكن لعبده أن يسرق أو يخون. فأصر الأمير على إحضار العبد لاستجوابه؛ وفعلاً حضر العبد فأخذه الأمير إلى غرفة أخرى وقال له: أنت تعرف أن سيدك من كبار تجار المدينة المعروفين بالصدق والنزاهة، فإذا كان الشيطان قد وسوس لك وأخذت الصرة فأخبرني لنعيدها إلى أصحابها ولن يعلم أحد بذلك، فأنكر العبد أنه أخذ الصرة أو أنه شاهدها، وعندئذٍ أخبره الأمير بأن لديه كتابًا يكشف المجرمين، وأنه سيقرأ فيه عليه، فإن كان بريئًا فلن يناله مكروه، وإن كان هو الذي سرق الصرة فإنه سيفقد عينه الثانية.

وكان العبد يسمع الكثير من القصص التي تنسج حول الأمير وقدرته على كشف المجرمين، فبدأ العبد يرتعد وقام الأمير لإحضار الكتاب

من خزانة في الغرفة، وقبل أن يلمس الكتاب صاح العبد، أرجوك يا سيدي أن تعفو عني، فأنا الذي قمت بسرقة الصرة وقد خبأتها في كيس أرز في المستودع، فطلب منه الأمير الذهاب وإحضارها، ثم أعادها إلى أصحابها.

القصة الثالثة – خائن المعروف:

أما الشيخ محمد الحافظ فقد أورد القصتين الثالثة والرابعة، وهما كسابقتيهما تدلان على دهاء الأمير عبد العزيز بن إبراهيم ومقدرته على كشف الجريمة والمجرمين:

تحكي القصة الثالثة عن رجل من منطقة المسيجيد، وهي منطقة تبعد عن المدينة المنورة حوالي ٨٠ كيلومترًا استضاف امرأة لم يكن زوجها حاضرًا فأكرمته، وقدمت له المتوفر لديها من التمر والقهوة على عادة العرب وانصرفت إلى أشغالها، وخلال ذلك لمح الرجل بندقية زوج المرأة معلقة في الدار، فأخذها وغادر البيت خلسة، دون أن تلحظ المرأة ذلك وعندما عاد الزوج افتقد البندقية فسأل زوجته عنها فأخبرته بأنها لا تعرف عنها شيئًا، فسألها إن كان زارها أحد في ذلك اليوم فأخبرته بقصة الرجل الغريب الذي استضافها، فعرف أن الرجل سرق البندقية، فتتبع أثر ذلك الرجل من المسيجيد حتى وصل المدينة المنورة، ولما وصل المناخة في المدينة أضاع الأثر لكثرة المارين، ولكن الله ألهمه أن يتجه إلى الطريق المؤدي إلى زقاق الطيار غرب المدينة، فإذا به يعثر على الأثر مرة أخرى، ولقي الرجل والبندقية بحوزته فطلب منه إعادة البندقية ولكنه أنكر أنه سرقها من

منزل صاحبها وأصر على أنها بندقيته. وبعد جدال وخصام ذهب صاحب البندقية إلى الأمير عبد العزيز بن إبراهيم شاكيًا، وشرح له القصة فأرسل الأمير شخصًا معه لإحضار خصمه الذي كان قد باع البندقية ولف قيمتها في (كمر)[1] حول وسطه، وعندما حضر أمام الأمير أنكر سرقته للبندقية وأصر على أن هذه التهمة مجرد افتراء من المدعي، ولاحظ الأمير أن الرجل يلبس حزامًا منتفخًا حول وسطه، فطلب منه أن يدنو منه فضرب الأمير حزام الرجل فإذا هو مليء بالنقود فسأله الأمير من أين له هذا المال؟ وهو الذي جاء ماشيًا من المسيجيد إلى المدينة المنورة، ولم يكن يملك أجرة يركب بها؟ فارتبك الرجل، لكنه أجاب الأمير بأنه قد باع جملاً قبض ثمنه، فسأله الأمير عن اسم الدلال الذي باع له الجمل فأخبره باسم دلال معروف اسمه (المورعي) يعمل في بيع المواشي، فطلب الأمير إحضار الدلال. فلما حضر سأله الأمير إن كان قد باع جملاً في ذلك اليوم، فأفاد بأنه لم يبع في ذلك اليوم جملاً ولا حتى شاة، عندئذ طلب الأمير من الرجل أن يقول الحقيقة حيث ثبت كذبه. وكانت للأمير هيبة عظيمة في نفوس المجرمين، لما يعرفونه عنه من شدة على الخارجين على القانون، فاعترف الرجل بالحقيقة وبأنه فعلاً سرق بندقية الرجل من منزله وباعها بثمانين ريالاً، فأمره بإعادة النقود إلى صاحب البندقية وغرامة تعادل القيمة التي باعها بها.

القصة الرابعة – سارق صديقه:

ذهب اثنان من الحجاج المصريين للحج بعد أن اتفقا في بلدهما

(١) الكمر، حزام به جيوب يلبس تحت الملابس أو فوقها ويستخدم لحفظ النقود.

وتعاهدا على أن يكونا معًا في السراء والضراء، وبعد أن أتما حجهما ذهبا لزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي المدينة المنورة سرقت نقود أحدهما فاشتكى للشرطة التي حاولت العثور على السارق بدون جدوى، ولم تستطع اكتشاف السارق فرفع الأمر للأمير عبد العزيز بن إبراهيم، فاستدعى الشخص المسروق وسأله إن كان شخصًا يعرف عن هذه النقود التي كان قد أخاط عليها داخل ثوبه، فأجابه بأنه لا يعلم عنها أحد سوى صديقه الذي عاهده في مصر ولا يشك فيه.

فطلب الأمير إحضار الصديق - وكانت سمعة الأمير معروفة في المدينة بين الأهالي والزوار خصوصًا عن قدراته غير العادية في اكتشاف المجرمين- وعندما أحضر الصديق وبدأ الأمير في مساءلته بدت عليه علامات الارتباك، فطلب منه الأمير أن يخبرهم عن الموضع الذي خبّأ فيه نقود زميله وإلا فإنه سيجلده حتى يقول الحقيقة، فاعترف بأنه قد سرق ثوب زميله الذي به النقود وقام بإحضارها، فأمر الأمير بأن يوقف هذا الحاج أمام أبواب الحرم، كل يوم يوقف أمام باب، ويعلم الناس بأن هذا هو الحاج الذي قام بسرقة زميله. وبعد أن تم إيقافه على جميع أبواب الحرم أمر بإخراجه من المدينة راجلاً، وأن لا يعود إليها.

وتعليقًا على هذه القصة يذكر عبد العزيز الأحيدب أن الحكم الذي حكم به الأمير ابن إبراهيم كان حكمًا عرفيًّا حضوريًّا نهائيًّا بالتشهير، فقد سلمه إلى جنديين مرًّا به في أسواق المدينة وميادينها وشوارعها ومعهما منادٍ يقول: سرق زميله فاحذروه وكان كل من يسمع ذلك ويراه يوبخه

خصوصًا الحجاج الذين كان منهم هذا وصمة عار. ووقف الجنديان المناديان بالمجرم المذكور أمام أبواب الحرم النبوي في أوقات الصلاة الخمس، وبعد أن تم التشهير به أمر الأمير بإخراجه من المدينة طردًا ماشيًا على الأقدام في أتعس حالة وأعظم عقوبة، وذلك بعد أن أخذت صورته الفوتوغرافية وبلغت لجميع مراكز الشرطة في المملكة لمراقبته وتحذير الناس منه وأطلق فلم يعرف أين ذهب[1].

القصة الخامسة – راعية الأغنام:

ومن مظاهر حزمه ما أورده الدكتور إبراهيم الزيد في بحثه عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم[2]، فقد ذكر قصة حدثت في الأيام الأولى لإمارة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في الطائف، حيث راود أحد الرجال راعية عن نفسها، وهي في المرعى عند أغنامها، فأبت فاعتدى عليها، فلما جاءه وتحقق الأمير أنه الفاعل قطع بالسيف أرنبة أنفه وأرسله، فكلما رآه الناس تذكروا فعلته القبيحة.

القصة السادسة – الجزاء العادل:

ويورد محي الدين رضا قصة توضح أسلوب الأمير عبد العزيز بن إبراهيم في توطيد الأمن وإشاعة الأمان والطمأنينة بين الناس، فقال: "تعدى بعض البدو على راعٍ يرعى الماعز في طريق المدينة المنورة، فأخذوا منه واحدة وأكلوها.

فوصل خبر عملهم هذا إلى وكيل أمير المدينة الشيخ عبد العزيز بن

(١) عبد العزيز الأحيدب، ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، ص٦٧.

(٢) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

إبراهيم، فأمر بالبحث عنهم وإحضارهم إليه، ولما حضروا أمر بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وذلك بأن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى من كل واحد أو العكس، فنفذ ذلك حالاً.

وحدث أنني لما زرت النبي صلى الله عليه وسلم، بلغني هذا الحادث، فاجتمعت بالشيخ، واعترضت على عمله، بلطف طبعًا، فقال لي: إن هؤلاء يعدون قطاع طرق يعيثون في الأرض فسادًا وينطبق عليهم حكم الآية الكريمة:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(سورة المائدة، ٣٣).

وزاد على ذلك بأن قال لي: فلو تركنا هؤلاء لصدوا الناس عن زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجده، بل لصدوا الناس عن الحج.

فانظر رحمك الله إلى أي مدى نظر هذا الحاكم النجدي رحمه الله".

القصتان السابعة والثامنة يرويهما المربي الشيخ عثمان الصالح، وهما تؤكدان مدى ما كان يتمتع به الأمير ابن إبراهيم من فراسة وذكاء حاد، خاصة في معرفة مرتكبي السرقات والمجرمين، قال:

القصة السابعة – عمود الكهرباء:

فمن ذكائه أن سارقًا اتهم بسرقة كبيرة، و لم يتضح من بين مجموعة من

الناس، فعمد إلى حيلة طريفة، وهي أنه طلى عمودًا بصبغ وكان الصبغ طريًا، فأحضر المتهمين وكانوا مجموعة.

فقال لهم: إن هذا العمود الحديدي الذي هو أمامكم على كل فرد منكم أن يمسه بيده، فمن كان بريئًا فلن يصيبه أذى من لمسه، ومن كان سارقًا ففيه كهرباء تمسك يده، وبعد مرورهم واحداً بعد الآخر على العمود الحديدي استعرضهم، فمن وجد فيه أثرًا من الصبغ الطري تركه وبرّأه إلا واحدًا لم يجد فيه أثرًا للصباغة، حيث كف يده و لم يمسك بالعمود خوفًا من عدم إفلاته منه، حيث توهم صحة ما قاله الأمير، وبعد التحقيق معه اعترف بالسرقة.

خشبة البراءة

وهناك رواية أخرى لهذه القصة وردت ضمن حديث الشيخ محمد حسين العساف، محافظ الرس السابق، عما يحفظه من قصص وحكايات عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، ومدى ما كان يتمتع به من فراسة وقدرة على كشف المجرمين، فيقول: عندما كان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أميراً في المدينة، وجاء رجل من آل حميد من أهل بريدة، يشتكي للأمير بأنه خرج من المدينة وكان معه (٣ حمول) عدة جمال، ووقف على الماء ليسقي الإبل، وهجم عليه اللصوص وسرقوا الإبل.

وكان لدى الأمير واحد من جماعتنا اسمه صالح بن قريش (خوي)، فقال له يا صالح هات لي (نيل) وهي (صبغة توضع مع أدوات الدهانات)، وكان لونه أزرق. وبالفعل أتوا منه بكمية، وتم عجنها، وكان داخل المجلس

(دريشة) وهي (طاقة بها حامل خشبي يوضع بها إناء الماء فيكون بارداً).

وأخذ صالح يمسح الخشبة بالعجينة حتى تشبعت بها، وأتوا بالمتهم، فقال له الأمير: إن لدينا "خشبة البراءة" فإن كنت مذنباً أمسكت بك، وإن كنت بريئاً لا تمسك بك.

ثم أمره أن يمسك الخشبة وهو يتلو سورة (براءة) فقال له الرجل "سَم" واستجاب لأمره.

وقال الأمير للمتهم: أمسك بالخشبة جيداً وبقوة.

فأجابه المتهم بأنه سيفعل ذلك.

ثم قال له الأمير: ارفع يديك، وتفحصها فوجد أصابعه فقط قد تلونت باللون الأزرق وبشكل بسيط جداً، ما يدل على أنه لم يمسك بالخشبة جيداً خوفاً من أن تمسك به مثلما قال له الأمير في أول الأمر.

فقال له الأمير: إذاً أنت المجرم، لأنك خشيت أن تمسك بالخشبة كما أمرتك.

ثم قال لصالح: افتح الطاقة، وجعل المجرم يمسك بالخشبة جيداً، ونظر في يديه فوجدها زرقاء تماماً.

فانهار المجرم وقال للأمير: سأعترف بكل شيء، ودله على المكان الذي خبأ فيه المحمول.

قدرته على اكتشاف المجرمين

وروى الشيخ محمد حسين العساف قصة أخرى توضح الأساليب التي كان يبتكرها لكشف المجرمين واللصوص فقال: كان الأمير عبد العزيز

ابن إبراهيم يقول لوالدي عندما كان أميراً على الرس: إذا أردت أن تتعرف على المجرمين، ضع أمام كل متهم صحناً به (بر) دقيق، واطلب من كل منهم أن (يتفل في الصحن)، وستجد أن المجرم (لا يتفل) بل يخرج هواءً من فمه، لأن حلقه يابس من شدة الخوف.

ويضيف العساف: لقد استعملها والدي أكثر من مرة وكانت بالفعل فكرة صائبة.

القصة الثامنة – سارق الإبل:

أما القصة الأخرى فقد كان الأمير كذلك منذ نيف وثلاثين عامًا جالسًا في السوق العامة التي تباع فيها الأغنام والأبقار والإبل، وإذا بأعرابي يعرض للبيع ناقتين من النوق الأبكار التي لا يفرط بها الأعراب، فقال الأمير: عليَّ بالبائع؟

وعندما جاء البائع سأله الأمير: ممن سرقت هاتين الناقتين؟

وما زال معه في سؤال وجواب حتى اعترف بالسرقة، فقيل للأمير: ومن أين عرفت أنه سرق.

فقال: إن الأعراب لا يبيعون إلا الناقة التي بها علة أو كبر أو الجمل، أما مثل هذه الأبكار فلا يفرط فيها الأعراب أبدًا"[1].

هذا هو الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، رسول السلام، ورجل المهام الصعبة، الذي كان دائمًا عند حسن ظن الملك المؤسس وموضع ثقته باستمرار.

(١) مجلة المنهل، السنة ٣٥، مج ٣٠، ص٦٨٣ – ٦٨٤، جمادى الأولى ١٣٨٩هـ.

عاش المراحل الصعبة الأولى لتأسيس المملكة الفتية وتوحيد أجزائها، وأسهم بشجاعته وحزمه وذكائه وحكمته في إرساء دعائم الأمن والاستقرار في المناطق التي تولى إمارتها.. وكلها مناطق شاعت في ربوعها الفتن والقلاقل والاضطرابات، وانعدم فيها الأمن وسيطر عليها اللصوص وقطاع الطرق والخارجون على القانون، فبسط الأمير ابن إبراهيم سلطة الدولة وهيبتها في كل تلك الأنحاء، وأعاد إليها الأمن المفقود الذي غاب عنها طويلاً.

وعلى قدر ما كان ابن إبراهيم صارمًا وشديدًا وحازمًا مع مرتكبي الجرائم واللصوص والمخلين بالأمن، فقد كان إنسانًا بسيطًا في حياته الشخصية وفي تعامله مع الآخرين، زاهدًا في متاع الدنيا وعرضها الزائل، وكأنه كان يقدم - دون أن يدري - المثل والقدوة لما يجب أن يكون عليه الذين يملكون السلطة والنفوذ، ويطمعون في الفوز برضا الله وراحة الضمير.

إنها صورة من قريب لواحد من رجال الملك عبد العزيز الأوفياء، الذين أثبتوا كيف يكون البذل والعطاء في سبيل الوطن، وكانوا شموعًا أضاءت الطريق أمام الأجيال الجديدة، التي تنعم الآن بنعمة الأمن والاستقرار.

الفصل الثامن

أبناء وأحفاد في خدمة الوطن

محتويات الفصل الثامن

أبناء وأحفاد
في خدمة الوطن

- إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم: مولده ونشأته.
- أسلوبه في الحكم والإدارة.
- من مواقفه الإنسانية.
- تكريمه لرجال العلم والفكر والأدب.
- تواضعه.
- أبناؤه.

الفصل الثامن

أبناء وأحفاد في خدمة الوطن

إن المتتبع لتاريخ أسرة "آل إبراهيم"، منذ بداية علاقتهم بالأسرة السعودية الحاكمة في عهد الإمام فيصل بن تركي، يجد أن هذه العلاقة لم تنقطع طوال هذا التاريخ، بل إن هذه العلاقة كانت تزداد قوة ورسوخًا مع الأيام، حتى بلغت أوجها في عهد الملك عبد العزيز – طيب الله ثراه – الذي منح ثقته الغالية لهذه الأسرة الكريمة، من خلال اختياره للأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم ليكون واحدًا من رجاله الأوفياء الذين اعتمد عليهم في تأسيس كيان المملكة الشامخ وإرساء دعائم وحدتها، فكان ابن إبراهيم واحدًا من النماذج المميزة لما يجب أن يكون عليه الجندي الذي نذر حياته في سبيل دينه ومليكه ووطنه.

إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم – مولده ونشأته:

لم تكن وفاة الأمير الجليل عبد العزيز بن إبراهيم، في رجب ١٣٦٥هـ، خاتمة الأدوار الوطنية التي اضطلعت بها أسرة "آل إبراهيم" في التاريخ السعودي القديم والمعاصر. فما هي إلا سنوات قلائل حتى كانت هذه الأسرة العريقة تتهيأ لدور آخر في خدمة الدولة السعودية، وكان الفارس هذه المرة هو الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم – نجل الأمير الجليل عبد العزيز بن إبراهيم – الذي كان يسير على درب أبيه، وينسج على

منواله، ولا غرو فهو تلميذه النجيب الذي تخرج من مدرسته، وفي هذه المدرسة تلقى فنون الإدارة والحكم، والصدق والوفاء والكرم، وحسن معاملة الناس، وهي كلها صفات أصيلة جُبلت عليها نفسه الصافية، فوافق الطبع التطبع، وساير المكتسب الفطرة، وامتزجت التعاليم والمبادئ التي تعلمها على يد والده الجليل، بالقيم والأسس المستقرة داخل نفسه، والمستكنة في صميم روحه.

ولد الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم عام ١٣٣٥هـ، كما ورد بجواز سفره، وقد اهتم والده - يرحمه الله - بتربيته اهتمامًا كبيرًا.

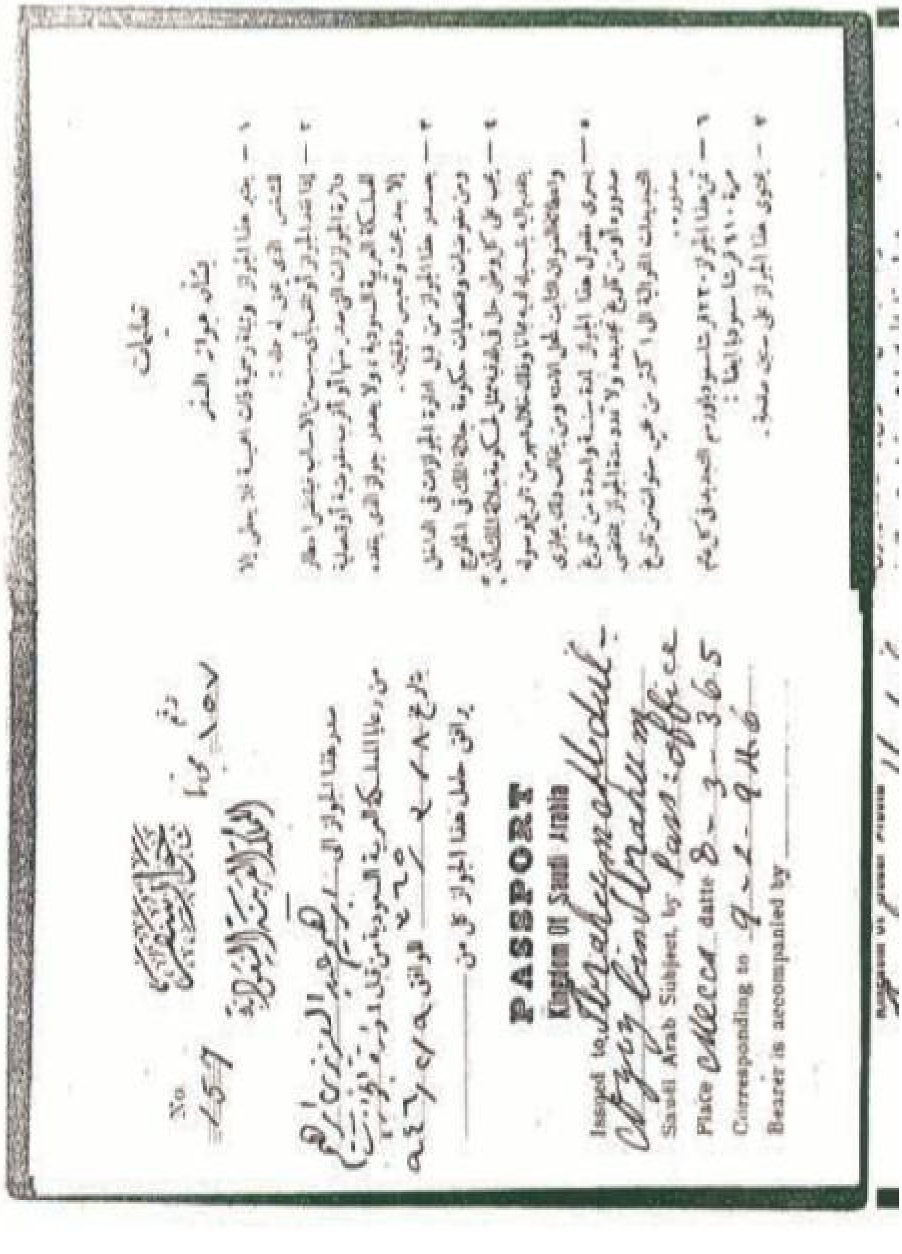
وقد أورد الأستاذ علي حافظ في كتابه «أربعة أيام في منطقة الباحة» عن معالي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم «أنه رُبي في المدينة المنورة في كنف والده الأمير عبد العزيز، وكان فتى تلوح عليه علائم الفطنة والذكاء والطموح، وكنا ونحن نزور والده الأمير عبد العزيز بن إبراهيم دائمًا بعد المغرب في دار سكناه في شارع العنبرية نسلم على الأمير إبراهيم فنرى فيه علامات الحزم والجد وفتوة الرجال في حديثه واستقباله لنا، وتوثقت بيننا وبينه الصلة والصداقة والحب المتبادل».

وقد تعلم في المدينة المنورة بالمدرسة الناصرية، أشهر مدرسة بالمدينة المنورة قرب المسجد النبوي بباب المجيدي.. وكان من زملائه في الدراسة بالمدرسة آنذاك الإخوان: أديب صقر، أسعد طه، صلاح الدين عبد الجواد، منصور عارف، سامي حفظي، محمد وكيل، سليمان عبد العزيز الخريجي، مدني عاكف، يس طه، عبد الله ناس، محمد عمران، عبد المحسن عمران،



معالي الأمير إبراهيم بن عبدالعزيز آل إبراهيم

أمير منطقة الباحة – يرحمه الله –


PASSPORT
Kingdom Of Saudi Arabia
Issued to
Saudi Arab Subject, by
Place
date
Corresponding to
Bearer is accompanied by

من جواز سفر معالي الأمير إبراهيم بن عبدالعزيز آل إبراهيم

Descriptions		الأوصاف	
Profession	Gov: official	موظف حكومي	المهنة
Place of birth	Al Riyadh	الرياض	محل الميلاد
Date of birth	1335	١٣٣٥	تاريخ الميلاد
Domicile	Mecca	مكة المكرمة	محل الاقامة
Height in c. m.	160	١٦٠	الطول بالسانتمتر
Eyes	Brown	عسليتان	العينان
Face	oval	مستطيل	الوجه
Coulor	Brown	قمحي	اللون
Special Particulars	Nil	بدون	المميزات الخاصة

— ٥ — — ١ —

خالد حافظ، صادق مرشد، أسعد مرشد وغيرهم.

وكان مدير المدرسة الأستاذ محمود الحمصي، ومن المدرسين في المدرسة الأساتذة محمد حسين زيدان، محمد صقر، أحمد صقر، ماجد عشقي، محمد سعيد مدرس، محمد سالم الحجيلي، محمد الكتامي، عثمان حافظ، محمد بن سالم، عبد الحق النقشبندي وغيرهم.

وبعد المدرسة الناصرية انتقل إلى الدراسة في مدرسة العلوم الشرعية مدة سنة كاملة، وواصل ثقافته دراسة ومطالعة، وكان يتابع أعمال والده في إمارة المدينة المنورة، فصار من النضوج على مستوى مرموق يؤهله لأن يتولى أعمالاً قيادية في الدولة لخدمة دينه ومليكه وبلاده.

وقد تدرب الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم على يد والده أمير المدينة، الذي كان مدرسة في الإدارة والحكم، وكان من الأمراء ذائعي الصيت في تلك الحقبة. ولاشك في أنه قد اكتسب خبرات متميزة أثرت حياته العلمية والعملية، لذلك عندما بدأ يزاول أول عمل رسمي له عام ١٣٧١هـ، عندما عين أميرًا للقنفذة، لم يكن العمل، وخصوصًا في الإمارات، جديدًا عليه، فقد تدرب ومارس العمل في إمارة المدينة، وقد أورد الدكتور إبراهيم الزيد في بحثه عن الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم أنه كان يوقع بعض المعاملات اليسيرة، كما أعد له والده مكتبًا في الإمارة وهو في سن الثالثة عشرة(١).

(١) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة – ذو الحجة ١٤١٤هـ.

ويضيف الدكتور إبراهيم الزيد، الذي عمل مع معالي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم في إمارة الباحة وكيلاً للإمارة، "أن معالي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم قد استمر في العمل في الدولة ما يقرب من أربعين عامًا، كان فيها مثلاً أعلى للنشاط والإخلاص في خدمة بلاده، أسهم بشكل ملموس في استتباب الأمن في المناطق التي عمل فيها، كما سخر خبرته الواسعة في تنمية وتطوير تلك المناطق والبلدان، و لم يترك قرية ولا مدينة ولا جبلاً، ولا واديًا، ولا شاهدًا إلا وقف عليه بنفسه وقفة الباحث والمخطط والمتأمل حتى أصبح بحق خبيرًا واسع الدراية في غرب وجنوب المملكة العربية السعودية، إلى جانب خبرة عظيمة في الأمن الداخلي وشؤون الإمارات، كان - يرحمه الله - ديّنًا أنشأ جمعية البر الخيرية بمنطقة الباحة ودعم مسيرتها بماله وجاهه، كما أنشأ الكثير من المساجد، وكان - يرحمه الله - صاحب خلق، وشيم، كريمًا، حازمًا في عمله، طيب المعشر، يبغض النميمة، واسع الثقافة والدراية في العلوم الدينية والأحكام الفقهية، والأدب، والتاريخ، لا يطرق بحضرته أي موضوع إلا ويكون لديه ما يضيفه إليه، ويفيض على سامعه من معارف جمّة، وخبرات، له مواقف لا تُنسى، يملك ذاكرة قوية، له إحاطة كاملة بالأسر والعوائل وأفرادها في المملكة العربية السعودية، متفوق جدًّا في عمله الإداري والأمني، لا تعرض عليه معاملة إلا ويقلبها ويستوعبها في زمن قياسي، فيعدل بقلمه ما يراه من ملاحظات أو أخطاء، بل كثيرًا ما يعدل في الأوراق والقضايا ويردها إلى مسارها الصحيح، يدرك الخطأ ويكشفه

بما يشبه الإلهام، يسافر من مكان إلى آخر لكي يقف على موقع ولو بُعد له قضية حتى يتصور موضوعه ويعرفه عن قرب، فيكون التوجيه بناء على تصور واضح - يرحمه الله"[1]

وقد بدأ الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم حياته العملية أميرًا للقنفذة، واستمر فيها حوالي عشر سنوات، ونقل منها في عام ١٣٨١هـ ليعمل وكيلاً لإمارة منطقة مكة المكرمة، ثم نقل منها في عام ١٣٨٩هـ ليعمل مستشارًا لصاحب السمو الملكي وزير الداخلية، وفي عام ١٣٩٠هـ عين وكيلاً لإمارة منطقة عسير، ثم عين أميرًا لمنطقة الباحة في عام ١٣٩٨هـ حتى وفاته - يرحمه الله - في عام ١٤٠٦هـ.

ولأن هذا الكتاب مخصص للحديث عن والده الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، الذي كان واحدًا من رجال مرحلة توحيد وتأسيس المملكة، فإن حديثنا عن الأمير إبراهيم سيكون محدودًا بالحديث عن شخصيته وإسهاماته في خدمة الوطن، عسى أن نعود يومًا ونكتب عنه بالتفصيل. وقد اتصلت بعدد من الأخوة الذين عملوا معه أو عاصروه عن قرب وزوّدوني بالكثير من المعلومات التي لا يتسع المجال لسردها، ولكني اخترت منها ما زوّدني به الأستاذ علي بن صالح السلوك نائب رئيس النادي الأدبي بمنطقة الباحة ومن الذين عملوا مع معالي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم - يرحمه الله - مدة ثماني سنوات، هي فترة إمارته في الباحة. وقد اخترت ما

(١) إبراهيم محمد الزيد، الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، في: مجلة عالم الكتب، مج١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.



معالي الأمير إبراهيم بن عبدالعزيز آل

إبراهيم عندما كان أميراً للقنفدة



معاليه عندما كان وكيلاً لإمارة منطقة

مكة المكرمة



معاليه عندما كان وكيلاً لإمارة

عسير



معاليه عندما كان أميراً لمنطقة

الباحة

زوّدني به الأستاذ السلوك، دون غيره، لأنه يمتاز بالموضوعية والدقة، ولأنه يسجل آخر مرحلة من مراحل حياة معالي الأمير التي كانت قمة في العطاء.

يقول الأستاذ علي بن صالح السلوك:

إنه بعد صدور الأمر السامي الكريم بتعيينه أميرًا على منطقة الباحة في العام ١٣٩٨هـ، وبعد مباشرته لأعمال الإمارة، وجد أن المنطقة قرى متناثرة متباعدة لا تصل السيارات إلى معظمها، ولا وجود للهاتف ولا للخدمات الأساسية. كما وجد أن من عوامل تأخر نمو المنطقة هو أن فروع الوزارات المختلفة وخاصة فروع الخدمات مرتبطة بفروع أخرى في مكة المكرمة وجدة وعسير والطائف والليث والقنفذة، وكانت أولى خطوات التطوير مطالبته - يرحمه الله - بأن تكون فروع الوزارات والمؤسسات العامة مرتبطة بالوزارات والمؤسسات الأم في الرياض، وقد تحقق هذا المطلب المهم.

قام بعد ذلك بزيارة ميدانية لجميع قرى ومدن المنطقة سراتها وتهامتها وباديتها استغرقت أكثر من شهر سجل خلالها ملاحظاته عن كل جزء قام بزيارته، وما يحتاجه من الخدمات.

بعد عودته من الجولة الميدانية أعد تقريرًا شاملاً ودقيقًا وصف فيه المنطقة وجغرافيتها وسبب تأخر النمو فيها، واحتياجاتها الضرورية من الخدمات لكي تساير ركب التقدم والحضارة في مناطق المملكة الأخرى.

لم يكتف «يرحمه الله» بإعداد التقرير ورفعه إلى الجهات المسؤولة، بل تابعه شخصيًا وأرسل صورًا منه إلى الوزراء المختصين ووكلاء الوزارات،



جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز – يرحمه الله – والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ومعالي الأمير إبراهيم بن عبدالعزيز آل إبراهيم – يرحمهما الله

مما جعل مجلس الوزراء الموقر يناقش احتياجات المنطقة في إحدى جلساته عام ١٣٩٨هـ، كما أنه لم يكتف بذلك بل وجه دعوة لجلالة الملك خالد ابن عبد العزيز – طيب الله ثراه – لزيارة المنطقة، ولظروف جلالته الصحية فقد أناب عنه سمو ولي عهده – خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – الذي وصل إلى المنطقة في أواخر عام ١٣٩٨هـ.

لقد اطلع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (سمو ولي العهد آنذاك) على احتياجات المنطقة عن كثب، ووجه كل وزير من الوزراء المعنيين الذين كانوا يرافقونه في الزيارة إلى الاهتمام كل فيما يخصه.

وبفضل من الله واهتمام من حكومة خادم الحرمين الشريفين، ومتابعة مستمرة من الأمير إبراهيم آل إبراهيم تحقق لمنطقة الباحة خلال السنوات التي تلت تعيينه حتى وفاته «يرحمه الله» مشاريع عديدة هامة أهمها:

١- إنشاء مقسمات للهاتف الآلي في الباحة وبلجرشي والمندق والأطاولة وبني ظبيان والقرى المجاورة لها وقد اتصلت المنطقة بالعالم الخارجي لأول مرة في أواخر عام ١٣٩٨هـ.

٢- إنشاء محطة للبث التليفزيوني، وكان بعض شباب المنطقة يقضون سهراتهم في رؤوس الجبال لمشاهدة البث التليفزيوني من أقرب المحطات وهي محطة جدة، وأغلبهم كان يسافر إلى الطائف على بعد ٢٣٠كم خلال العطل الأسبوعية والصيفية للغرض نفسه.

٣- إقامة مستشفى عام من أحدث المستشفيات في المملكة لخدمة سكان المنطقة، والقرى المجاورة لها، وقد اختار معاليه موقع المستشفى

بنفسه، إذ يقع على ربوة مرتفعة تتوسط بلاد غامد وزهران، وهو من أهم المعالم الحضارية في المنطقة، وقد سمي مستشفى الملك فهد. وكذلك إقامة مستشفيات للصحة النفسية والنقاهة، بالإضافة إلى عشرات المراكز الصحية المنتشرة في أجزاء المنطقة.

٤- إحداث مديريّات عامة للشؤون الصحية، وتعليم البنات، ورعاية الشباب، والبريد، والاتصالات، والجوازات وغيرها من مديريات الأمن الداخلي.

٥- إنشاء مطار الباحة، وقد خدم بالإضافة إلى المنطقة بعض المناطق المجاورة.

٦- فتح طرق مزفتة تربط أجزاء المنطقة بعضها ببعض، منها على سبيل المثال:

- طريق عقبة الباحة - المخواة الذي يربط جزأي المنطقة السراة وتهامه بطول ٤٥كم وكان المسافرون إلى تهامة من السراة وبالعكس يقطعون مسافة ٦٠٠كم عن طريق مكة المكرمة - الليث فاختصرت المسافة إلى ٤٥كم، وقبلها كانت عقبة الأبناء التي زُفتت بصورة مؤقتة.
- طريق الباحة - دوس السياحي، ويستفيد من هذا الطريق أكثر من ثلاث مئة قرية من قرى المنطقة.
- طريق المخواة - قلوه - الشعراء - الحجرة، ويتوسط مدن وقرى تهامة، ويخدم مئات القرى.
- توسعة مداخل مدينة الباحة.

- هذا عدا الطرق داخل المدن والقرى التي قامت بها البلديات والمجمعات القروية والطرق الترابية التي وصلت إلى كل قرية.
- طريق الأطاولة المندق.
- وصلات طرق تربط القرى الكبيرة بالطريق العام في أنحاء المنطقة.
- طريق الباحة – العقيق – المعروف بطريق المطار.

٧- بناء واحد وعشرين سدًّا في أماكن متفرقة من المنطقة، من أهمها سد وادي الصدر، وسد وادي بيده، وسد وادي العقيق.

٨- إحداث فروع جديدة لبعض الوزارات والمصالح منها: فرع لوزارة التجارة، فرع لوزارة العمل، فرع لبنك التسليف السعودي، فرع لوزارة الأشغال العامة والإسكان، فرع لصندوق التنمية العقارية، مكاتب للزراعة والمياه، مجمعات قروية.

٩- إحداث مديرية لتعليم البنين في المخواة ضمت المدارس في الجزء التهامي من المنطقة حيث كانت مدارس تهامة في السابق مرتبطة بتعليم القنفذة والليث وجدة.

لقد غدت القرى التي كانت، قبل وصول ابن إبراهيم إلى منطقة الباحة عام ١٣٩٨هـ، قرى متناثرة، مدينة واحدة طولها أكثر من مئة وأربعين كيلاً في العام ١٤٠٦هـ، وذلك بفضل الله، ثم بفضل التطوير الذي حظيت به في عهد إمارته، وكان يتابع مشاريعها حتى وهو في أشد حالات المرض من داخل المملكة وخارجها.

١٠- وصل الأمير إبراهيم إلى القنفذة في شهر جمادي الأولى عام ١٣٧١هـ (فبراير ١٩٥٢م) وأقيم على شرفه حفل تكريم كبير أشرف عليه الشيخ عبد الرحمن الجابر وزملاؤه الموظفون وبدأ الأمير عمله بمهمة عظيمة ساعياً إلى تطوير المنطقة وتنفيذ المشروعات التي تسد حاجتها وتحسين أحوال سكانها .. وفي عهد الأمير إبراهيم تحقق للقنفذة مشروع إيصال المياه الذي أنهى معاناة المواطنين مع شح المياه.

فقد تصادف أن زار الملك سعود بن عبد العزيز المنطقة في عام ١٣٧٤هـ فانتهز الأمير إبراهيم الفرصة وعرض على جلالته مشكلة المياه فأصدر الملك أمراً بإيصال المياه إلى القنفذة.

أسلوبه في الحكم والإدارة:

كان - يرحمه الله - شديد الحرص على تحقيق مبدأ العدالة بين مواطني إمارته، فكانت معاملته لأصحاب القضايا واحدة مهما كانت منزلتهم الاجتماعية وصلتهم به؛ ومن ذلك أنه حصل حادث سير لأحد أبنائه في الطائف، واتصل به المسؤول في المرور يبلغه الحادث وأنه أطلق سراح ابنه رغم أنه كان مسرعًا، فطلب منه إعادة ابنه للسجن ومعاملته كغيره.

وكان لا يتسرع في اتخاذ القرار ما لم تتوافر له المعلومات اللازمة لإصداره، وكثيرًا ما كان يقف بنفسه على طبيعة أماكن النزاع القبلي والجماعي للتأكد من حقيقة الأمر قبل إصدار القرار.

- أوجد في إمارة المنطقة لجنة باسم لجنة التقويم، واختار أعضاءها من كبار موظفي الإمارة ممن لهم خبرات طويلة في الإدارة، وكانت مهمة هذه اللجنة دراسة القضايا الكبيرة التي تحال إليها بأمر منه، وتقديم رأيها له.
- لمس – يرحمه الله – أن سكان تهامة لا يتحملون جوّ السراة في فصل الشتاء، فأوجد ولأول مرة مكتبًا في إمارة المخواة بتهامة يستقبل فيه أهالي تهامة، ويستمع لمطالبهم وشكاواهم يومي السبت والأحد من كل أسبوع طوال أشهر الشتاء، وكان لذلك القرار أثره الطيب في نفوس مواطني تهامة.
- كان يقضي عطلة الأسبوع في متابعة مشاريع المنطقة تحت التنفيذ، ويحض المهندسين والمشرفين على سرعة الإنجاز ويكون بصحبته مسؤولون من الوزارات ذات العلاقة بتلك المشاريع.
- سار على طريقة لم يسبقه إليها أحد من أمراء المناطق، وهي توزيع المشاريع والخدمات على أجزاء المنطقة توزيعًا عادلاً خدمة للجميع، وحتى لا يتركز السكان في المدن الكبيرة فقط.
- كان متسامحًا مع من يسيء إليه من أصحاب القضايا، ويقول: "الذي يهمني هو انتهاء القضية بصورة عادلة".

من مواقفه الإنسانية:

المواقف الإنسانية في حياة الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم كثيرة، وسأقتصر على بعض ما عرفته منها:

١- من مآثر ما يروى عن الأمير إبراهيم أنه كان في القنفذة تاجر حضرمي يتاجر باللبان وكانت بضاعته في طريقها إلى القنفذة عبر مركب وتلفت البضاعة ولما سمع الأمير بذلك استدعاه واستفسر عن أمره واقترح عليه أن يكتب للملك سعود بطلب المساعدة ووعده بأن يكتب توصية بحقه ولكن الرجل تهيب و لم يفعل فجمع الأمير كل ما يملكه من مال وأعطاه للرجل قرضة حسنة وقال له دبّر أمورك بهذا حتى يفتح الله عليك.

٢- لما علم في القنفذة أن الأمير إبراهيم سينقل منها أرسل ١٢٠ شخصاً عريضة إلى ولي العهد يسترحمون فيها عدم النقل وقالوا في برقيتهم .. بلغنا أن أمير طرفنا إبراهيم عبد العزيز البراهيم سينقل إلى جازان فيا صاحب الجلالة هذه أكبر صدمة في أوجه أهالي القنفذة لأن الأمير إبراهيم وصل القنفذة وهي كالمريض المستحضر من جهات متعددة فبعث فيها روح الحياة.

٣- المواقف الإنسانية في حياة الأمير إبراهيم كثيرة لا تكاد تحصى ترافقه في عمله وحياته وبعضها لا تخلو من طرافة ومعان إنسانية ومن هذه المواقف ما حدث في قصر السقاف بالعابدة، كان قصر إمارة مكة المكرمة في قصر السقاف وكان للقصر بوابتان أولاهما من جهة الجميزة والثانية من جهة حي الملاوي وكان لكل باب حرس خاص وحدث أن أصيب فرد من عائلة أحد الحراس بمرض مفاجئ وهو في مقر عمله فجاء ابنه يسعى ليخبره بخطورة الحالة عسى

أن يتدبر والده الأمر بطريقة ما، فلم يجد من يقوم عنه بالحراسة فأوقف ابنه البالغ من العمر ١٠ سنوات على البوابة وأوصاه بعدم إدخال أي شخص حتى يعود .. وذهب الأب وبقي الغلام يقوم بالمهمة، ولكنه ما لبث أن فوجئ بسيارة فخمة تقف عند الباب وتشير بالأنوار وكان الوقت بين صلاتي المغرب والعشاء والسائق يشير إليه ويستعجله بفتح الباب، ولكن الغلام كان يرفض فتح الباب ويقول الدخول ممنوع .. والسائق يلح بعصبيه "افتح .. افتح الباب .. فأنزل الراكب بجوار السائق زجاج السيارة لمحادثة الغلام الذي ازداد في إصراره وتمسكه بتعليمات والده وكان الراكب يحاور فيصر الغلام على موقفه وهو يقول ببراءة الأطفال .. "ممنوع .. حتى لو كنت ابن إبراهيم"!.

كان الراكب هو وكيل الإمارة الشيخ إبراهيم فضحك مقدراً أمانة الحارس الحدث وقال له برفق: أنا ابن إبراهيم هل تسمح لي بالدخول واستدرك الغلام بذكاء ابن البادية وفطرته .. إذا كنت ابن إبراهيم صحيح .. تفضل، و لم يد ع الأمير الفرصة تفوت فتوقف بعد فتح الباب ونادى الغلام وسأله من أنت .. وماذا جاء بك، فأخبره الغلام بالأمر .. فربت على كتفه وهو يقول بارك الله فيك..

ولما أنهى الأمير معاملاته عاد مغادراً قصر الإمارة من ذات الباب فتوقف عند الحارس، وكان قد عاد من إسعاف مريضه فقال له "سلامات .. عسى خيراً".

٤- كان سمو ولي العهد في زيارة إلى منطقة عسير في أواخر جمادى الثانية عام ١٤٠٥هـ ولما وصل إلى مطار بيئة كان في استقباله الأمير خالد الفيصل أمير المنطقة .. وكان في الاستقبال أيضاً الأمير إبراهيم الذي كان وقتها أميراً للباحة، ولكنه جاء إلى بيشة ليكون في استقبال ولي العهد .. ولما وصل سموه وجلس المستقبلون في قاعة المطار قال الأمير خالد الفيصل مشيراً إلى الأمير إبراهيم: هذا طال عمرك إبراهيم علمنا الإدارة في الإمارة.

كان هذا رأي أمير عسير في إبراهيم الذي كان في فترة سابقة وكيلاً لإمارة عسير وعمل بمعية الأمير خالد الفيصل ردحاً من الزمن وكانت كلمته التي صرح بها أمام ولي العهد لفتة كريمة دلت على الوفاء وسمو الخلق كما دلت في ذات الوقت على مكانة الأمير إبراهيم بن عبد العزيز حيث شكر الأمير خالد الفيصل على المجاملة وقال بتواضع .. بل إن قدراتكم المعروفة هي التي أهلتكم لهذا الموقع.

٥- ويسلط مدير الشؤون المالية الأسبق في إمارة الباحة محمد بن سعيد الشاعر الضوء على جوانب أخرى من حياة البراهيم تتعلق بشغفه بالثقافة والآداب إذ كان حريصاً على تنمية المناشط الثقافية، وسعى إلى إنشاء نادٍ أدبي، كما أنشئ مكتب لرعاية الشباب وعرف عنه دعمه للجمعيات الخيرية إذ كان يتصل بالموسرين وأصحاب المال لإمداد الجمعيات الخيرية بما تحتاجه من معينات.

ويضيف الشاعر جوانب إنسانية عظيمة من حياة الأمير البراهيم ويقول .. كنا في رفقته ذات يوم في رحلة بالمخواة وبعد أن أدينا صلاة الجمعة وصلنا خبر عن اندلاع حريق في قرية نائية تعرف بـ "هوران" .. وكان طريق الوصول إلى القرية صعباً بسبب الجغرافيا ووعورة الطريق إلا أن الأمير صمم على الوصول وأجرى اتصالاً مع وكيل الإمارة وأبلغه بضرورة إرسال فرقة دفاع مدني للقرية.

ومع صعوبة الطريق وصل الأمير البراهيم إلى موقع الحريق ووجد الأهالي يعملون يداً بيد للسيطرة على النيران .. واجتمع الأمير بأهل بيت محترق وواساهم في مصابهم ودفع لهم من جيبه الخاص مبلغ عشرة آلاف ريال .. وأصدر تعليماته بدراسة حالة الأسرة وتقديم ما يعينها على الحياة الآمنة المستقرة.

ويواصل الشاعر ذكرياته: في طريق العودة التقينا بفرقة الدفاع المدني وتحدث الأمير البراهيم مع مدير الفرقة متسائلاً عن أسباب التأخير .. ورد مسؤول الدفاع المدني أنهم تلقوا بلاغ الحريق في وقته إلا أن وعورة الطريق وبعد المسافة هي التي صعبت المهمة وطلب الأمير منه مباشرة المهمة على أكمل وجه ودراسة حال الأسرة المتضررة وبعد وصوله إلى المخيم استدعى الأمير مسئولي الضمان الاجتماعي وحثهم على دراسة أوضاع الأسرة.

٦- ويستطرد الشاعر في ذكرياته ويقول أن الأمير البراهيم درج على زيارة مواقع السيول وتفقد أحوال المتضررين ويقف على أحوالهم

بنفسه وإذا أدرك أن أسرة ما تعاني من ضيق حال دفع لها من جيبه.

٧- ومن المواقف التي لا ينساها الشاعر أن عبد العزيز وخالد نجلي الأمير إبراهيم وصلا إلى الباحة وفي معيتهما أوامر رسمية بمنح أراضي بالمنطقة .. وقابلاً رئيس بلدية الباحة لتطبيق منحتيهما .. وسلما والدهما أمري المنح ووضع الأمير إبراهيم الخطابين في جيبه وطلب من نجليه العودة إلى الرياض على أن يتابع هو أمرهما .. وبعد ذلك كتب الأمير البراهيم خطاباً لوزير البلديات أشار فيه أنه لا يرغب في أن يكون لأحد من أبنائه أملاك في الباحة!.

ومن المواقف التي لا تنسى أن الأمير البراهيم خرج يوماً مع الوفد المرافق ومعه بعض مسؤولي وزارة المالية بسيارات الجيب إلى بلاد زهران وأعد لهم مخيم ووصل الوفد إلى مكان لا تصله السيارات ووصف لهم الأمير المكان من الناحية التاريخية والسكانية ثم أخذ وكلاء الوزارات يصعدون إلى الجبل سيراً على الأقدام وبعد مسير طويل أصيب عدد من المشاركين في الوفد بالتعب .. وتساءل الأمير كيف يصل الأولاد إلى مدارسهم عبر هذه الطرق الوعرة .. كلنا يحب أولاده .. وكلنا مع ترشيد النفقات وعلينا أن نضع الأموال في مكانها الصحيح.

٨- ويتذكر رئيس الشؤون المالية الأسبق في إمارة الباحة قصة إنشاء مستشفى الباحة برغم أن ميزانية وزارة الصحة وقتذاك لم تدرج المستشفى وشرح الأمير البراهيم ظروف المنطقة وحاجاتها لمرفق

صحي كبير واختار الأمير البراهيم الموقع بنفسه على مكان مرتفع في وسط بلاد غامد وزهران وتم إنجاز المستشفى خلال ثمانية أشهر وتحقق المشروع الحلم.

ويستطرد الشاعر أن الأمير البراهيم حلم بالحاجة الماسة لجهاز غسيل كلوي بالمستشفى وأمر بسرعة تأمينه على نفقته الخاصة واعترافاً بفضله أطلق المشرفون على المستشفى اسمه على قسم غسيل الكلى.

٩- اشتهر عن الأمير الراحل إبراهيم البراهيم بساطته المتناهية وإنسانيته المتدفقة وعطفه على الكبار والصغار وروحه اللطيفة.

ويذكر معارفه أن أحد البسطاء تقدم للعمل أيام إمارته على الباحة للعمل كصانع قهوة وصبها للأمير وكانت للرجل خبرة ودراية بضبط القهوة وحسن صنيعها .. ولكن كانت في صوته علة وبحة غير مرغوبة تجعل حديثه أقرب إلى الصمت مع كلمات غير مفهومة وتحرج موظفو الإمارة من أن لا يرضى الأمير بذلك ولما عرض عليه الأمر رد ضاحكاً: الرجل سيتولى صناعة القهوة ولن يعمل كمذيع!

١٠- ومن القصص الإنسانية والمواقف التي تروى عنه أنه قضى وقتاً طويلاً يبحث عن رجل كفيف يقطن بإحدى القرى البعيدة .. كان هذا الكفيف من رجال والده الراحل ويرى أنه من الواجب زيارته وتلمس احتياجاته وبعد ذلك تحول بؤس الكفيف إلى حياة رغدة

.. و لم يقتصر عطفه على معارفه بل امتد إلى الجميع.

١١- عن حياة الأب يروي الأبناء السيرة العطرة والجوانب المشرقة وحنانه المتدفق تجاههم .. كان أباً مثالياً بحق مع صرامة وشدة لتحقيق مصلحة أولاده وأفراد أسرته.

ويقول نجله عبد العزيز: ظل يجتمع بنا مرتين أو ثلاثاً ويطلب حضورنا إليه من أي مكان كنا.

ويضيف: تعامله معنا ظل يمثل صورة عميقة من العطف حيث يحرص على تخصيص وقت من برنامجه اليومي المزدحم للقاء بنا وتلمس احتياجاتنا والسؤال عن أحوالنا ومتابعة مستوياتنا في المدرسة ويحثنا على التمسك بمبادئ الأخلاق والتعامل الطيب مع الجميع واحترام الكبير والعطف على الصغير.

١٢- وكان «يرحمه الله» حريصاً أن يجتمع جميع أفراد الأسرة في مائدة طعام واحدة ولا يبدأ في تناول الوجبة إلا بعد السؤال عن الغائبين والاطمئنان على الحاضرين.

١٣- خالد نجله يروي جوانب خفية من حياة والده الراحل الأمير إبراهيم البراهيم .. ولعل أهم موقف لا ينساه خالد عندما كان في الثالثة من عمره، إذ كان الوالد محباً لرحلات البر يخرج لفترة طويلة.

ويقول: أخذني معه ذات مرة، وقضينا ليلتنا في البر .. أفقت في منتصف الليل وأنا أبكي وأسأل عن والدتي .. وحاول تهدئتي واضطر إلى تشغيل راديو السيارة لإلهائي وبث السعادة في قلبي.

وكان من عاداته الطيبة حرصه على اصطحاب أولاده معه إلى كل مكان يذهب إليه حيث كان وطيد الارتباط بهم وعند زيارة الملك سعود للمنطقة أخذ أولاده للسلام على جلالته.

ويضيف خالد: كانت للوالد قيم عظيمة في التربية ويحفز أنجاله على مجالسة الكبار واكتساب الخبرة سيما وأن المجلس يأتي إليه العلماء والأدباء والشخصيات العامة .. وظل مع كثرة الأعباء مواظباً على مهامه الرسمية ويقضي في مكتبه أغلب ساعات اليوم يذهب إليه في وقت باكر ثم يعود للمنزل لتناول الغداء وينال بعده قسطاً من الراحة لا تزيد مدته ساعة ونصف الساعة .. وكانت الأوراق الرسمية لا تفارقه ويتولى دراستها واتخاذ القرارات بشأنها حتى ساعات متأخرة من الليل.

ويروي خالد جوانب مشرقة من حياة والده الراحل ويقول سألوه مرة: لماذا ترهق نفسك بالعمل المتواصل .. ولا ترفه عن نفسك فقال لهم كيف أترك شخصاً في السجن ومصيره في يدي؟

١٤- ويضيف خالد: كان الوالد الراحل لا يرد أي طلب دون النظر إلى مستوى مقدم الطلب فقيراً كان أم غنياً .. وعندما لاحظ ميلنا لقيادة السيارات منعنا من ذلك ولم يسمح لنا إلا بعد إنهاء دراستنا وكان يرحمه الله يميل إلى روح الطرفة والفكاهة والمزاح مع أصدقائه وعندما تم ابتعاثنا للدراسة بالولايات المتحدة الأمريكية ألقى علينا محاضرة طويلة عن ضرورة التمسك بمبادئ الإسلام والشريعة

السمحاء وزودنا بكثير من التوجيهات.

ويتذكر خالد: كانت رواتب المبتعثين ٢٢٠ دولاراً في الشهر وزودنا بألف دولار للطوارئ طوال السنة وطلب أن نتدبر أمورنا مثل غيرنا من الطلاب وأقمنا بشقة متواضعة وكنا نستخدم سيارة مستعملة قديمة وعشنا على هذا المبلغ بصعوبة وطلب أخي عبد العزيز من والده زيادة المصروف قليلاً إلا أن الوالد يرحمه الله رفض الطلب .. وعندما قامت الوالدة بإرسال مبلغ إضافي لنا غضب غضباً شديداً.

١٥- ويتناول خالد جوانب أخرى من حياة الأب الراحل ويضيف: أيام دراستنا بالمرحلة الابتدائية حدث خلاف مع أحد التلاميذ وكتب مدير مدرستي خطاباً للوالد عن طريق السائق الذي أطلعني على فحوى الخطاب وحاولت إغراءه بالمال بأن لا يوصل الرسالة إلى والدي وطلب مني أن أمنحه جهاز تسجيل كنت أملكه مقابل عدم إيصال الخطاب وظننت الأمر انتهى عند هذا الحد ولكن السائق أوصل الرسالة ولدهشتي لم يظهر الغضب علية و لم يقل شيئاً حتى رأيت الرسالة في غرفته .. وأوصل لي رسالة غير مباشرة بأنه تسلم الرسالة وتغاضي عني باعتبار ما حدث تصرف شباب.

١٦- بعد جولته التفقدية في المنطقة، علم - يرحمه الله - أن هناك أسرًا فقدت عائلها الوحيد، وإنها في حاجة إلى المساعدة، ولذلك كلف بعض من يثق بهم بإعطائه بيانات دقيقة عن حال تلك الأسر

تشتمل على عدد أفراد الأسرة، ومقدار الدخل الشهري والسنوي لكل أسرة، وكان البحث ميدانيًا، وعلى ضوئه يصرف لتلك الأسر مساعدات دورية.

١٧- كان أول من استجاب لفكرة إنشاء جمعية البر الخيرية بالباحة، وأول المؤسسين لها، وكان يرأس مجلس إدارتها حتى وفاته. وقد أصبحت الجمعية من أكبر الجمعيات الخيرية في المملكة، وأدت خدمات كبيرة للمحتاجين من سكان المنطقة والقبائل المجاورة لها. كل ذلك بسبب اهتمامه، ودعمه المادي، واتصالاته المستمرة بالموسرين، للمشاركة في دعم نشاطاتها المختلفة، وكان إلى جانب ذلك يقوم بدعم نشاطات الجمعيات الخيرية الأخرى في المملكة، وكل ما له صلة بأعمال البر والإحسان.

١٨- كان يطلب من مكتبه في الإمارة تزويده بمعلومات عن المرضى والمتوفين من أبناء المنطقة، ليقوم بزيارة المريض ومواساة أسرة المتوفى.

١٩- في إحدى جولاته، وخلال مروره بإحدى القرى، شاهد حريقًا في أحد المنازل، فقام هو ومرافقوه بمساعدة أهل القرية في إطفاء الحريق، وخلال عملية الإطفاء رأى شخصًا يبكي ويقول: فقدت كل ما أملك فسأله - يرحمه الله -: وكم فقدت في الحريق؟ فقال: حوالي ثلاثين ألف ريال. وفي مساء ذلك اليوم أرسل لصاحب البيت مبلغ ثلاثين ألف ريال.

٢٠- كان والده الأمير عبد العزيز بن إبراهيم - يرحمه الله - قد جاء

إلى بلاد غامد وزهران (منطقة الباحة) مرتين، الأولى عندما كان أميرًا للطائف عام ١٣٤٣هـ، والثانية عندما كان عضوًا في مجلس الوكلاء عام ١٣٥٦هـ، وفي تينك الزيارتين قامت بينه وبين بعض مشايخ المنطقة وأعيانها علاقات صداقة وتعارف. ووفاء من الابن لأصدقاء ومعارف والده كان يزور أبناءهم ويدعوهم لحضور المناسبات العامة والخاصة، ويعطف على المحتاج منهم.

وقد علمت أن ذلك لم يكن قاصرًا على منطقة الباحة وحدها، بل كان شاملاً لجميع المناطق التي عمل فيها والده أو زارها في مهمات كلفه بها الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - في حائل وعسير والطائف والمدينة المنورة ومكة المكرمة.

٢١- لاحظ - يرحمه الله - أن المهور في بعض أجزاء المنطقة مرتفعة، وأن تكاليف الزواج باهظة، وأن متوسطي الحال لا يستطيعون الزواج. فدعا مشايخ وأعيان القبائل إلى الاجتماع بأفراد قبائلهم والاتفاق على تخفيض المهور وتكاليف الزواج، فاتفق الأهالي على ذلك، وسجلوا اتفاقياتهم شرعًا.

وحتى يضرب المثل والقدوة، فقد تم زواج ابنه سعود بن إبراهيم ابن عبد العزيز في الباحة، وقام الأمير إبراهيم - يرحمه الله - بتوجيه الدعوة لمشايخ وأعيان المنطقة لحضور حفل الزواج، وعندما اكتمل حضور المدعوين قدمت لهم القهوة والشاي والمرطبات، ثم قام، وألقى كلمة مختصرة قال فيها: لقد قررت أن أدفع تكاليف وليمة

الزواج إلى جمعية البر الخيرية في الباحة ليستفيد منها أكبر عدد من المحتاجين، وآمل من كل قادر أن يعمل مثلما عملت وأكتفى بالقهوة والشاي وبعض المرطبات، وقد استحسن الجميع هذه البادرة وقدموا له الشكر ووعدوه بالوفاء بما سبق أن التزموا به، لأن ذلك في صالح أبنائهم وبناتهم.

٢٢- قبيل وفاته بأسبوع واحد، وبالتحديد بعد ظهر يوم السبت الموافق ١٤٠٦/٧/١٩هـ، كنت ضمن مرافقيه حيث قمت بزيارته في مخيمه في حائل، قام بزيارة خمسة أشخاص من كبار السن في مدينة حائل في منازلهم، وكان بعضهم قد عمل مع والده الأمير عبد العزيز بن إبراهيم، وقد شاهدت أحدهم وهو يبكي من الفرح لهذه الزيارة المفاجئة، ويقول: لو كنت أعرف مكانكم لقمت أنا بزيارتكم، فرد عليه بتواضعه المعهود "إن الواجب أن أقوم أنا بزيارتكم لأن الحق لكم"، وكان - يرحمه الله - قد قام قبل ذلك وبعده بزيارة جميع أصدقاء والده في حائل، كما قام بزيارة كل من تربطه به صلة رحم أو نسب سواء في حائل أو الرياض.

تكريمه لرجال العلم والفكر والأدب:

لقد زاره في الباحة، وبدعوة منه، عدد من العلماء ورجال الفكر والأدب والإعلام، وكان في مقدمة أولئك:

١- سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي المملكة العربية

السعودية، يرحمه الله، وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح رئيس محاكم المدينة المنورة وإمام وخطيب المسجد النبوي الشريف، يرحمه الله، وفضيلة الشيخ إبراهيم الحديثي رئيس محاكم منطقة عسير، وفضيلة الشيخ عبد الله الخليفي إمام وخطيب المسجد الحرام، يرحمه الله.

٢- الأساتذة: علي عبد القادر حافظ - يرحمه الله - مصطفى محمد زاهد - يرحمه الله - هاشم يوسف الزواوي وعبد الرحمن بن إبراهيم التركي حيث زاروا المنطقة خلال الفترة من ١٦ حتى ١٩ المحرم ١٤٠٥هـ، وقد شرفت بمرافقتهم في رحلتهم إلى أنحاء المنطقة التي نتج عنها كتاب "أربعة أيام في منطقة الباحة للأستاذ علي حافظ".

٣- الأستاذ عبد الله بن محمد بن خميس.

٤- بعثات إعلامية من الداخل والخارج ومنها بعثة أمريكية زارت المملكة للإطلاع على معالم النهضة فيها، وكان ضمن برنامجها زيارة منطقة الباحة.

وكان - يرحمه الله - يقوم بالإشراف بنفسه على ترتيب سكن الضيوف، وعلى ما يقدم لهم من طعام ويقيم لهم الاحتفالات، ويشرح لهم اهتمام الدولة بالمواطن والاستجابة لكل مطالبه. وكانت ثقافته عالية، وله علاقات جيدة مع كبار مثقفي ومفكري العالم العربي.

٥- كانت له جلسة من بعد مغرب كل يوم يستقبل فيها العلماء والمشايخ والأعيان ومديري الإدارات، وتستمر حتى العاشرة مساء يناقش فيها كل ما يهم مواطني المنطقة، ويتحدث مع كل واحد على قدر مستواه العلمي والثقافي.

وقد أشار عبد القدوس الأنصاري في مجلة "المنهل" في سياق موضوعه "رحلتنا الثانية إلى منطقة الباحة" إلى اهتمام معالي الأمير إبراهيم بزواره من رجال الفكر والأدب فقال: "وأمير الباحة" صديق كريم، وإنسان نبيل، وذو طبيعة إنسانية يملأ أبعادها البشاشة، ويعمرها الود والوفاء والإنسانية الممتازة وتربطه عدة روابط عريقة من الود العامر - براقم هذه السطور، منذ كان كاتبًا في ديوان إمارة المدينة المنورة التي كان أميرها الأمير الحاتمي اليد واللسان، والد هذا الأمير الشاب الحكيم الوديع الحازم، وأعني بذلكم الأمير الوالد الجليل بمعنى الكلمة، المغفور له الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم - رحمه الله - فلا غرو إذا ذهب هذا الوفد الأدبي اليوم أيضًا إلى منطقة الباحة للراحة والاستجمام أن يلاقوا من معاليه ترحابًا، وحسن ضيافة، فطبيعة الكرم مغروسة في جوانح أمير منطقة الباحة الحالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم، والولد سر أبيه كما يقول المثل السائر، ومن يشابه أبه فما ظلم، كما يقول الشاعر، في الشطر الثاني من بيته الشعري السيار العامر الذي يقول:

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم[1]

(١) عبد القدوس الأنصاري، رحلتنا الثانية إلى منطقة الباحة، المنهل، المجلد ٤٠، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩هـ، ص٨٠٨.

تواضعه:

كان - يرحمه الله - متواضعًا يكره التباهي وحبّ الظهور، ولي معه قصتان تستحقان التسجيل هما:

١- رافقته في جولاته على المنطقة، وكتبت حلقات نشرت في جريدة "الندوة" عن الأماكن التي زارها وأهم مطالب المواطنين وبعض كلمات المديح التي قيلت فيه، وعندما اكتملت الحلقات قدمتها لمعاليه - يرحمه الله - فكان ردّه: لقد أحسنت في جانب ولكنك لم تحسن في الجانب الآخر، وعندما سألته علمت منه أنه كان يود أن لا أذكر شيئًا عن كلمات المديح والإطراء التي سمعها من المواطنين[1].

٢- عندما تقررت زيارة الملك خالد - يرحمه الله - للمنطقة عام ١٣٩٨هـ، كلفني بإعداد كتيب يتحدث عن المنطقة وقبائلها والأماكن السياحية فيها، وقد أعددت المعلومات وعرضتها عليه، واخترت الصور التي سوف تنشر مع الكتيب ووافق على ذلك وقال لي: لا تضف أي شيء دون استشارتي.

أشرفت على طباعة الكتيب وعند إخراجه تطلب الأمر إضافة صورة فوتوغرافية واحدة وكانت لدي صورة أخذت لمعاليه عند زيارته لأحد الأماكن في المنطقة ومعه بعض أنجاله فرأيت إضافتها دون استشارته، عدت ومعي الكتيب وعندما اطلع عليه قال لي: من قال لك ضع هذه الصورة، ويعني بها صورته، فقلت: إنها ضرورة الطباعة بالإضافة إلى أن الصورة

(١) جريدة "الندوة"، رجب وشعبان ١٣٩٨هـ.

مناسبة وهي جولتكم على المنطقة، فقال: "لقد اجتهدت ولكنك لم توفق وأمر بنزع الصورة من جميع النسخ المطبوعة، وهو يقول "الكتاب ليس دعاية لي"(١).

وفي تحليل لشخصية معالي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم – يرحمه الله – قال الأستاذ عبد الله بن عبد الرحمن الجبر آل إبراهيم في رسالة إلى كاتب هذه السطور، وهو من الذين عملوا مع معاليه فترة طويلة، أن معالي الأمير كان يتميز بقوة شخصيته، ونفاذ بصيرته، وبالفطنة وبعد النظر، وكانت لديه مقدرة فائقة على إيجاد الحلول المناسبة لقضايا الناس، وله معرفة دقيقة بالقبائل، إلى جانب ما يتمتع به من حلم، وأخذ بناصرة الضعيف، دون إخلال بما عرف عنه من حزم في العمل(٢).

وفاته... ومختارات مما قيل في رثائه:

توفي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم – يرحمه الله – في عام ١٤٠٦هـ، عندما جرف السيل سيارته في وادي العش في منطقة حائل، وكانت وفاته صدمة كبيرة لأصدقائه ومحبيه ومعارفه الكثيرين في مختلف مناطق المملكة، وقد نعاه الديوان الملكي في بيان أعلن فيه وفاته – يرحمه الله – إثر حادث انقلاب لسيارته صباح يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر رجب عام ١٤٠٦هـ، وذلك عن عمر يناهز الخامسة والستين وجاء في البيان ما يلي:

---

(١) علي صالح السلوك، ضمن الرسالة المشار إليها سابقًا.

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن آل إبراهيم، رسالة موجهة إلى المؤلف بتاريخ ١٦/١/١٤١٦هـ.

"ويعتبر الفقيد من الرجال المخلصين الذين أدوا واجبهم بإخلاص وأمانة حيث أمضى سنوات طويلة أميرًا لعدد من المدن كان آخرها الباحة وضواحيها، وكان الفقيد طول حياته مثالاً للصلاح والتقوى وأداء الواجب في خدمة دينه ومليكه وبلاده، هذا وسيصلى على جثمانه بعد مغرب هذا اليوم في مسجد الجامع الكبير بالرياض، رحم الله الفقيد بواسع رحمته وإنا لله وإنا إليه راجعون".

وقد رثاه الكثير من أصدقائه ومحبيه شعرًا ونثرًا، وكُتب عنه - يرحمه الله - عشرات المقالات التأبينية، ولكثرة ما كتب عنه فقد اخترت منها عددًا قليلاً مما نشر نثرًا وكذلك شعرًا، حيث إن إيراد جميع ما كتب عنه من رثاء يحتاج إلى أكثر من مجلد.

فقد كتب عنه الأديب والمؤرخ الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار مقالاً في جريدة "عكاظ" تحت عنوان "فقيد البلاد الغالي"، قال فيه ما يلي:

عندما ألفت كتابي "صقر الجزيرة" في ثلاثة أجزاء وذلك سنة ١٣٥٨هـ (١٩٣٨م)، كنت قد قابلت بمكة المكرمة - حرسها الله - في موسم الحج الملك عبد العزيز، وأخبرته أنني ألفت فيه كتابًا ضخمًا سميته "صقر الجزيرة" فرغب جلالته - رحمه الله رحمة واسعة - أن يطلع عليه، فأحضرته له وبعد أيام ردّه إليّ، ثم أصدر جلالته أمره بإنشاء لجنة مكونة من الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم رئيسًا ومن كل من السادة:

١ - السيد/ محمد طاهر الدباغ.

٢ - والسيد / محمد شطا.

٣ – والسيد / أحمد العربي.

٤ – والشيخ / الطيب.

٥ – والأستاذ / خالد أبو الفرج، أعضاء.

وكان الاجتماع بمنزل الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بحي الفلق بمكة المكرمة، وقرر أن يكون الاجتماع بعد صلاة المغرب، وأحضرت في الاجتماع الأول الكتاب كله بأجزائه الثلاثة ليطلع عليه الرئيس والأعضاء فأكبروا العمل أيما إكبار، وكنت أنا الذي أقرأ، وقرأت حوالي مائة صفحة وافقوا عليها بالإجماع، ودونوا في محضر الجلسة الأولى ما تم فيها ثم صلينا العشاء، وما كدنا ننتهي حتى مدت مائدة العشاء بها خروف وخبز و"سلطات" وفاكهة وتمر ولبن، وفي الجلسة الثانية كان ما بالجلسة الأولى، وأمضينا أيام الأسبوع الأول دراكًا، وطلبنا من الأمير الشيخ عبد العزيز – رحمه الله – ورحم الأعضاء ومد عمر أستاذي السيد أحمد العربي أن يعفينا من العشاء لأننا نود أن نتعشى مع أسرنا فقبل رجاءنا، حتى انتهينا من الكتاب كله، وقد جاء فيه ذكر الأمير ابن إبراهيم ذكرًا جميلاً، فهو من رجال الملك عبد العزيز، ورفع الأمير ابن إبراهيم تقرير اللجنة إلى الملك – رحمه الله –، وأفضل الرئيس بإعطائي صورة منه، كما بعث إليّ رسالة كريمة يحييني فيها تحية تليق بمعاليه مع كسوة فاخرة ومكافأة طيبة حملها إلى ابنه الشيخ إبراهيم. في تلك الأيام عرفت أنه الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم، وتوثقت الصلة فيما بيننا، وزادها متانة اشتراكنا في الصبوة إلى الأدب والقراءة، وكنا نجتمع كثيرًا في المسجد الحرام ونتدارس

ونطوف بحلقات العلماء بأروقته، وكنا نتنزاور في البيوت، وكما كنت من عشاق الكتاب أقرأ كل ما تصل إليه يدي، كان الصديق الشيخ إبراهيم يقرأ كثيرًا، ولديه مكتبة حافلة بكتب التفسير والحديث والتاريخ، كما كان يعنى بقراءة المؤلفات الحديثة، فلديه مؤلفات للعقاد والمازني وهيكل وطه حسين والرافعي والبشري، ولديه دواوين من شعر العقاد والمازني وشوقي وحافظ من المحدثين، ودواوين شعراء الجاهلية والإسلام. ولم يكن لديه كتاب للزينة، فهو لا يشتري كتابًا إلا للقراءة، ويحفظ كثيرًا من الشعر والأمثال، وفي إحدى سنوات الأربعين بعد التسعمائة والألف من الميلاد تقابلنا أنا والشيخ إبراهيم بدار القنصلية السعودية بالقاهرة، وذكر لي أنه جاء إليها بصحبة والده لعلاجه، و"استأجرت" القنصلية بأمر الملك عبد العزيز دارًا جميلة فخمة ذات أثاث فاخر يليقان بمكانة الأمير الكبير، وزرته فوجدت بالدارة معالي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، أحد وزراء المعارف السابقين، وكان يطلب حينئذٍ العلم بالأزهر الشريف، وكنا أنا والشيخ عبد العزيز وأخوه الكبير الشيخ محمد زملاء بالمعهد العلمي السعودي، وكنت أتردد على والدهما الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة بالحجاز بسكنه بالداوودية. ولقد توثقت الصداقة بيننا حتى سبقنا الشيخ إبراهيم إلى الله شهيدًا مبكيًا عليه - رحمه الله - وجعل قبره روضة من رياض الجنة.

وفاجأني النعي الذي كان نازلة زلزلت كياني كله، فقد كنت أتهيأ لتلبية دعوته إياي لزيارة الباحة، وإذا المنية تحول بيننا. وبينا أقرأ كلمات

التأبين والرثاء في فقيد الوطن قرأت كلمة رائعة للكاتب المبدع الأستاذ عبد الرحمن فيصل المعمر في تأبين الراحل الغالي جاء فيها ما نصه: "لا أحب أن أعدد مناقب الفقيد وأشرح ذلك وأطنب وأسهب، لكني أتناول جانبًا واحدًا من جوانب شخصيته. ذلكم هو تقديره الكبير لأهل الفكر ورجال الأدب، فقد تذاكرت معه مرة، وذكر لي أنه عندما زار مصر في أواخر الأربعينيات الميلادية قابل الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار هناك، واتصل عبره بأساطين الأدب وعمالقة الفكر أمثال محمد حسين هيكل وعباس محمود العقاد وطه حسين وسيد قطب وغيرهم وحضر ندواتهم"... الخ.

وهذا حق، فعندما زرنا الدكتور محمد حسنين هيكل باشا مؤلف كتاب "في منزل الوحي"، زرناه أنا والشيخ إبراهيم وقدمته وقلت: الشيخ إبراهيم ابن أمير المدينة المنورة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم تذكر الوالد وابنه، ورحب به أجمل ترحيب، وأهدى إليه مؤلفه "حياة محمد" و"في منزل الوحي" بعبارات كريمة وأخذ عنوان سكن الأمير وزاره.

وكذلك أهدى إليه العقاد وطه حسين والزيات وغيرهم بعض مؤلفاتهم، أما سيد قطب فقد احتفل بالشيخ إبراهيم والشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ ودعاهما وإياي إلى الغداء بمنزله بحلوان، وأهدى إلى كل منهما مجموعة مؤلفاته، ولقد غلبت شهرة الحكم على علم الشيخ إبراهيم وأدبه فلم يُعرف بهما إلا عند قلة من أصدقائه ومعارفه، وأحاديثه تفصح عن أسلوبه الرائع في منطقة كما تفصح رسائله عن أدب جميل وثقافة وإطلاع واسعين.

ولدي منه بضع رسائل إحداها مطولة في أكثر من عشر صفحات حوت آراءه العديدة ومذهبه في الحياة. و لم تقطع الصلة بيننا منذ تعارفنا إلا بوفاته، فعندما عين وكيلاً لإمارة مكة المكرمة سنة ١٣٨١هـ، عندما كانت جريدة "عكاظ" ملكي، وقضيت فترة بعيدًا عنها زارني الشيخ إبراهيم بمنزلي غير مرة، وزرته بمنزله وبالإمارة.

وكان الفقيد دائم الذكر لي في مجالسه حتى أنه كان يحدث أولاده الكرام عني، حتى أن ابنه الأكبر عبد العزيز بن إبراهيم تقبل تعزيتي له ولآل الفقيد بالهاتف، وذكر لي ما كان يتحدث لهم عني، وطلب إليّ أن أبحث عن رسائل أبيه إلى وأبعثها إليه فوعدته، وأرجو أن أجدها، لأن أكثر الرسائل التي كنت أحتفظ بها ومنها بضع رسائل من ديوان الملك عبد العزيز ومن ديوان الملك سعود ومن ديوان الملك فيصل - رحمهم الله - ورسالتان من مليكنا المفدى فهد بن عبد العزيز، ورسائل أخرى من عمالقة الأدب الحديث من مصر وسوريا وتونس والمغرب قد ضاع كثير منها بعد إصابتي بالجلطة الحادة بالمخ سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م)، ولعلي، أو على الأصح لعل أهلي، يبحثون بين أوراقي عن رسائل الشيخ إبراهيم فإذا وجدتها سأبعثها إلى ابنه، إن شاء الله. وإن هول الفجيعة في الصديق العظيم الوفي الشيخ إبراهيم سلب قلمي القدرة على القول لأؤدي بعض حق الفقيد علي، ولكن مجال القول في الفقيد الغالي غير متسع لي الآن، فأنا لذلك موجز بعض ما لدي مشاركة مني لمن كتبوا وعبروا عن مشاعرهم نحوه.

من خير صفات الفقيد إنسانيته، فما حل بعمل إلا كان من يعملون تحت إمرته ينعمون في بره ولطفه وحسن معاملته، فعندما كان وكيلاً لإمارة مكة المكرمة كانت يده السخية ممدودة للضعفاء وصغار الموظفين، يذكرهم في العيدين وفي رأس السنة الهجرية عندما يحل موعد دفع إيجار المساكن فيساعدهم، وإنهم ليذكرون له أياديه البيض عليهم بالخير الذي هو أهله بل أهل مكة حرسها الله وحرسهم ليذكرونه بكل خير، وطبيعي أن يكون حزنهم عظيمًا على فقد إنسان لا يتكرر أمثاله إلا نادرًا وبخاصة في عصرنا الحالي.

اليوم وأنا أكتب هذه الكلمة أشعر بالأسى البالغ كما يشعر من عرفوه وعاشروه، لأن فقدان إنسان عظيم خسارة على مكارم الأخلاق التي كان الفقيد نموذجًا رائعًا لها. فقدنا فيه المروءة والأخلاق الفاضلة الكريمة، رجلاً يكاد يجمع في شخصيته أنبل المزايا العربية الأصيلة، وأكبر الصفات الإسلامية، وأحسن الخلائق الإنسانية الفاضلة.

فقدنا من لا يعزى بفقده آله وحسب، بل يعزى فيه كل من أصدقائه ومعارفه ومن عاشروه وعملوا معه مرؤوسين وزملاء ورؤساء، لأن فقده ترك فراغًا لا يمكن أن يشغله سواه، ولهذا سيبقى مكانه شاغرًا. ويعلم الله أن هول الفجيعة في الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم غير مطاق، لأن الفجيعة فيمن يتعذر وجود بديله تكون فجيعة لا تطاق، وما يخففها إلا الايمان بأن من فقدناه قد مضى إلى ما هو خير له من كل أهله ومحبيه ألا وهو الله الذي استأثر به ليجزيه ما يجزي عباده الصالحين، والايمان بأن

الفقيد قد ترك آله وأحباءه إلى من هو خير لهم منه، إلى الله الذي نرجوه أن يجعل قبر الفقيد روضة من رياض جناته.

وإني لأشعر بالحزن وأنا أرفع عزائي الصادق لمليكنا المحبوب المفدى فهد بن عبد العزيز وإلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز وإلى آل الفقيد أن يلهمهم الصبر، وينزل الراحل الكريم فسيح جناته، ويسكب عليه صيّب رضوانه إنه سميع مجيب.

وأختم كلمتي بكلمة جاءت في تأبين الأستاذ الجليل عبد الرحمن المعمر التي تعبر عما يرجوه محبو الفقيد وأرجو وهي:

وبعد... فيا أيها القراء هذا مقال كتبته بسرعة عاطفة المفجوع، فجاء مضطربًا كاضطرابي يوم سمعت النبأ الفاجع مرتبكًا كحالتي وأنا أسأل من لقيت عن التفاصيل غير مرتب ولا منمق، لأني لم أكتب لأدون وأسجل وألم بكل شيء عن حياة الفقيد الراحل فلا يلمني لائم ولا يعقب عليّ عاتب، فمحل إبراز مناقب الأجواد وتعداد مآثر الأخيار أمثال فقيدنا المبرور كتب السير والتراجم لا مقالات الرثاء والتأبين. فلو نفرت طائفة من أحباء الفقيد وتصدوا لتسجيل مراحل حياته وتدوين سيرته وأعماله لسدوا ثغرة في سجل تراجم رجالنا ومن ولي الولاية من كبرائنا.

ورحم الله الشاعر أبا محمد التيمي الذي أستعير منه أبياتًا له فهي جديرة أن تقال في فقيدنا العزيز ويقال فيه خير منها يضاف إليها، وهي:

أما القبور فإنهن أوانس ... بفناء قبرك والديار قبور
عمت فواضله فعم مصابه ... فالناس فيه خيرهم مأجور

ردت صنائعه إليه حياته فكأنه من نشرها منشور

طيب الله ثرى الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم كما طيب ذكراه حيًّا وميتًا، ورحمه الرحمة الواسعة[1].

كما كتب الأستاذ عبد الرحمن بن فيصل المعمر مقالاً تحت عنوان "بالله كيف الحادثات تدور" نشر في جريدة "الجزيرة"، يوم الأربعاء الموافق ٣٠ رجب ١٤٠٦هـ جاء فيه:

فجعت الأمة وروّع المجتمع بغياب رجل في زمن نحن أحوج ما نكون فيه إلى الرجال. مات الأمير إبراهيم بن عبد العزيز بن إبراهيم، مات المتواضع من غير تزلف! والاجتماعي من غير تكلف، والحازم من غير صلف، مات الرجل المعتدل المزاج فلا يخرجه الغضب عن العقل ولا يوصله الحلم إلى العجز. نعم غاب الرجل المعتدل في القول والسلوك.

مات أبو عبد العزيز، وطوي في الأكفان وأدخل القبر وأهيل عليه التراب، فانطوت بموته سيرة عطرة وغاب بغيابه أنموذج متميز في مكارم الأخلاق وحسن السمت وجميل المعشر وصلة الرحم. مات بالأمس رجل صادق السريرة مستقيم السيرة. مات بالأمس من جمع بين الحزم واللين والتلطف في القول والتعفف عن مرذول الكلام، مات من يقهر نفسه ولا تقهره ويغلبها ولا تغلبه. مات الرجل الوفي مع أصدقائه الأقدمين، الحفي بعشيرته الأقربين. مات والله بالأمس "رجل"! وكفى بكلمة "رجل" في زماننا هذا فهي تعني الكثير.

(١) أحمد عبد الغفور عطار، جريدة عكاظ، ٦ شعبان ١٤٠٦هـ.

عرفت الفقيد العظيم بمدينة الطائف، حيث لقيته لأول مرة منذ ربع قرن، وتوثقت صلتي به ورأيته مرات في الحضر والسفر، في المنصب وخارج المنصب في الرخاء والشدة، في ساعات الجد وأمسيات التجلي، كان كثير الصمت من غير عي، عميق النظرة من غير خبث، ودائم العبرة طويل التأمل، حليمًا من غير ضعف، حازمًا من غير صلف، كريمًا من غير سرف، عالي الهمة مخفوض الجناح.

كان يحب مكارم الأخلاق ويكره أن يعيب وأن يعاب، يتضايق إذا استهزأ بالناس أحد في مجلسه أو تظرف عنده رجل بهذر أو فحش قول، كان يكره الغمز واللمز، ويضيق ذرعًا بقائله وفاعله، ويظهر ذلك على وجهه فكأنه المعنى بقول الشاعر:

لقد برئت من غمز ولمز كما برئت من قول ركيك

لقد وجم الناس لسماع نعيه وأصيب أقوام بالذهول ورددوا، وعند صفو الليالي يحصل الكدر، إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد حزن أصدقاؤه وجزع عارفوه، وبكاه كل من اتصل به وعرفه عن قرب ورآه.

بعد إذاعة النبأ عبر وسائل الإعلام توافدت حشود على الجامع الكبير بالرياض للصلاة عليه، إلى مثواه الأخير وأنزل النعش، وحمل على الأعناق، وسط أمواج من الحزن الصامت والأنين الدفين!

ما كنت أحسب قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال يسير
ساروا به والكل باكٍ حوله صعقات موسى يوم دك الطور

وبعد الصلاة والدفن زحفت وفود ووفود إلى مقر أبنائه، وتبادل الناس العزاء فيه ورددوا ذكره الحسن مرات ومرات بين الدعاء والثناء. لا أحب أن أعدد مناقب الفقيد، وأشرح ذلك وأطنب وأسهب، لكن أتناول جانبًا واحدًا من جوانب شخصيته، ذلكم هو تقديره الكبير لأهل الفكر ورجال الأدب. فقد تذاكرت معه مرة وذكر لي أنه عندما زار مصر في أواخر الأربعينيات الميلادية قابل الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار هناك، واتصل عبره بأساطين الأدب وعمالقة الفكر أمثال محمد حسين هيكل باشا وعباس محمود العقاد وطه حسين وسيد قطب وغيرهم وحضر ندواتهم.

ولما قرأت كتاب "في منزل الوحي" وهو تدوين شائق للرحلة التي قام بها الدكتور محمد حسين هيكل باشا إلى الديار الحجازية قبل أكثر من أربعين سنة تقريبًا لأداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة ثم السياحة بعد ذلك والتجوال في القرى والأودية والجبال بين مكة والطائف ورصد تاريخها وتدوين مشاهداته وخواطره في كتاب مسطور سيظل إلى آخر العصور أهم المراجع للمتتبع والباحث، وقد أثنى الدكتور هيكل على الشيخ إبراهيم نوّه بسيرة والده وحزمه وشدة بأسه على قطاع الطرق والمفسدين في الأرض.

أقول: كان يقدر أهل الفكر ويحرص على تكريمهم والسؤال عنهم والاحتفاء بهم، وقد حضرت بداره بالطائف عدة مناسبات كّرم فيها عددًا من الأدباء أمثال الشيخ عبد القدوس الأنصاري والسيد محمد المؤيد الحسني والأستاذ عبد العزيز الرفاعي وغيرهم، ورأيت منه عطفًا وتقديرًا

لراوية الدهر وأعجوبة العصر في الحفظ والارتجال شاعر اليمن الكبير الشيخ أحمد محمد الحضراني أمد الله في عمره.

وكان صديقنا الأديب الموهوب حمد الزيد يجل الفقيد ويحترمه ويحتفي به في كل مناسبة ويدعو عددًا من المثقفين للالتقاء به والمشاركة في تكريمه فكان الفقيد يتباسط مع الحضور ويتحدث عن ذكرياته القديمة أثناء زيارته لمصر ورحلاته إلى معظم دول العالم المتمدن والمتخلف، وما رأى عبر سياحته في الدول المتقدمة من شوامخ النهضة وعظمة الحضارة ورهبة الصناعة، ويشيد بالتزام الناس هناك بالنظام والقانون، وكيف أن مرد كل ذلك ليس إلى التعليم فقط، بل إلى التربية الواعية ثم التعليم.

وكانت للفقيد آراء تدل على نفاذ البصيرة وطول التجربة والتمرس بالحياة. كان الفقيد يعمل ويطبق القول المأثور "أنزلوا الناس منازلهم" لا يدع ذلك للصدفة، بل يجتهد في تطبيقه بدقة، فيشير بيده في مجلسه وعلى المائدة ويدعو أقوامًا ليكونوا بقربه. وهذه الخصلة تدل على فهم عجيب بتركيبة المجتمع والتزام بتعاليم الإسلام وشيم العرب!

وبعد... فيا أيها القراء هذا مقال كتبته بسرعة عاطفة المفجوع، فجاء مضطربًا كاضطرابي يوم سمعت النبأ الفاجع مرتبكًا كحالتي وأنا أسأل من لقيت عن التفاصيل غير مرتب ولا منمق، لأني لم أكتب لأدوّن وأسجل وألم بكل شيء عن حياة الفقيد الراحل فلا يلمني لائم ولا يعقب عليّ عاتب، فمحل إبراز مناقب الأجواد وتعداد مآثر الأخيار أمثال فقيدنا المبرور كتب السير والتراجم لا مقالات الرثاء والتأبين. فلو نفرت طائفة من أحباء الفقيد

وتصدوا لتسجيل مراحل حياته وتدوين سيرته وأعماله لسدوا ثغرة في سجل تراجم رجالنا ومن ولي الولاية من كبرائنا.

لله كيف الحادثات تدور يا إبراهيم! كيف بالله يجري المرء ولا يدري ما خبّأ له القدر المقدور!

رحمك الله أيها الفقيد الفاضل خلقًا الفضلي نسبًا، وأظلت قبرك سماء الرحمة، وأمطرتك سحائب الغفران شهيدًا بفضل الله.

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي[1]

كما كتب الأستاذ موسى محمد السليم تحت عنوان "هذا الرجل كبير حقًّا" "في مجلة اليمامة" ما يلي:

بين نبع من المشاعر الصادقة... والدموع الواكفة والدعوات بالرحمة والمغفرة سار إلى مثواه الأخير. رجل من كبار رجال وطننا الغالي شيعه القادة الأخيار والأبناء الأبرار. والمواطنون المحبون الذين عرفوا نظافة قلبه. وعفة نفسه. وسعة صدره ودماثة خلقه ورجاحة عقله وبعد نظره.

رجل كبير حقًا طالما جبر الكسير... وحنا على الفقير ونصح المستشير. رجل كبير حقًا من رجال المواقف المعطاءة الذين يتمتعون بسناء الخلق ونقاء الضمير وصدق المشاعر وعمق الوفاء.

رجل كبير حقًا عرفه قادة أمته وأبناء وطنه ورفاق عمله خير المعرفة. فجاء الكثير منهم يوم وفاته يشارك أبناءه وأقاربه في تشييع جثمانه والصلاة

(١) عبد الرحمن بن فيصل المعمر، جريدة "الجزيرة" العدد ٤٩٤١، الأربعاء ٣٠ رجب ١٤٠٦هـ.

عليه في المسجد وساعة وضعه في مثواه الأخير... واختلطت دموع مشيعيه بدموع أبناءه حبًّا ووفاءً وإجلالاً واحترامًا له بعد مماته مثلما كان هذا الحب وهذا الوفاء وهذا الاحترام في حياته.

إن الدموع الذي ذرفها الكثيرون وعلامات وسمات الحزن والأسى التي ارتسمت على وجوه الذين شيعوا جثمانه الطاهر من أمراء ووزراء ومواطنين والمئات من الناس الذين توافدوا على أبنائه وذويه للتعزية من شتى أرجاء مملكتنا الحبيبة وآلاف البرقيات والمكالمات الهاتفية من داخل المملكة وخارجها – التي قدمت التعازي لأسرته ومحبيه دلائل صادقة. على أن الفقيد الغالي صاحب المعالي الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم علم شامخ من أعلام بلادنا الغالية، ورجل من رجالاتها البارزين الذين يجب أن نتعلم من تجاربهم الحكمة، وأن نتخذ من مسيرتهم القدوة، وأن تبقى مواقفهم وعلائم حياتهم معالم خالدة لشباب أمتنا على طريق البناء والعطاء، لأنه – يرحمه الله – كان في حياته معلمًا وموجهًا ومبنع حكمة ومعرفة لكثير ممن عرفه وعمل معه.

لقد جهشت وسائل الإعلام في بلادنا بنعي المرحوم، ونشرت الصحف على صفحاتها الأولى نبأ وفاته – رحمه الله – صباح الإثنين ٢٨ رجب ١٤٠٦هـ، الموافق ٧ أبريل ١٩٨٦م. وقال عند بيان الديوان الملكي: إنه رحمه الله (يعتبر من الرجال المخلصين الذين أدوا واجبهم بإخلاص وأمانة. حيث أمضى سنوات طويلة أميرًا لعدد من المدن آخرها إمارة الباحة وضواحيها وإن الفقيد طوال حياته كان مثلاً للصلاح والتقوى وأداء

الواجب في خدمة دينه ومليكه ووطنه).

لقد كان هذا البيان من حكومتنا الرشيدة وعلى رأسها صاحب الجلالة الملك المفدى وصاحب السمو الملكي ولي عهده الأمير تتويجًا كريمًا لمسيرة هذا الرجل الكبير الحافلة بجلائل الأعمال وجميل الفعال، وكانت المشاركة الكريمة من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض وعدد من أصحاب السمو الملكي الأمراء في تشييع جنازة المرحوم منذ وصول الجثمان الطاهر من حائل حتى مواراته في القبر ومواساتهم الأخوية والأبوية لأبنائه وأقربائه صغيرًا وكبيرًا من أقوى دلائل صدق مشاعر الأسرة السعودية الواحدة قيادة ومسؤولين ومواطنين ومن أقوى دلائل التقدير والوفاء المسؤول والمواطن المخلص المتفاني في خدمة دينه وبلاده.

وبكل الحب والتأثر والوفاء تتابعت عشرات مقالات التأبين وقصائد الرثاء ومئات عبارات التعازي في جميع صحفنا ومجلاتنا السعودية مجمعة على فضل هذا الراحل الكبير ومكانته وصفاته الكريمة من النواحي الدينية والثقافية والاجتماعية والمنهجية في التعامل والإدارة والمسؤولية الحكيمة والواعية. ولأكثر من عشرة أيام بعد وفاته استمر الكتاب الأوفياء في أحاديثهم الصحفية عنه يكشفون في كل يوم مواقف وأمثلة لتواضعه الجم وأدبه الرفيع واهتمامه بذوي الحاجات، وشد أزر المحتاجين والمحافظة على صلة الرحم ورعاية الود وكرم الضيافة، وتلبية الدعوة وصدق الوفاء... وعمق الإخاء تحدق عنه الكثير في الصحفاة وفي اللقاءات بأبنائه

ومحبيه وذويه فأجمعوا على النبل السامي والسخاء الهامي والشهامة التي عزّ أن يكون لها نظير. أخلاق لا يتصف بها إلا كبار الرجال الذين يحق لهم أن يكونوا من الخالدين في تاريخ الأمة والوطن(١).

أما قصائد الرثاء التي نشرت أو دوّنت عنه - يرحمه الله - فقد اخترنا منها ثلاثًا، الأولى للشاعر الأستاذ حمد الزيد يقول فيها:

تذكرت بسمتك الحلوة
الصافية.
ووجها كما الصبح -
يشرق بالحب -
والضحكة... الحانية...
كريم.... السجايا
يعز الفراق -
وفي القلب لوعته طاغية...
حبست الدموع -
فأضحت جراحًا -
تفجر نائحة... باكية؟!
ولو أن قبر الحبيب يجيب
لأجهش...
فاض كما ساقية...
***
ولو يُرجع الميت نهر الدموع
لسقناه للتربة... الطاهرة...
ولكنها حسرة في الفؤاد

(١) موسى محمد السليم، "مجلة اليمامة"، العدد ٩٠٢، ١٤/٨/١٤٠٦هـ.

ستبقى ضراما –
إلى الآخرة...
فيا طيب القلب طبت
وطابت لك الجنة –
العاطرة...
***
ألم تدر يا موتُ ماذا أخذت؟؟
وماذا فعلت بنا –في فجاءة؟؟
أم تدر يا سيلُ ماذا حملت –
وماذا ارتكبت بنا –
من حماقة؟؟
ألم تدر يا واديًا بالشمال –
بأن الفجيعة –
فينا خسارة؟؟
ألم تدر يا منزل الذكريات...
بـ "قروى" طلولك –
تبكي مرارة...
وتسأل أين الفقيد الكريم –
وهل سيعود له... كالحمامة؟!
وأين الأحبة–؟؟
هل يدخلوه...؟؟
وأين الضيوف؟؟
تولوا أمامه؟؟!
وطيف الحسيب النسيب المهام –

أبا "العز" جلله كالغمامه...
خراب بقي –
ينعق البوم فيه...
فيا حسرة الغمد –
يبكي... حسامه؟؟!
***

ذكرتك...
والكل يشكو فراقك...
والحلم والعقل يا "سيدي" والشهامه؟!
ذكرتك...
هذي جراح الزمان –
فمن يمسح الجرح؟؟
يبري... سقامه؟!
وأنت كما الطود في ناظري
وأنت الرجولة –
أنت الكرامة...
وقد كنت والدنا – كلنا
رفيقًا...
تقابلنا... بابتسامة...
وتحمل أخطاءنا كلها...
وتمنحنا الحب –
دون ملاله
***

عظيم السجايا...
ألا رجعة؟؟

لنمنحك الحب –
صاف الزلاله؟!؟
ونمنحك العمر –
كيما تعود إلينا –
تطوقنا... كالغلاله...
تقبلنا واحدًا... واحدًا
كما قبل البدر –
يومًا – جباله؟!
فوا أسفًا لن يعود الفقيد
ولن يرجع الأب –
يدعو... عياله...؟!
***

والقصيدة الثانية للأستاذ عبد الله العبد الرحمن البراهيم(1)، والتي نشرت في جريدة "الجزيرة" تحت عنوان "عزيت نفسي لو تفيد التعازيا".

ضواحك(2) "وادي العش"(3) أمست بواكيا ... وأسفر من حزني الذي كان خافيًا
طواك بوادي العش سيل من الردى ... ونادت قلوب هل تجيب المناديا؟
وكدت لهول الخطب أهزأ بالذي ... ينبئني، بل كدت أردي النواعيا
ألا إنها الأقدار تعصف بالحجا ... وتمضي لتغتال النفوس الغواليا
حنانيك كم فاضت دموع زكية ... عليك فأذكت في النفوس المآسيا

(1) ابن عم الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم – يرحمه الله – وكان من أقرب الناس إليه، لازمه في كثير من أعماله بالإمارات التي عمل بها، وقد تقلد عدة مناصب في وزارة الداخلية، وهو الآن رئيس المركز العربي للدراسات الأمنية بالرياض.
(2) زهور الربيع.
(3) المكان الذي وقع فيه حادث وفاة الأمير.

وكم أدمع حرّى أمضّت بلذعها حنايا صدور ثم سالت جواريا
هي البلسم الشافي، فما بالها أبت شفاء أليس الدمع للهم شافيّا؟
لقد أضحت الأجفان قرحي من البكا ونعجز حتى أن نرد التعازيا
وبت أرد الدمع والدمع غالبي كأني بجسمي اليوم صار مآقيا
أعماه لو يجدي فداء من الردى وهبت وحيدي ثم نفسي وماليا
ولكنه أمر الإله وحكمه وأنعم برحمن العوالم قاضيا
فتى كلما همت هموم قبيلة أفادك رأيًا في الدياجير هاديًا
جواد كأنّ الجود في أصل خلقه يهيب به حتى ينيل الأمانيا
(وللنفس أخلاق تدل على الفتى أكان سخاء ما أتى أم تساخيا)
تفجر إخلاصًا لأجل بلاده يرود بها شم الذرا والمعاليا
شديد مراس لا تلين قناته يرد الظبا[1] منه ويصمي الأعاديا
همام يجوب السهل في كل مطلب عزيز ويرقى للمعالي المراقيا
يسوس القضايا في نفاذ بصيرة كأن القضايا تستحي أن تعاديا
إذا رام أمرًا جرد العزم قاطعًا وأسرج للجلى العتاق المذاكيا[2]
تخلى عن الدنيا وعاف حظوظها وها هوذا أمسى من الهم خاليًا
سيذكرك الأحباب ما ذرّ شارق وتلبث نيران القلوب كما هيا
أزاحوا عن الوجه الصبيح غطاءه فأشرق بالتقوى ينير الدواجيا
يضرجه زاك من المسك طيب يضوّع كزهر الروض ريان صافيا
قضيت غريًا تجرّع الكأس صابرًا فطبت شهيدًا عند ربك راضيا
ألا في سبيل الله أكرم والد نزلت رياضًا في الجنان حواليا
ويا قبره بالعود مني تحية سقيت الغوادي غاديًا ثم غاديا[3]

---

(١) السيوف.

(٢) الخيل الأصيلة.

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن آل إبراهيم، جريدة الجزيرة، العدد ٤٩٤٩، ٨ شعبان ١٤٠٦هـ.

أما القصيدة الثالثة فقد اخترناها من الشعر النبطي للشاعر عبد الله بن محمد بن زيد تحت عنوان (مرحوم يا شيخ رجل من بني لام) يقول فيها:

لا والله اللي راح شيخ القبيلة شيخ ولد شيخ عزيزين وكرام
إبراهيم بالوادي جرابه مسيله جاه القدر عجل ولا بعدها قام
وقت العزا يا طول يومه وليله على الذي حزنان بالليل ما نام
يبكى على المرحوم راعي الفضيلة ويبكى عليه أولاد وأخوان وأرحام
خدم ملوكه من سنين طويله وما أحد شكا ظلم على طول الأعوام
متواضع ما شال نفس ثقيلة يعطف على الشياب وأطفال وأيتام
تم القدر والموت ما فيه حيله عساه بالفردوس مع كل الأعمام
أبوه عمّانه شيوخ القبيلة مرحوم يا شيخ رحل من بني لام
وصلوا على المختار في كل ليلة عد الليالي الماضية هي والأيام
وعداد ما هل المطر من مخيله وعد الرمال الجاثية في بلد "يام"[1]

(١) عبد الله بن محمد بن زيد، جريدة "الجزيرة"، العدد ٤٩٨٣، ١٣ شعبان ١٤٠٦هـ.

وبعد:

إن المتتبع لأماكن ولادة أبناء معالي الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم، يلاحظ تعدد الأماكن التي ولدوا فيها، طبقًا لظروف عمل والدهم، الذي كان مستعدًا لأداء الواجب المنوط به في أية منطقة من مناطق المملكة ما دام يؤدي رسالته في خدمة دينه ومليكه ووطنه.

ولعل من المناسب أن نختتم هذا الفصل بمقولة قالها الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم خلال لقاء أجراه معه الصحفي محمد الوعيل، ونشر في جريدة "الجزيرة" على حلقات عام ١٤٠٦هـ، قال، يرحمه الله:

"أهم فائدة من المناصب التي تقلدتها، أنني خدمت قطاعًا من الوطن، وأنني خدمت عددًا من المواطنين، بقدر ما أستطيع - وبالرغم من عطائي لوطني إلا أنني أعترف أنني مهما أعمل فأنا مقصر بالنسبة لعطاء الوطن العظيم".

هكذا كان - يرحمه الله - ويرحم الله والده "الكريم الحازم" الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم الذي كان ملء السمع والبصر في مرحلة تأسيس مملكتنا الحبيبة، ووفق الله الأبناء والأحفاد للسير على نهج أسلافهم الكرام.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم بن صالح بن عيسى.

تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، وفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠هـ - ١٣٤٠هـ، أشرف على طبعة حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٦هـ.

- إبراهيم بن صالح بن عيسى.

عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر. ذيل به على كتاب (عنوان المج في تاريخ نجد). حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ. وزارة المعارف، المطابع الوطنية الحديثة، الرياض، (د . ت).

- إبراهيم بن محمد الزيد.

الأمير عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم، حياته ونماذج من رسائله الخطية، مجلة عالم الكتب، مج ١٥، ع٣، ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٤هـ.

- ابن بشر، عثمان بن عبد الله.

عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الطبعة الرابعة، الرياض، ١٤٠٣هـ.

- أبو تمام.

ديوان الحماسة، تحقيق عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١هـ (١٩٨١م)..

- أحمد عبد الغفور عطار.

صقر الجزيرة، مطابع المؤسسة العربية للطباعة، جدة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.

- أحمد عسه.

معجزة فوق الرمال، المطابع الأهلية اللبنانية، بيروت - لبنان، ١٩٦٥م.

- أحمد علي.

ذكريات، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، مطابع الزايدي للأوفست، الطائف، (د . ت).

- أحمد ياسين أحمد الخياري..

تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا، شركة دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٤١٠هـ.

- أمين الريحاني.

تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز عبد الرحمن آل فيصل آل سعود، ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، دار الجبل، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٨م.

- أمين الريحاني.
ملوك العرب، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة (١٣٦٧م). صدرت الطبعة الأولى في ٢٧ أيار (مايو) ١٩٢٤م..

- أمين سعيد.
تاريخ الدولة السعودية، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، (د . ت).

- حافظ وهبه.
جزيرة العرب في القرن العشرين، مكتبة النهضة المصرية، ٩ عدلي باشا بالقاهرة، ١٩٦١م.

- حافظ وهبه.
خمسون عامًا في جزيرة العرب، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٠هـ.

- حسن حسن سليمان.
الأمير عبد العزيز بن مساعد، حياته ومآثره، (د . ت).

- حمد بن إبراهيم بن عبد الله الحقيل.
كنز الأنساب ومجموع الآداب، مطابع الجاسر، الرياض، الطبعة الثانية عشرة، ١٤١٣هـ.

- حمد الجاسر.
جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

- حمد الجاسر.

في سراة غامد وزهـران، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٧هـ.

- حمد الجاسر.

مجلة العرب، المجلد الثاني، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٧هـ.

- خير الدين الزركلي.

شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٩٢م.

- خير الدين الزركلي.

الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة، حزيران (يونيو) ١٩٩١م.

- داكوبرت فون ميكوش.

عبد العزيز، نقله عن الألمانية أمين رويحة، المكتب العام لتوزيع المطبوعات، دمشق، (د . ت).

- سعود بن هذلول (الأمير).

تاريخ ملوك آل سعود، الطبعة الأولـى، مطابع الرياض، الرياض، ١٣٨٠هـ (١٩٦١م).

- سنت جون فيلبي.

تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، تعريب عمر الديسراوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٤هـ.

- صلاح الدين المختار.

تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، (د . ت).

- عبد الباسط بدر.

التاريخ الشامل للمدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ.

- عبد الحميد الخطيب.

الإمام العادل، صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، سيرته، بطولته، سر عظمته، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٣٧٠هـ.

- عبد الرحمن بن حمد بن زيد.

المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف، ١٤٠٤هـ.

- عبد الرحمن بن سبيت السبيت وآخرون.

رجال وذكريات مع عبد العزيز، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، (د . ت).

- عبد العزيز الأحيدب.

ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، مطابع الإشعاع التجارية، الرياض، ١٣٨٨هـ.

- عبد العزيز شرف ومحمد إبراهيم شعبان.

عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٣هـ.

- عبد الفتاح أبو علية.

تاريخ الدولة السعودية الثانية، ١٢٥٦هـ - ١٣٠٩هـ، دار المريخ، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٥هـ.

- عبد القدوس الأنصاري..

سلسلة "أقباس من سيرة الأمير الحازم الكريم عبد العزيز بن إبراهيم، المنشورة بجريدة المدينة المنورة، عام ١٤٠٣هـ.

- عبد القدوس الأنصاري.

آثار المدينة المنورة، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ.

- عبد القدوس الأنصاري.

رحلتنا الثانية إلى منطقة الباحة، مجلة المنهل، السنة ٤٥، المجلد ٤٠، ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٩هـ (أكتوبر ونوفمبر ١٩٧٩م).

- عبد الكريم نيازي.

مجلة المنهل، رجب – شعبان ١٤١٥هـ.

- عبد الله بن خميس.

تاريخ اليمامة، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٨هـ.

- عبد الله بن خميس.

المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية / معجم اليمامة، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٠٠هـ.

- عبد الله بن علي بن مسفر.

دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية، مجلة العرب، المجلد٩، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٤هـ.

- عبد الله العلي الزامل.

أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود، المؤسسة التجارية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ١٣٩٢هـ.

- عبد الله محمد الشهيل.

فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة، دار الوطن للنشر والإعلام بالرياض، ١٤٠٤هـ.

- عبد المالك بن عبد القادر الطرابلسي.

الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية.

- عبد المنعم الغلامي.
الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ١٣٧٣هـ.

- عصام ضياء الدين السيد.
عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية (١٣٣٨هـ - ١٣٧٣هـ)، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م).

- علي حافظ.
أربعة أيام في منطقة الباحة، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠٥هـ.

- علي حافظ.
فصول من تاريخ المدينة المنورة، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، جدة، ١٤٠٥هـ.

- علي صالح السلوك الزهراني.
المعجم الجغرافي لبلاد غامد وزهران، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٤٠١هـ.

- فؤاد حمزة.
قلب جزيرة العرب، مكتبة النصر الحديثة، الطبعة الثانية، الرياض، ١٣٨٨هـ.

- فؤاد شاكر.

رحلة الربيع، مطبوعات تهامة، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

- فؤاد عبد السلام الفارسي.

الأصالة والمعاصرة / المعادلة السعودية، دار الأصفهاني للطباعة بجدة، ١٤١٢هـ.

- فهد المارك.

من شيم الملك عبد العزيز، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

- قدري قلعجي.

موعد مع الشجاعة (سيرة الملك عبد العزيز)، مطابع نصر الله، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان (د . ت).

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله.

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د . ت).

- المبرد، أبو العباس محمد.

الكامل، تحقيق محمد أبي الفضل السيد شحاته، القاهرة، (د . ت).

- محمد بن أحمد العقيلي.

أضواء على تاريخ الجزيرة العربية، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ١٤٠٣هـ.

- محمد بن أحمد العقيلي.

تاريخ المخلاف السليماني، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

- محمد بن عبد الله بن سليمان السلمان.

الأحوال السياسية في القصيم، المطابع الوطنية للأوفست، عنيزة، ١٤٠٧هـ.

- محمد بن عبد الله آل زلفة.

عسير في عهد الملك عبد العزيز، دورها السياسي والاقتصادي والعسكري في بناء الدولة السعودية الحديثة، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

- محمد بن سعد الشويعر.

فصول من تاريخ مدن المملكة العربية السعودية، حائل، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

- محمد بن عثمان بن صالح القاضي.

منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب، المطابع الوطنية للأوفست، عنيزة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

- محمد حسين زيدان.

ذكريات العهود الثلاثة، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٨هـ.

- محمد حسين هيكل.

في منزل الوحي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٦م.

- محمد سعيد كمال.

الطائف، مجلة العرب، المجلد الرابع، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٨٩هـ.

- محمد عمر رفيع.

في ربوع عسير: ذكريات وتاريخ، دار العهد الجديد للطباعة القاهرة، ١٣٧٣هـ.

- محمد منير البديوي.

المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود، الرياض، ١٣٩٧هـ.

- محمود شاكر.

شبه جزيرة العرب - عسير - المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

- محي الدين رضا.

رحلتي إلى الحجاز، مطبعة المنار بمصر، القاهرة، ١٣٥٤هـ.

- محي الدين القابسي.

المصحف والسيف، دار الناصر للنشر والتوزيع، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، (د . ت).

- مناحي القثامي.

الموجز في تاريخ الطائف قديمًا وحديثًا، دار الحارثي للطباعة والنشر، الطائف، ١٤٠١هـ.

- منير العجلاني.

تاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الأولى، مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

- هاشم النعمي.

تاريخ عسير في الماضي والحاضر، (د . ت).

- يوسف ياسين.

الرحلة الملكية، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، (د . ت).

شكر وتقدير

شكر وتقدير

لا يفوتني أن أنوه بالمعاونة الصادقة التي وجدتها من عدد من الشخصيات والأصدقاء، الذين أسهموا - بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - في إخراج هذا الكتاب. فقد كان لكل واحد منهم إسهامه الذي لا ينكر، إما بتوثيق معلومة، أو تأكيد رواية، أو تزويدي بوثيقة نادرة أو صورة لإحدى الشخصيات التاريخية، التي ورد ذكرها في الكتاب.

لقد كانوا جميعًا عند حسن الظن بهم، مما يجعلني أعتز بما قدموه لي من مساعدة، مهما كان قدرها، وأخص منهم الأساتذة:

عبد الله بن عبد الرحمن آل إبراهيم

محمد بن أحمد العقيلي

محمد بن عبد الوهاب أبو ملحة

عبد الله بن سعيد أبو ملحة

د. جمعان بن رشيد أبا الرقوش

عبد العزيز بن عبد الله أبا الرقوش

عبد العزيز بن عبد الله الزهراني

بدر الدين الديب

علي صالح السلوك

محمد سعيد أبو راس

سيد يحيى المشهور

إبراهيم سعيد الزهراني

جابر علي القرني

عادل محمد قاضي

عبد الرحمن الخربوش

خالد حسين العساف

عبد الرحمن محمد السبيعي

محمد السالك الشنقيطي

فلهم مني جميعًا خالص الشكر والعرفان.

د. عبد الله بن سعيد أبو راس

الناشر: دار نجول للإعلام
تلفون: ٤٥٠٤٦٩٢ - ص.ب ٨٥٤٦٤ الرياض ١١٦٩١